فيض الوهاب

من سيرة عمر بن الخطاب

فضيلة الشيخ

محمد السيد حسن محمد

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

عنـوان الكتـاب: فيض الوهاب من سيرة عمر بن الخطاب

جمـع وترتيـب: الشيخ: محمد السيد حسن محمد

إشـــــــراف: مؤسسة السادة

التصـــــــنيف: تاريخ إسلامي

تنســـــــيق: شركة دوام

مراجعـــــــة: بمعرفة المؤلف

تصـميم غـلاف: شركة دوام

رقـــم الإيـــداع: ٢٥/٣١٣٩٩

تـــرقيم دولـــي: ٩٧٧-٦٣٣-٨٣٠٣-٦٦-٢

٣٤ شارع يحيي إبراهيم – محمد مظهر – الزمالك - القاهرة

ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ - ٠١٠١٤٤٤٦٤٨ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
المحتوى الأدبي مسؤولية الكاتب بالكامل

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتمهيد

بسم والحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد:

هذا هو الكتاب الثاني من سلسلة العشرة المبشرين بالجنة.

وإنما أوجزناه إيجازا، ولخصناه تلخيصا.

ويكأننا أيضا لم نبعث فيه إلا نفعا. ولم نقصد منه إلا ترسما، ناسب ذا الفضل هذا، أمير المؤمنين عمر الفاروق!

ويكأن التاريخ، وحين أسماه أمير المؤمنين، ويكأنه حقا كان كذلك!

ومما حكاه التاريخ، ومن قصصه، ومما ألفيناه، وقد وقفنا على عبره، وقد تقصينا مآلاته، وحين تنسمنا دلالاته.

وهذا ما سوف يكشف عن بعضه سفرنا هذا، وحين مطالعته، وترسم خطاه، خطوا خطوا، ويكأننا نقول أيضا: هم القوم فإن لم تكونوا أنتم هم! فكونوا على الأقل، ولو شيئا مثلهم!

وقد كان القوم هكذا، ومن إلف، ومع هدي نبيهم، تتبعا وترسما أيضا؛ ولهذا فلم يضلوا أبدا!

ودبجته في مسماه، سفرا زاكيا أسميناه: فيض الوهاب من سيرة عمر بن الخطاب.

ولأنه كل فضل من عند ربنا تعالى، فله سبحانه الفضل والمنة والثناء الحسن.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأحبر رسمي هذا في عشرة فصول، ومن بينها أحكام وعبر، ومما قد ترسم به القوم هذا النبي محمدا الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكما أن هذا العمل لله تعالى وقف، ومن ثم فليس يجوز بيعه، ومن أراد طباعته ونشره تطوعا فإن له ذلك، ومن بعد إذن خطي من كاتبه.

وكتبه

محمد السيد حسن محمد

في السادس، من شهر ربيع الثاني، السنة السادسة والأربعين بعد الألف والأربعمائة سنة، من التقويم الهجري.

البريد الإلكتروني للمؤلف:

haledsayed398@gmail.com

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الأول

من مولده إلى بيعة أبي بكر

اسمه ونسبه

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بالتحتانية بن عبد الله بن قرط بن رزاح بمهملة ومعجمة وآخره مهملة بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية[1].

مولده

ولد عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وَرَوَى أُسَامَة بْن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، قَالَ: سمعت عُمَر يَقُول: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين[2].

من صفاته

كان رجلا طوالا أصلع أعسر أيسر أحور العينين، آدم اللون، وقيل: كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة أشنب الأسنان، وكان يصفر لحيته، ويرجل رأسه بالحناء.

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسلم عمر أتاني جبرئيل فقال قد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[3].

([1])الإصابة، ابن حجر: ج ٤ / ٤٨٤

([2])الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر: ٣ / ١١٤٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب صدر عمر بن الخطاب بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم أخرج ما في صدره من غل وأبدله إيمانا يقول ذلك ثلاثا[٤].

ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليه

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب[٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه كان عمر اتقانا للرب وأقرأنا لكتاب الله[٦].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال مر فتى على عمر فقال عمر نعم الفتى قال فتبعه أبو ذر فقال يا فتى استغفر لي فقال يا أبا ذر أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال استغفر لي أو تخبرني فقال إنك مررت على عمر رضي الله عنه فقال نعم الفتى وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه[٧].

عمرو أبو جحش الليثي!

عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء والصلاة قائمة وثلاثة نفر جلوس أحدهم أبو جحش الليثي قال قوموا فصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم فقال له عمر صل يا أبا جحش مع النبي صلى الله عليه وآله قال لا أقوم حتى يأتيني رجل هو أقوى مني ذراعا " وأشد مني بطشا فيصر عني ثم يدس وجهي في التراب قال

---

(٣)المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج ٣ / ٨٤، وقال: صحيح.
(٤) المرجع السابق: ج ٣ / ٨٤، وقال: هذا حديث صحيح مستقيم.
(٥)المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج ٣ / ٨٥، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.
(٦) المرجع السابق/ ج٣/٨٧
(٧)المرجع السابق/ ج٣/٨٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة.

www.sadalu.net

عمر فقمت إليه فكنت أشد منه ذراعا وأقوى منه بطشا فصرعته ثم دسست وجهه في التراب فأتى علي عثمان فحجزني فخرج عمر بن الخطاب مغضبا حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأي الغضب في وجهه قال ما رابك يا أبا حفص فقال يا رسول الله أتيت على نفر جلوس على باب المسجد وقد أقيمت الصلاة وفيهم أبو جحش الليثي فقام الرجلان فأعاد الحديث ثم قال عمر والله يا رسول الله ما كانت معونة عثمان إياه إلا أنه ضافه ليلة فأحب أن يشكرها له فسمعه عثمان فقال يا رسول الله ألا تسمع ما يقول لنا عمر عندك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن رضى عمر رحمة والله لوددت أنك كنت جئتني برأس الخبيث فقام عمر فلما بعد ناداه النبي صلى الله عليه وآله فقال هلم يا عمر أين أردت أن تذهب فقال أردت أن آتيك برأس الخبيث فقال اجلس حتى أخبرك بغنى الرب عن صلاة أبي جحش الليثي إن لله في سماء الدنيا ملائكة خشوعا لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما يقولون يا رسول الله قال أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت فقلها يا عمر في صلاتك فقال يا رسول الله فكيف بالذي علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي قال قل هذه مرة وهذه مرة وكان الذي أمر به أن قال أعوذ بك بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك[٨].

(٨)المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج ٣ / ٨٧ و ٨٨، هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفاروق والاستسقاء

وإذ سأل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمر بن الخطاب وهو ابن عم زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال: نعم، وفيه شفقة ذي رحم على رحمه.

ودلالة الحديث واضحة في جواز الاستسقاء بالفاضل الحي، وهو هنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، مع وجود المفضول، وهم سائر أصحابه، وعموم أتباعه رضي الله عنهم أجمعين، وعمل الناس على ألا يستسقى إلا بفاضل. ودلك على هذا قول أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون[٩].

إسلام عمر بن الخطاب

إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه[١٠].

وهذه فضيلة عمر الفاروق. وهذا ثناء أخ على أخيه؛ ولأنها قلوب بيضاء كانت متصلة بالله ولها ومولاها. وفيه أنه يلزم للحق قوة تحميه.

قال عبد الله بن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[١١].

وهكذا فمن بين أيدينا صدق نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحين قال: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين.

---

(٩)صحيح البخاري: ٩٧٨
(١٠) السيرة النبوية، ابن كثير: ج ٢ / ٣٢
(١١) صحيح البخاري: ٣٦٨٤

www.sadaf.net

وهذه بصمات عمر! فأين بصمات آحادنا؟!

وإذ قال ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة[١٢]. وهذه ثلاثة: فتحا، ونصرا، ورحمة. وبه فإن فردا واحدا وإذ كان هذا حاله، ومنه فلا يستقل عبد بمواهبه وعطاء الله تعالى له!

ولكن التوكيد ب(إنَّ) ثلاث هكذا جعل من المعنى رجالا صنعوا مجدا لدينهم لا لذواتهم! وإذ كانت هذه بصمات عمر، ومنه فليحدث كل عبد نفسه وما هي بصماته؟

كان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وحين كفل الإسلام حرية الانتقال، دون حواجز، وهذه هي حقوق الإنسان في ديننا، بل وأول مرة، وحين راح الناس إلى النجاشي، ولم يرد قيود ليحدثنا عنها التاريخ، وكما هو عهدنا به.

وإنه لتستوي الأرض في حس المسلم المهم، وشرطه الوحيد أن يتمكن من إقامة دينه، فالأرض أرضه تعالى!

وهذا توزيع النبي صلى الله عليه وسلم للمهام، وكل على ما يصلح له. ولأنه قائد مسدد. والعبد شعار دين أينما حل، فليكن على قدر ذلك!

وهكذا نفر هاجر فأسلم على يديه ملك. وهذا نفر قعد ليحمي بيضة الدين في مهده! وكيما لا تترك قاعدة الدعوة فارغة! حتى وإن أوذوا! وحين بقيت قاعدة الدعوة في مكة، وأساسها النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه كأبي بكر وعمر! ويكأن عمر في وسط شدة البلاء! ولم يحدث نفسه أن يهاجر! وهذا بأسه شديد! وهذه هي الفروق الفردية في ديننا.

([١٢])السيرة النبوية، ابن كثير: ج ٢ / ٣٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإذ قال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله. إن عدم تحديد وجهة الانطلاق، أي نقطة البدء، وإلى أين؟ مشكلتان ينبغي ألا يتوحل فيهما العاملون!

تحديد وجهة الانطلاق، ومن أين؟ من عندما جاء من عند الله!

إن الفصل بين الإيمان بالله ورسوله وبما جاء من عندهما كفصل بين رأس وجسد! ولأنها ثلاث لا تتجزأ! وإذ كانوا يعرفون تبعة إيمانهم تماما! وهو الالتزام بما جاء من عند الله تعالى.

وثلاث لا تتجزأ هي:

١- الإيمان بالله تعالى.
٢- والإيمان برسوله.
٣- والإيمان بما جاء من عند الله.

وهكذا فإن الإسلام يعطف قلوبا، ويرقق ألسنة! فقد كان لعمر موقف محادٌّ لله ورسوله، وها هو يأتي بوجه حان لطيف، عابد حنيف.

وحين أسلم عمر، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة، فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم. وأمتنا لا تخلو عن مثل عمر شكيمة وعزة وإباء!

وهذا تكبير نبينا ﷺ، فقد كان لعمر شأن عظيم. وفيه جواز التكبير لحدث يهم الإسلام. وفيه أن القائد يفرح بإسلام ولو فردا واحدا! فما بالك بعمر؟!

وب (ما جاء) من عند الله. كله غير منقوص! ومنه فإن حصر الإسلام في مسبحة، أو محراب، أو شطيرة، ليس يتواءم مع عظمة ديننا، وليس يتفق مع قيمة إسلامنا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

تكبيرة! مفعول مطلق مصدر لصدور فعله عنه! فكأن التكبير صفة قائمة للعبد! وتكبيرة! مفعول مطلق. أفاد التوكيد اهتماما بإسلام عمر. وهذه بلاغة نبي الأمة ﷺ!

وتكبيرة مفعول مطلق. ويسميه سيبويه "الحدث" و "الحدثان" اهتماما به.

النساء في مكان والرجال في مكان آخر. لا اختلاط. آفة الآفات الاختلاط!

لم يكبر الرسول ﷺ، حين أسلم كثيرون! وهذا بعد نظر النبي ﷺ! وإذ كان لعمر شأن!

وإذ قال عمر: كنت للإسلام مباعدا، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها[١٣].

وهذا تأنيب ضمير لما فات. وفرح بما هو فيه! وهذا شعور جد مهم، وحين يذكر العبد جاهليته بشر، ولما يذكر يوم إسلامه بخير، وليميز الله تعالى الخبيث من الطيب.

وهو الذي دعا ربه: اللهم بين لنا في الخمرِ بيانا شافيا[١٤].

وهي نقلة نوعية بلا شك، وبكل المقاييس! وحين ينتقل العبد من جاهليته، ومن كليتها، وإلى الإسلام، وبكليته أيضا!

وإذ كان عمر فردا واحدا، وكان هذا هو شأنه! فزيادة العدد دون وزن للمعدود لا قيمة لها! ومنه ألا يستقل بإسلام ولو فردا واحدا، فقد يغير الله بسببه موازين القوى!

وقول عمر: كنت للإسلام مباعدا، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها. يضعنا أمام قوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

---

(١٣)البداية والنهاية، ابن كثير: ٣ / ١٠٢

(١٤)جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٧ / ٤٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإن لا داعي لتكبير شأن أكذوبة الإدمان! ولأن عمر هو الذي قال: انتهينا انتهينا، وبه قضي الأمر!

ولكن الذي نفيده من إسلام عمر، وحين تحول من عدو محاد لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، وإلى ولي لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، وإنما نستحضر معه قول الله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وهذا فضل ربك.

ومنه فإن تذكر الشر داعية لمعرفة فضل الخير، ومنه قول حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[١٥].

والمعصية ذل وخسار، والطاعة عز وفوز! والكفر صَغار، والإسلام إكبار! والخمر داعية تثبيط الهمم، واندحار الأمم، وقتل القيم، ووأد الشيم! والمرء بخمره كالحيوان في بهيميته! وانظر كيف مقت عمر الجاهلية! فإنها وبال ونكال. وانظر كيف مجد الإسلام، فإنه نعمة، فاذكر نعمة الله عليك.

([١٥])صحيح البخاري: ٣٦٠٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكان أن مر أحدهم، وهم يناوشون عمر، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر! قال: فمه رجل اختار لشأنه فماذا تريدون؟! وهذه دعوى حرية العقيدة، إلا إذا كان الإسلام!

فعن ابن عمر قال: لما أسلم عمر قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه. قال عبد الله بن عمر: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلام أعقل كما رأيت - حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت، ودخلت في دين محمد ﷺ؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا. قال: يقول عمر من خلفه: كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر. قال: فمه؟ رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك أي بني العاص بن وائل السهمي[١٦].

وعن عبد الله بن عمر قال: بينما هو في الدار خائفا، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير، وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية، فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت، قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها أمنت،

([١٦])البداية والنهاية، ابن كثير: ج٨٨/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبا، قال: لا سبيل إليه، فكر الناس[١٧].

وقال الإمام العماد الحافظ رحمه الله تعالى: وهذا إسناد جيد قوي، وهو يدل على تأخر إسلام عمر؛ لأن ابن عمر عرض يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة وكانت أحد في سنة ثلاث من الهجرة، وقد كان مميزا يوم أسلم أبوه، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحو من أربع سنين، وذلك بعد البعثة بنحو تسع سنين والله أعلم[١٨].

لكن عمر هذا، وحين قذف الله تعالى في قلبه رقة، لم يعهدها قومه، ودلالة على كم هو الرضا، وحين يفتح الله تعالى له وبه قلوبا غلفا. وهذا الذي حدثته أم عبد الله ليلى امرأة عامر بن ربيعة، وحين قال: إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر تعنى زوجها إلى بعض حاجته إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وكنا نتقي منه الأذى والبلاء والشدة علينا فقال إنه لخروج يا أم عبد الله فقلت والله لنخرجن إلى أرض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وتفرست فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا أبا عبد الله لو رأيت ما وقع من عمر[١٩].

ولكن هذا هو الفأل الحسن ومن قولها: حتى يجعل الله لنا مخرجا! ولأنه قد وقع بعدُ. فالمرأة الصالحة قسيمة الرجال العظام في مهامهم العظيمة. وإذ كان هذا قول امرأة، همها ذلك الدين، وليس شيئا آخر!

([١٧])صحيح البخاري: ٣٨٦٤
([١٨])المرجع السابق: ج٢/٨٨
([١٩])السيرة الحلبية، الحلبي: ج ٢/ ٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لكنك رأيت حرية التنقل، وكيف كانت سلسة سهلة، بلا عوائق؟! ولأن الناس ينظرون إلى الأرض ويكأنها أرض الله! وما لحواجز وأسلاك، ومجال جوي، وآخر أرضي، وثالث بحري، ورابع فضائي؟!

ولكنك رأيت أيضا، وحين استأجر القوم سفينة من جيوبهم، وعلى حسابهم الخاص، ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، وهذا الذي نفيده، وحين يغدق العبد من مال الله الذي آتاه، ولحفظ دينه، ومهاجرا إلى الله ورسوله أيضا. وفيه الصبر على البأساء في الله ولله تعالى. فإن العاقبة خير للمتقين.

وهذه همة امرأة مسلمة! وأي جيل يتوقع نباته من امرأة هذا قولها؟! وإلا أن يكون جيلا قائدا فذا فريدا! ومنه كان إعداد الإسلام للمرأة واهتمامه بها كالرجل تماما. وليس يهمهما في ذلك ما يقع عليهما من الإيذاء والقهر! وشدة الإيلام!

وهذه أقوال نساء خرجن من مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم! نساء تربين على مائدة النبي القائد صلى الله عليه وسلم! وهذه أمة لا تعرف ولا يعرفها الخوار!

لم يعرف التاريخ رجلا يساوي ألفا من الرجال إلا القعقاع بن عمرو رضي الله عنه؛ وكان ذلك في معركة القادسية عندما طلب سعد بن أبي وقاص من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبعث له مددا من الجند في مواجهة جيش فارس الذي فاقهم عددا وعدة، فأرسل الخليفة عمر القعقاع بن عمرو، وهو رجل بألف رجل، وقد قيل جيش فيه القعقاع بن عمرو لا يهزم[٢٠].

وأما المبايعة على مثل بيعة النساء فقد كانت بعد ذلك، على وفق ما نزلت عليه آية بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذا

([٢٠])تجارب الأمم، أبو علي مسكويه: ٣٣٢/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

بعجيب، فإن القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في غير ما موطن كما بيناه في سيرته، وفي التفسير[٢١].

وإذ قال عمر الفاروق: خرجت أتعرّض لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و سلّم)، فوجدته سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أتعجّب من تأليف القرآن، فقلت: هذا و اللّه شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ [الحاقة: ٤١، ٤١]، فقلت: كاهن، قال: وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ [الحاقة: ٤٢] حتى ختم السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كلّ موقع[٢٢].

خبر عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما - حتى قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقَّ لها. قال: فقال: أبرّ قسم أمي ولي هنالك مال فآخذه. قال: قلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك. قلت: أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها. فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا بن أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطا، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن.

([٢١])السيرة النبوية، ابن كثير: ج ٢ / ١٨٠

([٢٢])الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني: ٤ / ٤٨٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

قال عمر: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتتن توبة. فقلت له: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت[٢٣].

﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾

أصابت امرأة وأخطأ عمر! حين نهى الفاروق عن مغالاة في المهور قالت امرأة: أيعطينا الله وتمنعنا يا عمر؟! فقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر! هذا دين أوقف عمر عند عدله.

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا لا تغالوا في صدق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين كتاب الله عز وجل أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله عز وجل فما ذلك ؟ قالت: نهيت الناس آنفا أن يغالوا في صدق النساء والله عز وجل يقول في كتابه { وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا } فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني نهيتكم أن تغالوا في صدق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له[٢٤].

﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾. القنطار=١٢٠٠ أوقية×٢٨جم=٣٣,٦كجم ذهب! هذا حساب لمن يشترطون على النساء! وقدر السعة دين أيضا.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ألا لا تغالوا صدق النساء فإنه لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله عز وجل كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه وسلم، ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية، وإن الرجل

---

(٢٣)السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ٢ / ٣٢٦
(٢٤)سنن سعيد بن منصور: ٥٧٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

ليغالي بصدقة امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه، وحتى يقول: كلفت إليك علق القربة وكنت غلاما عربيا مولدا فلم أدر ما علق القربة، وأخرى تقولونها في مغازيكم هذه : قتل فلان شهيدا ولعله أن يكون قد أوقر عجز راحلته أو دابته ورقا وذهبا يطلب التجارة، فلا تقولوا ذلكم، ولكن قولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو قال محمد صلى الله عليه وسلم: من قتل في سبيل الله عز وجل فهو في الجنة. قال إسماعيل: دخل حديث بعضهم في بعض[٢٥].

والشاهد قوله: وإن الرجل ليغلي بصدقة امرأته ، حتى يكون لها عداوة في نفسه ، وحتى يقول: كلفت لكم علق القربة ! وهذا كناية عن شديد تأسف، وبليغ مشقة.

وعن ابن إسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن عن خالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلا عرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم؟ قال: نعم فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول " وآتيتم إحداهن قنطارا " الآية قال: فقال اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل[٢٦].

([٢٥])المرجع السابق: ٥٧٥

([٢٦])تفسير ابن كثير: ١ /٤٧٨. وقال: إسناده جيد قوي.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويؤازره الأثر: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، كان أولاكم وأحقكم بها محمد صلى الله عليه وسلم، ما أصدق امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن الرجل ليثقل صدقة امرأته، حتى يكون لها عداوة في نفسه، ويقول: قد كلفت إليك علق القربة، أو عرق القربة[٢٧].

ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية= ٣٣٦جم ذهب! وربما ساوت ٣٣كجم في زماننا!

عن عمرو بن العاص: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا[٢٨].

عن يعلى بن أمية، قال: قلت لعمر بن الخطاب: {ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا} [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس! فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته[٢٩].

حديث ضعيف ورد في خبر عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري

قال الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥].

([٢٧])صحيح ابن ماجه، الألباني: ١٥٤٤
([٢٨])صحيح البخاري: ٣٦٦٢
([٢٩])صحيح مسلم: ٦٨٦

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عن أبي أمامة الباهلي قال «جاء ثعلبة بن حاطب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا. قال: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا. قال: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا. قال: ويحك يا ثعلبة أما تحب أن تكون مثلي؟! فلو شئت أن يسير ربي هذه الجبال معي ذهبا لسارت. قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا، فوالذي بعثك بالحق إن آتاني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه. قال: ويحك يا ثعلبة، قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيق شكره. فقال: يا رسول الله ادع الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزقه مالا، فاتخذ أو اشترى غنما، فبورك له فيها ونمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة، فتنحى بها، فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل، ثم نمت كما ينمو الدود، فتنحى بها، فكان لا يشهد الصلاة بالليل ولا بالنهار إلا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ، ثم نمت كما ينمو الدود فضاق به مكانه فتنحى به فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ فجعل يتلقى الركبان ويسألهم عن الأخبار، وفقده رسول الله ﷺ فسأل عنه فأخبروه أنه اشترى غنما وأن المدينة ضاقت به وأخبروه خبره، فقال رسول الله ﷺ: ويح ثعلبة بن حاطب. ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ الصدقات، وأنزل الله عز وجل: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ [التوبة: ١٠٣] فبعث رسول الله ﷺ رجلين؛ رجلا من جهينة ورجلا من بني سلمة» يأخذان الصدقة وكتب لهما أسنان الإبل والغنم كيف يأخذانها على وجوهها وأمرهما أن يمرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخرجا فمرا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: أرياني كتابكما فنظر فيه فقال: ما هذا إلا جزية انطلقا حتى تفرغا ثم مرا بي، قال: فانطلقا وسمع بهما السلمي فاستقبلهما بخيار إبله فقالا: إنما عليك دون هذا، فقال: ما كنت أتقرب إلى الله إلا بخير مالي فقبلا فلما فرغا مرا بثعلبة فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه فقال: ما هذا إلا جزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى قدما المدينة فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما: ويح ثعلبة بن حاطب، ودعا للسلمي بالبركة

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأنزل الله ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ الثلاث آيات، قال: فسمع بعض من أقارب ثعلبة فأتى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة، أنزل الله فيك كذا وكذا، قال: فقدم ثعلبة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذه صدقة مالي، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد منعني أن أقبل منك، قال: فجعل يبكي ويحثي التراب على رأسه فقال رسول الله ﷺ: هذا عملك بنفسك أمرتك فلم تطعني، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى، ثم أتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر اقبل مني صدقتي فقد عرفت منزلتي من الأنصار، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها! فلم يقبلها أبو بكر، ثم ولي عمر بن الخطاب فأتاه فقال: يا أبا حفص يا أمير المؤمنين اقبل مني صدقتي، وتثقل إليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج النبي ﷺ، فقال عمر: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أقبلها أنا! فأبى أن يقبلها، ثم ولي عثمان فهلك في خلافة عثمان وفيه نزلت: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ [التوبة: ٧٩] قال: وذلك في الصدقة[٣٠].

(٣٠)تخريج الاحياء، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي: ٣/ ٣٣٤، إسناده ضعيف.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

رؤيا عمر للأذان

ومن لطائف الأذان أنه ضد للمشابهة، وأنه دليل على صحة المتابعة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم، قد عقدوا مجلسهم ليخرجوا بنداء الصلاة لا كما فعل النصارى من ناقوس، وليس كما عمل اليهود من ناقور، عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس يعمل ليضرب به الناس في الجمع للصلاة، أطاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده، فقلت له: يا عبد الله! أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به، فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ قلت: بلى، قال: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، ثم استأخر غير بعيد، قال: ثم تقول إذا أقمت الصلاة: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ما رأيت، فقال: إنها رؤيا حق إن شاء الله تعالى، فقم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك، فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به، فسمع بذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته، فخرج يجر رداءه، ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلله الحمد[٣١].

ومن لطائفه، وكما قد رأيت وكيف اتفقت رؤيا الصحابيين عبد الله بن زيد وعمر الفاروق فيه.

([٣١])السنن الكبرى للبيهقي: ١/ ٣٩٠. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفاروق ومسألة أسرى بدر

عن عبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩]، فأمده الله بالملائكة. قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: صدقت؛ ذلك من مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين. قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار؛ فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا، والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان -نسيبا لعمر- فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم- وأنزل الله عز وجل: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} إلى قوله {فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا} [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]، فأحل الله الغنيمة لهم[٣٢].

موقفه من قاتل حمزة

قال ابن هشام: فبلغني أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول: قد قلت إن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة[٣٣]!

ويكأنه تعالى قد عظم قتل حمزة، فابتلى وحشيا بشرب الخمر، ولم يزل يحد فيها حتى خلع من الديوان، وحتى قال الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه: قد قلت بأن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة!

وإنه ليظل قتل عظماء الملة منارا للسالكين، وسبة في جباه المستكبرين، وانظر كيف حاق بوحشي قاتل حمزة! رغم عمله عملا صالحا!

ولو يعلم عاقل كيف كان وحشي، قاتل حمزة، حبيس ذنبه، إلى أن غاب عن دنياه، لفعل فعل أبي ذر، وحتى يلقى ربه، ألا يصيب دما حراما!

([٣٢])صحيح مسلم : ١٧٦٣

([٣٣])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٤/ ٢٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفاروق وفرخ الطائر!

عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير، فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذي أخذه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم والله لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخ هذا[٣٤].

الفاروق وأسباب النصر

وعلى ما ذكره الفاروق عمر بن الخطاب للجيوش الإسلامية: "إنكم تنصرون عليهم بطاعتكم لله ومعصيتهم لله، فإن تساويتم في المعصية كانت لهم الغلبة عليكم بقوة العدة والعتاد".

قال عمر: سيدنا الله!

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أهل قريظة نزلوا على حكم سعد فأرسل النبى -صلى الله عليه وسلم- إليه فجاء فقال: «قوموا إلى سيدكم -أو قال- خيركم» فقعد عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «هؤلاء نزلوا على حكمك قال: «فإنى أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم» فقال: لقد حكمت بما حكم به الملك[٣٥].

وعن عائشة أم المؤمنين أن نبينا قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه، فقال عمر: سيدنا الله عز وجل، قال: أنزلوه، فأنزلوه[٣٦].

وإذ قال نبينا ﷺ «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» قال عمر: سيدنا الله، قال: «أنزلوه» فأنزلوه. يلاحظ في هذا عدم مؤاخذته ﷺ لعمر! وحين اعترض أن سعدا سيدهم!!!

([٣٤])البدور السافرة السيوطي: ٢٧٨. حكم المحدث: إسناده صحيح.
([٣٥])صحيح البخاري: ٥٩٣٢
([٣٦])السلسلة الصحيحة، الألباني: ٦٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

إن عدم تقريعه ﷺ عمرا حين اعترض أن سعدا سيدهم! برهان حلمه ﷺ مع رعيته، ولئن قالوا غير قوله! وبه تتقدم الأمم، وحين كان فيهم من يقول لواليه: لا!

لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها! هذا نظام عمر، وهو نفسه الذي رد بأدبه الجم على نبينا ﷺ، وأن سيدهم هو الله! سننا وهديا حسنا.

وهذا الخبر ولئن كان فيه مقال؛ علة أن فيه أبا بكر الهذلي، وهو سلمى بن عبد الله، وقال عنه الذهبي في الميزان: واه. إلا أن سيرة عمر رضي الله تعالى عنه تشهد بصلاحيته للاحتجاج.

وكان أبو بكر- الهذلي- من العلماء بأخبار الناس وآبائهم، حكى عن أبي العباس السفاح أنه كان يقول: ما رأيت أحدا أغزر علما من أبي بكر الهذلي، لم يعد علي حديثا قط. وقال أيضا حدثنا مسلم، حدثنا أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف ليس حديثه بشيء[٣٧].

لم أر عبقريا يفري فريه

أصابت امرأة وأخطأ عمر! هذا نظام عمر! وحين يدلي برأيه على نبينا ﷺ مرة، وحين يتيح مجالا لامرأة أن تحاجه على منبره، في مسألة المهور، وعلى رؤوس الأشهاد عبرة وذكرى! وحين تأيد من السماء غير مرة، ولهذا فقد كان عبقريا لم يفر أحد فريه!

وإذ قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بنت ذي الغصة - يعني: يزيد بن الحصين الحارثي - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صفة النساء طويلة، في أنفها فطس: ما ذاك لك، قال: ولم؟ قالت: إن الله قال { وآتيتم إحداهن قنطارا } الآية، فقال عمر: امرأة أصابت، ورجل أخطأ[٣٨].

([٣٧])تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج ٩ /٢٢٢

([٣٨])تفسير ابن كثير: (١ / ٤٦٨)

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

وهذا الخبر وإن كان فيه كلام هو الآخر، إلا أنه بلغ حد الشهرة، وبلا نكير وكان ولا يزال محل استشهاد به، ولتوافقه مع يسر الإسلام وسماحته، ولأنه لو كان نبينا صلى الله وسلم حيا، وكذا عمر الفاروق، لقال كل منهما قولا آخر في مهور أهل زماننا!

والجواب: أن هذه القصة دليل على كمال فضل عمر ودينه وتقواه ورجوعه إلى الحق إذا تبين له، وأنه يقبل الحق حتى من امرأة، ويتواضع له، وأنه معترف بفضل الواحد عليه ولو في أدنى مسألة، وليس من شرط الأفضل أن لا ينبهه المفضول لأمر من الأمور، فقد قال الهدهد لسليمان { أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين } [سورة النمل / ٢٢]، وقد قال موسى للخضر { هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا } [سورة الكهف / ٦٦]، والفرق بين موسى والخضر أعظم من الفرق بين عمر وبين أشباهه من الصحابة، ولم يكن هذا بالذي أوجب أن يكون الخضر قريبا من موسى فضلا عن أن يكون مثله، بل الأنبياء المتبعون لموسى كهارون ويوشع وداود وسليمان وغيرهم أفضل من الخضر. وما كان عمر قد رآه فهو مما يقع مثله للمجتهد الفاضل[٣٩].

وهذا حديث من رواية ولده عبدالله بن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا، أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس، وضربوا بعطن[٤٠].

إن الراعي الأشم هو ذاك الذي تستوي عنده رعيته وحين قالت: نعم! وحين قالت: لا! ولأنه يعلم نية حسنة، أو هكذا في قائليها! لتتفتح آفاق مجدهم من أمامهم معا!

سجل التاريخ لنبينا ﷺ، وإذ قال له عمر: سيدنا الله! وسجل التاريخ لنبينا ﷺ أنه حليم أعظم حلمه، وأنه عفو أقصى عفوه، وأمام رعية قالت له: لا!!

---

(٣٩)منهاج السنة النبوية، ابن تيمية: ج ٦/٧٦,٧٧

(٤٠)صحيح البخاري: ٣٦٨٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وسجل التاريخ لعمر أنه قال لواليه ﷺ:لا! ولأنه ليس يريد إلا الإصلاح ما استطاع إليه سبيلا، وهكذا افتراض حسن النية في قائلي حق، وحين رأوه هكذا!

إنه حين قال عمر: سيدنا الله! رد ﷺ: أنزلوه ولم يكرر: سيدكم، هكذا في إقرار لطيف متبادل، كان الإدلاء بحق والرد عليه سلوكا يحتذي وهديا يقتدى!

إن منظومات الإدارة وأدوات الحكم، وحين تغدو متبادلة آراء المجد والرفعة، وفي هكذا لطف مناخ، واعتدال طقس، لتخرج منه بقرار يهدي إلى الرشد وإلى صراط مستقيم!

إن تبادلا للرأي بين عمر الفاروق ونبينا ﷺ في مسألة تسويد سعد هدي وخير، وذلك كيما يتركوا لنا هكذا إرثا رقراقا، منه نفيد، وعلى سننه نسعى!

إن غرفة الاجتماعات لتستقبل روادها، وذلك حين يفرغ أحدهم جعبته من رأي رآه حقا مطلقا، ولربما كان باطلا مطلقا!! وحين أودع مجلس التناصح والبحث الإيماني الهادف، وحين كان مكللا بخلق حميد وسمت جميل!

إن الذهاب إلى الاجتماع صحبة رأي لا تنازل عنه يفرغه من هدفه، وليحل عندها صخب لإبليس خيم، وليخرج الناس ليس يجمعهم جامع إلا ما أوحاه إبليس!

إنه حين نزل القرآن بتأييد عمر الفاروق غير مرة، وإنما كان ذلك إعلاما للولاة أن فردا يملك حقا ليسوا بمالكيه، وها هو إذ قد أيدته السماء! وذلك برهان أن الله تعالى أودع الحكمة في قلوب عباده، ورشيدة أمة استفرغت هذه الدرر من مكامنها، من قلوب رجال كان الأصل فيهم أنهم حكماء، وحين أودعهم ربهم حكمة، هي ضالة المؤمن، وهو أحق بها، أينما وجدها فهو أحق بها!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإذ تأخرت أوروبا يوما، وحين أمعنت الكنيسة في إذلال المبتكرين، ولأنها لم تتصور حقا جاؤوا به، وإذ رهبانها في صوامعهم متكئون! حتى خيم عليهم ظلام دامس!

حين أحكمت الكنيسة رأيها، وحين تعصبت لرؤيتها، باسم الثوابت والفروع، خرج الناس عن سلطانها، فلا أبقت أصلا ولا أعملت فرعا، فجمعت بين نقيضين!

وإذ كان خروج أوروبا عن طغيان كنيستهم جائرا كجورها تماما! إذ خلعوا سلطانها كله، ولما تشددت، وكان وسطا أن يبقوا على القيم، وإن أطلقوا للبحث العلمي عنانه.

إن عمر الفاروق وحين قال: لا! لم يخرج عن ثابت، ولم يهمل فرعا! وهكذا جمع بينهما، مع رأي وحرب ومكيدة، كان عنوانها الحباب بن المنذر يوم بدر!

حين فصل ليوجد أصل وفرع وحين التعبد لله فلا أصل ولا فرع! بل كله أصل! ولأنه: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره!

قال عمر لعائشة أم المؤمنين يوم الأحزاب: ما جاء بك والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تحوز!

فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلت فيها!

وهذا هو فضل قول الحق الذي يمتري فيه الأغيار، وحين أثلج عمر صدور قوم مؤمنين، بتوجيه كهكذا لأمه أم المؤمنين! لكن الحق أحق أن يتبع، ولو كانت أمه وأم المؤمنين، غيرة لحق، وحمية لدين، رأى من حشمة النساء وإلزامهن مواطن الأمن، وبعدهن عن موارد الريبة، تطهيرا وتزكية!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإنه لقول خير، ورأي هدي، وتوفيق رب كريم، أن يوجد في أمتنا من أمثال عمر وحين يقول بمليء فيه: لا! ولو كان لبيت الوالي الأعظم!!

والفرض أن الوالي الأعظم ليسره ذاك الأشم عمر، وأن لو تمنى أمثاله كثر لا مثلا واحدا!!

وهذا هو مطلق الجمع الحميد بين إقرار الأصول والحفاظ على الفروع، ثم الإدلاء بالرأي والحرب والمكيدة دربا للحباب، وهديا للفاروق، وعلى مسمع من والينا الأعظم ﷺ، وهو إذ وكأني به مسرور، وهو إذ وكأني به في رضا وحبور، وأن كان من أمته أمثال القائلين بحلمهم: لا!!

رحماء بينهم! فو الذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر، من بكاء أبي بكر، وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله: رحماء بينهم. هذا وصف عائشة وحين احتضر سعد!

كان كل فرد من أصحاب نبينا ﷺ أمة وحده! ويحار لب ويختلج فؤاد بأيهم يصف أو ينعت أو يشيد! حتى بلغ من إلفهم وصف السماء أنهم رحماء بينهم!

تمثل واقعة موت سعد بن معاذ كشفا لحال أمة، وحين تبكى شهيدا زفته السماء إلى حوره العين ينتظرن وروده، وإلى جنات الفردوس وإذ تتهيأ لاستقباله!

وإذ كيف لا يبكي الصديق سعدا، وإذ كيف لا ينعيه عمر، وها هو ذاك الذي أمرهم نبيهم أن ينزلوه من فوق حمار؛ ليحكم بحكم ربه، وكفلق الصباح نورا؟!

كان بكاء الصديق والفاروق على سعد نحيبا مسموعا، برهان رحمة في قلوب المؤمنين، وإذ لا فارق هاهنا بين أنصار كسعد بن معاذ، أو كمثلهما مهاجرين!

وصفت عائشة نبينا ﷺ أنه كان لا يبكى على أحد! وبكى ﷺ على ابنه إبراهيم ف: إن العين تدمع، وإن القلب يحزن، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته. هذا حديث حسن في مقابلة، حديث بكائه ﷺ على ابنه إبراهيم في الصحيحين!

ففي حديث أنس بن مالك:... إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[٤١].

وعن عائشة أم المؤمنين: حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر سعد بن معاذ، وهو يموت في القبة التي ضربها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، قالت: والذي نفس محمد بيده، إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإني لفي حجرتي، فكانا كما قال الله: {رحماء بينهم} [الفتح: ٢٩]. قال علقمة: فقلت: أي أمه! كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع؟ قالت: كان لا تدمع عينه على أحد، ولكنه كان إذا وجد، فإنما هو آخذ بلحيته[٤٢].

إن الكريم يجزي الكريم: هذا رد الزبير بن بطا على ثابت بن قيس، وإذ كان قد أجاره يوم بعاث، وها هو ثابت يشفع له يوم بني قريظة؛ ردا لجميله!

إن العاقل ليندهش، وحين طلب الزبير بن باطا من ثابت بن قيس أن يجز عنقه؛ وإذ لا خير في حياته بعد موت حيي بن أخطب، وبدل أن يؤمن أو ينجو بنفسه، منحة وفضلا من عليه بها ثابت بن قيس!!

إن حمية الجاهلية لا وصف لها إلا أنها جاهلية! مقتا وسبة وعيبة، وإلا لأتى القرآن بغيره نعتا لها، ومنه إصرار الزبير بن باطا على قتله، وكمثل حيي بن أخطب!

([٤١])صحيح البخاري: ١٣٠٣

([٤٢])تخريج سير أعلام النبلاء، شعيب الأرناؤوط: ٢٨٦/١. حكم المحدث: إسناده حسن.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

استشراف عمري كريم

نزول الحجاب ليلة عرس زينب بنت جحش!

ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب!

كان نزول الحجاب ليلة عرس زينب بنت جحش رضي الله عنها على نبينا ﷺ، برهان أن هذا الدين يعطي مساحة واسعة لعفاف أمته، وكيما تتنشأ أجيالها على طهارة من رجس، وتحصين من ميل الشهوات، والتي تجعل من الإنسان لا عبدا لمولاه، بل عبدا لشيطانه وشهواته وهواه، وهو ما يخرجه حتما من مصاف الأعلين الأطهار، إلى درك الأسفلين الأشرار، فليس يكاد إلا وكدمية، تروح به شهواته شرقا حينا، أو غربا حينا آخر!

وإذ كان اهتمام ديننا بحجاب المرأة المسلمة، وليكسوها فوق وقارها وقارا، وليمنحها مع هيبتها هيبة، وليزينها مع زينتها زينة، فتبدو عالية، علو قمر ليلة بدره، وتتألق سامقة، وكسماء تطاول عن إمساك، وتتأبى على إمساس ولو بطرفها!

وإذ كان نزول الحجاب ليلة عرس زينب بنت جحش، وعلى استشراف عمري كريم؛ برهان أن أمتنا غنية برجال، يوافقون شرع سمائهم، وحين يتنزل قرآن يحكي مرآهم، ويؤيد مسعاهم، وإن كل ذلك إلا فطرة نطقوا بها، ولا يفطر الناس إلا على دين ربهم كله، حنيفية سمحة، تعلو بأصحابها إلى آفاق الخير والهدى والصلاح والعفة والطهارة، ولعل تنويها بما قد رآه الفاروق، وحين أوحى إلى نبينا ﷺ ما توافق مع فطرته، أن تحتجب نساؤه، ومعللا أنه يدخل عليه بر وفاجر.

ف" قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب،

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)، فنزلت هذه الآية[٤٣].

وعن أبي ذر الغفاري: إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به[٤٤].

وهذا الذي نرى أثره في مواقفه، وحين تأيدت بقرآن متلو، لا نحني أمامه برؤوسنا، بل نشيد بأن أمتنا كان فيها عمر، وإذ تأيد بالوحي غير مرة!

الفاروق يوم ذي قرد

فعن سلمة بن الأكوع قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مئة، وعليها خمسون شاة لا ترويها، قال: فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبا الركية، فإما دعا، وإما بصق فيها، قال: فجاشت، فسقينا واستقينا، قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في أصل الشجرة، قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع، وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس، قال: بايع يا سلمة قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله، في أول الناس، قال: وأيضا، قال: ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلا، يعني ليس معه سلاح، قال: فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حجفة، أو درقة، ثم بايع، حتى إذا كان في آخر الناس، قال: ألا تبايعني يا سلمة؟ قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله، في أول الناس، وفي أوسط الناس، قال: وأيضا، قال: فبايعته الثالثة، ثم قال لي: يا سلمة، أين حجفتك، أو درقتك، التي أعطيتك؟ قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر عزلا، فأعطيته إياها، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي، ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا، قال: وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله

([٤٣])صحيح البخاري: ٤٠٢
([٤٤])صحيح أبي داود، الألباني: ٢٩٦٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

أسقي فرسه، وأحسه، وأخدمه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي، يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم، قال: فاخترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثا في يدي، قال: ثم قلت، والذي كرم وجه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات، يقال له: مكرز يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس، مجفف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم، يكن لهم بدء الفجور، وثناه، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله: {وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم} الآية كلها. قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلا بيننا وبين بني لحيان جبل، وهم المشركون، فاستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رقي هذا الجبل الليلة، كأنه طليعة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين، أو ثلاثا، ثم قدمنا المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره مع رباح، غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة، أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، قال: فقلت: يا رباح، خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه، قال: ثم قمت على أكمة، فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثا: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز، أقول: أنا ابن الأكوع... واليوم يوم الرضع فألحق رجلا منهم فأصك سهما في رحله، حتى

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

خلص نصل السهم إلى كتفه، قال: قلت: خذها. وأنا ابن الأكوع... واليوم يوم الرضع قال: فو الله، ما زلت أرميهم وأعقر بهم، فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل فجعلت أردیهم بالحجارة، قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري، وخلوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رمحا، يستخفون ولا يطرحون شيئا إلا جعلت عليه آراما من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون، يعني يتغدون، وجلست على رأس قرن، قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البرح، والله، ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا، قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، قال: فلما أمكنوني من الكلام، قال: قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم، لا أطلب رجلا منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني، قال أحدهم: أنا أظن، قال: فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر، قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، قال: فأخذت بعنان الأخرم، قال: فولوا مدبرين، قلت: يا أخرم، احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن، فطعنه فقتله، فو الذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم، لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولا غبارهم شيئا حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فيه ماء يقال له: ذو قرد ليشربوا منه، وهم عطاش، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه، يعني أجليتهم عنه، فما ذاقوا منه قطرة، قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية، قال: فأعدو فألحق رجلا منهم، فأصكه بسهم في نغض كتفه، قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع قال: يا ثكلته أمه، أكوعه بكرة؟ قال: قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، قال: وأردوا فرسين على ثنية، قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت وشربت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي حلأتهم عنه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله، خلني فأنتخب من القوم مئة رجل فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه في ضوء النار، فقال: يا سلمة، أتراك كنت فاعلا؟ قلت: نعم، والذي أكرمك، فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان، قال: فجاء رجل من غطفان، فقال: نحر لهم فلان جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا، فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة، قال: ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهم الفارس، وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعا، ثم أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، قال: فبينما نحن نسير، قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه، قلت: أما تكرم كريما، ولا تهاب شريفا، قال: لا، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت: يا رسول الله، بأبي وأمي، ذرني فلأسابق الرجل، قال: إن شئت، قال: قلت: اذهب إليك وثنيت رجلي، فطفرت فعدوت، قال: فربطت عليه شرفا، أو شرفين، أستبقي نفسي، ثم عدوت في

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إثره، فربطت عليه شرفا، أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه، قال: فأصكه بين كتفيه، قال: قلت: قد سبقت والله، قال: أنا أظن، قال: فسبقته إلى المدينة، قال: فو الله، ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم. تالله لولا الله ما اهتدينا... ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما استغنينا... فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكينة علينا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من هذا؟ قال: أنا عامر، قال: غفر لك ربك، قال: وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله، لولا ما متعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر، قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه، ويقول: قد علمت خيبر أني مرحب... شاكي السلاح بطل مجرب. إذا الحروب أقبلت تلهب قال: وبرز له عمي عامر، فقال: قد علمت خيبر أني عامر... شاكي السلاح بطل مغامر قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت، فإذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، بطل عمل عامر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال ذلك؟ قال: قلت: ناس من أصحابك، قال: كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين، ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد، فقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله، قال: فأتيت عليا، فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبسق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية، وخرج مرحب، فقال: قد علمت خيبر أني مرحب... شاكي السلاح بطل مجرب. إذا الحروب أقبلت تلهب فقال علي:

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أنا الذي سمتني أمي حيدره... كليث غابات كريه المنظره. أوفيهم بالصاع كيل السندره قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[٤٥].

أتصلي على ابن أُبَي؟

وعن عمر بن الخطاب: لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فلما قام رسول الله عليه السلام، وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي، وقد قال يوم كذا وكذا: كذا وكذا، أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أخر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خيرت فاخترت، ولو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له زدت عليها. قال: فصلى عليه[٤٦].

يوم الحديبية

قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه؛ فوالله إنه على الحق، قلت:

([٤٥])صحيح مسلم: ١٨٠٧

([٤٦])تخريج مشكل الآثار، شعيب الأرناؤوط: ٦٨ ، صحيح.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا[٤٧].

وإذ لا ننسى وجوب القول والمشاركة، وعلى شروطنا الماضية؛ ولأنه قال أبو يوسف: وحدثني أبو بكر بن عبد الله الهذلي عن الحسن البصري أن رجلا قال لعمر بن الخطاب: اتق الله يا عمر "وأكثر عليه" فقال له قائل: اسكت فقد أكثرت على أمير المؤمنين. فقال له عمر: دعه، لا خير فيهم إن لم يقولوها لنا، ولا خير فينا إن لم نقبل. وأوشك أن يرد على قائلها[٤٨].

وإذ قالها الفاروق- فعلام نعطي الدنية في ديننا-؟ وإذ هدأه الصديق، وهذا عنوان إيجابية هذه الأمة، وحين تقول وتشير، وحين يأخذ بعضها على أيدي بعضها، فتنهض، وتعلو، وتسمق، وحين كان من بينها كأمثال عمر الفاروق، لا سلبية تجاه قضاياها المصيرية العليا، وإذ كان فيها أيضا وكمثل الصديق، ما يخفف عن أخيه الفاروق ما أهمه، وحين قال له: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله. وإذ كان يقينا أن الفاروق تكلم فيما يعني أمة، بتاريخها الطويل الممتد، ولذا سجل التاريخ لها هذا المضاء الشامخ العالي، وكيما يكون أسوة وسنة حسنة للأجيال جميعا، وجيلا من بعد جيل آخر، ورحم الله أمة كان من وصفها أنها أمة مرحومة، وكان من رحمتها تلك مشورتها، وإدلاؤها رأيها، وقولها قولا حسنا، وحين يربت كل على صدر أخيه، وهو إذ يقول ذلكم القول الحسن الجميل، ولأنه تعالى أمر فأوجب حين قال: ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [البقرة:٨٣].

الإشهاد على اتفاق الصلح: وكما شهد على الاتفاق فريق من المؤمنين وفريق من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن

([٤٧])صحيح البخاري: ٢٧٣١
([٤٨])كتاب الخراج لأبي يوسف:٢٢/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:٢٧].

وإذ كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أري في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: " بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا " قال: لا قال:" فإنك آتيه ومطوف به ". وبهذا أجاب الصديق - رضي الله عنه - أيضا حذو القذة بالقذة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾[٤٩].

ونفس عبارة: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ وكتأكيد على أن هذه العبارات هي نفس عبارات عمر والصديق.

فعن سهل بن حنيف: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى. فقال: أليس قتلانا في

([٤٩])تفسير ابن كثير، ابن كثير: ج ٤ / ٢١٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: نعم[٥٠].

وإذ قال الفاروق: ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت. ومنه فرب ذنب أورث خشية!

وإذ قال الفاروق عمر: اتهموا الرأي على الدين، فقد رأيتني أرد أمر رسول الله برأيي. ومنه فلا تقدم عقلك على النص، فالذي أنزله يعرف أين مصلحتك فيه! فتكون قد نلت شرف العبودية ومصلحة الطاعة للنص.

(٥٠)صحيح البخاري: ٣١٨٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ما أحببت الإمارة إلا يومئذ

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال: امش، ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك قال فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على الله[٥١].

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢].

وعن عبدالله بن عمر أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول قال: فحدثت به ابن سيرين، فقال: غير متأثل مالا[٥٢].

([٥١])صحيح مسلم: ٢٤٠٥
([٥٢])صحيح البخاري: ٢٧٣٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا تصرف يقطر منه عبق الإيثار، وهذا إيثار يحكي للتاريخ عن نفسه، مائدة يتحلق حولها الباذلون، وليعرف الناس كيف كان هذا الجيل! ولما كانت هكذا الدنيا في عقدهم ونظرهم، ولما هانت عليهم أقبلت إليهم!!

إبدال الهدي الواجب:

اختلف الفقهاء في حكم إبدال الهدي الواجب إلى ثلاثة آراء:

الرأي الأول: ذهب الجمهور (المالكية والشافعية وأبو الخطاب من الحنابلة) إلى أنه لا يجوز إبداله مطلقا ولو كان بمثله أو بخير منه، لأن ملكه قد زال عنه بالنذر والتعيين وعليه ذبحه بعينه.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أهدى عمر بن الخطاب نجيبا فأعطى بها ثلاث مائة دينار، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا رسول الله، إني أهديت نجيبا فأعطيت بها ثلاث مائة دينار، أفأبيعها وأشتري بثمنها بدنا»، قال: «لا انحرها إياها»[٥٣].

فلو كان إبدالها أو بيعها جائزا بعد النذر أو التعيين عما في الذمة من دم واجب لأذن فيه لأن البدن أكثر لحما من النجيبة، وهو أنفع للمساكين[٥٤].

سرية سيف

ويوم سرية سيف البحر حيث كان الفاروق عمر بن الخطاب رضي اله تعالى عنه من جند أبي عبيدة وتحت إمرته!

([٥٣])أخرجه أبو داود (١٧٥٦)، وأحمد (٢/ ١٤٥). والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (٣٨٥)

([٥٤])صحيح البخاري: ١٦٠٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فتح مكة

فعن عمر بن الخطاب لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا[٥٥].

فإذا نظروا قال وا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال من هذا وقام إلي فلما رآه على عجز الدابة عرفه[٥٦].

مسألة الإرث

وهل ترك لنا عقيل: من رباع؟!

عن أسامة بن زيد يا رسول الله، أين تنزل في دارك بمكة؟ فقال وهل ترك عقيل: من رباع أو دور؟ وكان عقيل: ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرثه جعفر ولا علي رضي الله عنهما شيئا؛ لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل: وطالب كافرين، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا يرث المؤمن الكافر. قال ابن شهاب وكانوا يتأولون قول الله تعالى ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ [الأنفال ٧٢][٥٧].

إهدار دم سارة مولاة بني عبد المطلب: وكذا سارة مولاة لبني عبد المطلب، ولعكرمة بن أبي جهل، لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ، وهي بمكة، وهي التي قد تقدم عن بعضهم أنها هي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، وكأنها عفى عنها أو هربت، ثم أهدر دمها، والله أعلم فهربت

---

(٥٥)صحيح الترمذي، الألباني ٢٣٤٤

(٥٦)شرح معاني الآثار، الطحاوي: ٣/ ٣٢٠. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

(٥٧)صحيح البخاري ١٥٨٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها، وأما سارة فاستؤمن لها فآمنها ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها[٥٨].

والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا

وهذا هو نداء عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه، ومن فوق منبره؛ ليسمع العالم كله؛ وليسمع التاريخ، وحين سجله له موقفا خالدا أيها الناس من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه، فقام له رجل وقال والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا، فقال عمر الحمد لله الذي يقوم اعوجاج عمر بالسيف[٥٩]!

وهذا كناية عن المبالغة في الأخذ على يد الأمير، وإلا فإنه ليس كل اعوجاج يقوم بالسيف، وإلا اختل الأمن، وفقد الأمان، وانشل النظام.

ويكأنه برهان أمة عز أفرادها، وحين أخذوا على أيدي بعضهم بعضا، فنجوا، ونجوا جميعا، لا أن يغرقوا، ويغرقوا جميعا أيضا!

وهذا الذي حدث، يوم أن وقف كل من عبد الله بن عمر وسالم مولي بني حذيفة موقفا مخالفا لعهد خالد، ولفعله في بني خذيمة، ولو كان تأولا، وحين وضح لهم الحق.

([٥٨])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٤ / ٣٤١

([٥٩])أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلابي: ١٤٢/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

صلاة المسافر

وهذا لما رواه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين ويقول يا أهل البلد صلوا أربعا فإنا قوم سفر[٦٠].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه لما صلى بمكة قال يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر[٦١].

مسألة بيعة النساء

وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا. قال فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء، وفيهن هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لحدثها، لما كان من صنيعها بحمزة فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال «بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئا». فقالت هند والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه من الرجال؟ «ولا تسرقن» فقالت والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة، وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالا أم لا؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهدا لما تقول - أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل. فقال رسول الله ﷺ «وإنك لهند بنت عتبة؟». قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك. ثم قال «ولا يزنين». فقالت: يا رسول الله وهل تزني الحرة؟ ثم قال «ولا تقتلن أولادكن». قالت: قد ربيناهم صغارا حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كبارا، فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق. ثم قال «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن» فقالت والله إن إتيان البهتان

([٦٠])ضعيف أبي داود، الألباني: ١٢٢٩

([٦١])مجموعة الرسائل والمسائل: ابن تيمية٢/٣٠٦. حكم المحدث صحيح.

السلالة الفكرية والثقافة
www.sadalu.net

لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل. ثم قال «ولا يعصينني». فقالت في معروف. فقال رسول الله ﷺ لعمر «بايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم». فبايعهن عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء، ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه[٦٢].

يا رسول الله إنه كان عليَّ اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يفي به

هذه رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، وأن ذلك موجب أن هذا الدين دين الوفاء، ومن حيث كان الوفاء بالنذر دينا، ومن حيث كان الوفاء بالنذر المباح دينا أيضا، ولأن هذا الدين لم يأت ناقضا لكل ما كان موجودا في الجاهلية، بل جاء لينقض ما كان مخالفا، وليبقي على ما كان محالفا، ولا سيما أن النذر ههنا قد كان لله تعالى العلي الأعلى سبحانه، وإلا كان قد بينه النبي صلى الله عليه وسلم، أو على الأقل أخذا للأمور، وعلى ظواهرها، وليست هنالك دواع لذلكم بحث. فيما وراء الجدر!

وهذا من لطف هذا الدين، ومن حيث توافر شرط النية، ووجود الإخلاص، وكون أن العبد إنما يفعل فعله، أو أن يتركه ويذره، وإنما كان على الصفة المشروعة شرعا، وإنما كانت هذه الصفة بركنيها، وعماد ذلك هو الموافقة للشرع، وإن الإخلاص له تعالى هو المكون الأساس، ومن بعد صدق هذه المتابعة، ومواصفاتها لمتطلبات الشرع الحكيم.

وإلا أن هذا ليس يصرفنا عن ذكر أمور كانت يوم الجعرانة:

وإذ كان منها: هو أداؤه صلى الله عليه وسلم عمرة في يوم الجعرانة هذا، وقد كانت في ذي القعدة من أواخر السنة الثامنة من الهجرة.

([٦٢])السيرة النبوية، ابن كثير: ج ٣ / ٦٠٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا مناسبة أن قوما ذهبوا إلى أنه صلى الله عليه وسلم قد اعتمر ثلاثا أو أربعا، وهل اعتمر في رجب أم لا؟

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن نافع مولى ابن عمر أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّه كانَ عَلَيَّ اعْتِكَافُ يَومٍ في الجَاهِلِيَّةِ، فأمَرَهُ أنْ يَفِيَ به، قالَ: وأَصَابَ عُمَرُ جَارِيَتَيْنِ مِن سَبْيِ حُنَيْنٍ، فَوَضَعَهُما في بَعْضِ بُيُوتِ مَكَّةَ، قالَ: فَمَنَّ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى سَبْيِ حُنَيْنٍ، فَجَعَلُوا يَسْعَوْنَ في السِّكَكِ، فَقالَ عُمَرُ: يا عَبْدَ اللَّهِ، انْظُرْ ما هذا؟ فَقالَ: مَنَّ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى السَّبْيِ، قالَ: اذْهَبْ فأرْسِلِ الجَارِيَتَيْنِ، قالَ نَافِعٌ: ولَمْ يَعْتَمِرْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الجِعْرَانَةِ ولَوِ اعْتَمَرَ لَمْ يَخْفَ علَى عبدِ اللَّهِ. وزَادَ جَرِيرُ بنُ حَازِمٍ، عن أَيُّوبَ، عن نَافِعٍ، عن ابْنِ عُمَرَ، قالَ: مِنَ الخُمُسِ، ورَوَاهُ مَعْمَرٌ، عن أَيُّوبَ، عن نَافِعٍ، عن ابْنِ عُمَرَ: في النَّذْرِ ولَمْ يَقُلْ يَومٍ[٦٣].

وقد مر بنا كثير مما أبقاه الإسلام الحنيف الخالد، وكما هو، ولم يغير منه شيئا، ومن حيث كان موافقا لأصول الملة، ولم يك مخالفا لقواعد الديانة. وها نحن حدثاء عهد بنذر عمر الفاروق رضي الله تعالى، وقد أقره عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بالوفاء به.

عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، أنَّه قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي نَذَرْتُ في الجَاهِلِيَّةِ أنْ أعْتَكِفَ لَيْلَةً في المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقالَ له النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوْفِ نَذْرَكَ. فَاعْتَكَفَ لَيْلَةً[٦٤].

وهذا الذي كان منه أيضا هذا قول عبد الله بن عمر، وردا على والده عمر الفاروق رضي الله تعالى عنهما، وحين رأى سبي المسلمين، ومن غزوات حنين وأوطاس ويوم الطائف معا، ولأن هذه الغزوات الثلاث كانت بمثابة عنوان واحد لفصل واحد من فصول هذه السيرة المباركة، وإن

([٦٣])صحيح البخاري: ٣١٤٤
([٦٤])صحيح البخاري: ٢٠٤٢

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

تمايزت كل منها بوحدتها الموضوعية المستقلة، وليخبره بما علم، وأن هذا النبي العربي الأمي الكريم صلى الله عليه وسلم كان من الرحمة ما بلغ بها وسعها، وكان من العفو ما أشرقت له شمس الإسلام وعم ضحاه، وورفت ظلاله، وخيم على الناس ريها.

وأن يصدر عفو عام من القائد الأعلى للقوات المسلحة الإسلامية، فإن هذا عمل تربوي تدريبي لمن هم سواه؛ ولأن القدوة الحسنة وإنما يترسم الهداة سبيلها، وهذا الذي حدث يوم ذلك، وحين علم الفاروق عمر، وإلا وسرعان ما أمر ابنه عبد الله أن يطلق جاريتين، كان قد نالهما، حظا ونصيبا، ومن قسمة يوم الجعرانة.

وهذا الذي نركز عليه أمرنا، وإذ ما كان يجد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بابا لإعتاق جارية إلا فتحه، وما كان يلفى ولو ثقبا لتحرير رق إلا أعمله وفعله صلى الله عليه وسلم.

الفاروق يوم العسرة

ولكننا نتساءل، وكما تساءل الناس يومهم هذا، وعن عسرة إخوانهم يوم تبوك، ولننظر كيف كان قول الفاروق أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وحين أخبر حَرًّا، ولما أنبأ قيظا، وعطشا، وكما واجهوها، وعلى وجه شدة؛ ولأنها عسرة، وحتى بلغت أرواحهم حلاقيمهم.

وحين اضطروا إلى نحر إبلهم، ليعصروا أكراشها، وليشربوا ماءها! وليضعوها بعد على أكبادهم! وبه صارت البلوى ثلاثا، ولما لم يجدوا رواحل تحملهم، أو مياها ترويهم، أو طعاما يشبعهم، وهذا الذي ضاعف الخطب، وأمام أولاء الصابرين المحتسبين.

ولكن هذا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وإذ يطلب من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه، ولأن ربه تعالى قد عوده خيرا! وهذا هو الظن الحسن بالله تعالى العلي الأعلى سبحانه. وحين لا يرد سائلا، ولما يجيب مضطرا، إذا دعاه، وليكشف عنه السوء، ولمَّا يقرره

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقوله: أو ترى ذلك يا أبا بكر؟ وليرد أن نعم، ثم ليرفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يديه إلى ربه تعالى، ولا يكادها تنزل، وإلا السماء سحا غدا مجللا، سقيا رحمة، لا سقيا غرق ولا هدم ولا عذاب، وحين راحوا يتلمسون إعجازها، وإذ رأوا غمامة ممطرة عليهم وحسب! وإذ لم تجاوز سماءهم!

فعن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ أنه قيل لعمرَ بنِ الخطابِ حدِّثنا عن شأنِ ساعةِ العُسرةِ فقال عمرُ خرجنا إلى تبوكَ في قيظٍ شديدٍ فنزلنا منزلًا وأصابنا فيه عطشٌ حتى ظننا أنَّ رقابَنا ستنقطعُ حتى أن كان أحدُنا ليذهبُ فيلتمسُ الرَّحلَ فلا يجدُه حتى يظنَّ أنَّ رقبتَه ستنقطع حتى أنَّ الرجلَ لَينحرُ بعيرَه فيعصرُ فَرْثَه فيشربه ثم يجعل ما بقِيَ على كبِدِه فقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ يا رسولَ اللهِ إنَّ اللهَ قد عوَّدك في الدعاءِ خيرًا فادع اللهَ لنا فقال أو تحبُّ ذلك قال نعم قال فرفع يدَيه نحو السماءِ فلم يرجعْهما حتى قالت السماءُ فأطَلَّتْ ثم سكبَت فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدْها جاوزتِ العسكرَ[٦٥].

وأمامنا ويوم استسقى الفاروق عمر بالعباس عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما كادوا إلا والسماء تظللهم بغمامة منها يمطرون بفضل الله ورحمته تعالى.

فعن أنس بن مالك أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، كانَ إذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فيُسْقَوْنَ[٦٦].

ولست أغادر مكاني هذا، وإلا ببيان أن مسألة الأرزاق مضمونة محسومة قدرا، ومكفولة سلفا، وأن الله تعالى وحين يبتلي العباد، ومن مثل ما رأينا، يوم العسرة، يوم تبوك، وإنما كان ابتلاء،

([٦٥])البداية والنهاية: ٩٦/٦. خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد قوي ولم يخرجوه.
([٦٦])صحيح البخاري: ٣٧١٠

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإنما كان تمحيصا، وإنما كان اختبارا لمدى صبرهم، وإيمانهم، واحتسابهم، أول ذي بدء، وإنما كان استشرافا لأعلام النبوة لهذا النبي العربي الأمي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كان استحضارا لعقيدة الإنابة والرجوع إلى الله تعالى، وأن ينفض العبد عن ذات نفسه غرورها، وأن يسلك بها سبيل الأوبة والاتصال بالله تعالى العلي الأعلى سبحانه، ولتتمرغ عند عتبات الربوبية الحانية لهذا الرب الحليم الكريم، وحين ليس يرد إليه يدا رفعت، أو قلوبا سكنت، أو نفوسا رجعت، واهتدت، وقنتت، وإلى وعده اطمأنت، وهو في ذات الوقت أخذ بالسبب، وهذا الأخذ بالسبب دليل أن العبيد يتعلقون بحبال الاتصال بالله تعالى ربهم الكريم الحنان المنان، وكيما يجددوا عقد العبودية، وكل حين من أمرهم.

والناس بحاجة دائما إلى تجديد إيمانهم، وشحذ هممهم، وتبصير جاهلهم، وإيقاظ غافلهم، ومنه هذه الأعلام، وسواها، مما يعود نفعه وأثره على الناس، فيكونون لحمة واحدة، وكما أنهم أمة واحدة، صابرة، عاملة، قائدة، رائدة، وفي ميادين كبح جماح النفوس، وكذا بذلها في سبيل ربها الكريم أيضا.

ومنه كان تخول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الناس بالموعظة، وبين الفينة وأختها؛ وتجديدا لهذا العقد الكريم، والقائم على رباط الانعتاق من هوى، والمؤصل على أصل الانبطاح بين يدي هذا الرب الكريم سبحانه، وكيما تتقاطر رحماته، وكل حين أيضا، فيصبح الناس ويمسون على هذه العبودية لربهم المنان، فيصطبغون معها بصبغة العبودية أبدا، ومن ثم يمنحهم من عزة ومن أنفة، ومن عبودية لله أيضا.

هذا، وإن هذه أعلام النبوة المتضافرة المتتالية، وكأنما نراها نحن، ويكأننا نحسبها قد تنزلت فينا، ومن بيننا، ويكأنها هكذا نحسبها حقيقة، وهي إذ تنزل بنا نزول ضيف كريم قادم، يعز على النفوس وألا تكرمه، وجائزته معا، وحين كانت لنا زادا على الطريق أيضا.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا له أثره في تثبيت قلوب المؤمنين، وفي استدعاء طاقات البر والرحمة والقنوت والخلود والسكينة والطمأنينة، وللناس المؤمنين أجمعين، وكيما يعودوا ويؤوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى سبحانه.

وإذا كان هذا أثر هذه الأعلام في الناس يومهم هذا، فما بالنا بأثرها ويوم الناس الأول، ومن مثل يوم العسرة، يوم تبوك أيضا؟! وإذ تنزلت فيهم ومن بينهم حقا.

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد الخدري - شك الأعمش - قال: يا رسولَ اللهِ، لو أذِنْتَ لنا فنحَرْنا نواضِحَنا؛ فأكَلْنا وادَّهَنَّا، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: افعَلوا، قال: فجاء عمرُ رَضِيَ اللهُ عنه، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنْ فعلْتَ قَلَّ الظَّهرُ، ولكِنِ ادْعُهم بفَضلِ أَزْوادِهم، وادْعُ اللهَ لهم عليها بالبَرَكةِ؛ لعلَّ اللهَ أنْ يجعَلَ في ذلك، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: نعم، قال: فدعا بنَطْعٍ فبسَطَه، ثمَّ دعا بفَضلِ أَزْوادِهم، قال: فجعَلَ الرَّجُلُ يَجيءُ بكَفِّ ذُرَةٍ، قال: ويَجيءُ الآخَرُ بكَفِّ تَمرٍ، قال: ويَجيءُ الآخَرُ بكِسرةٍ، حتَّى اجتمَعَ على النَّطْعِ مِن ذلكَ شيءٌ يسيرٌ، قال: فدعا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالبَرَكةِ، ثمَّ قال: خُذوا في أَوْعِيَتِكُمْ، قال: فأخَذوا في أوعيتِهم، حتَّى ما تركوا في العَسكَرِ وِعاءً إلَّا مَلَؤُوه، قال: فأكَلوا حتَّى شبِعوا، وفضَلَتْ فَضلَةٌ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ، لا يَلْقى اللهَ بهما عبْدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحْجَبَ عَنِ الجنَّةِ[٦٧].

مشروعية مكافأة البشير ومسألة التوكل

وحين قد انخلع كعب من ثوبيه، هذا كعب بن مالك، برهان جواز الاهداء، للبشير، ولو كان من ثوبه الذي لا غيره يملكه، ولأن الخلف منه تعالى أولا، ولأنه قد استعار، ولم يشحذ غيرهما، برهان جواز الاستعارة، ولو ثوبا، ودليل عزة مسلم وأنفته، ولو ثوبا أيضا! ولما يستوي على سوقه،

([٦٧])صحيح مسلم: ٢٧

السلالة الفكرية والثقافة
www.sadalu.net

فينهض عاملا، متجرا، وليرزقنه الله تعالى رزقا حسنا، ومن حيث لا يحتسب، وحين قد توكل على تعالى مولاه الحق المبين، وليرزقنه، كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتعود بطانا، بل لما ينهض إلى بيته، والرجل قد كان من سعة من أمره.

فعن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: لو أنَّكم كنتُم توَكلونَ علَى اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا[٦٨].

قال عمر: انتهينا

ويكأن الله تعالى يعلم أن طريق الخير، والهدى، والصلاح، والفلاح، ولابد أن يبدأ من هنا، من نقطة البداية الصحيحة، الحقيقية، وهي تعبيد قلوب الناس لربهم الحق أولا، ومن ثم يتأتى، ومن بعدها من مراحل، ولربما أفضت إلى التسليم والانقياد أول مرة، وهذا هو الذي قالوا عنه يوما: انتهينا!

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: لما نزل تحريم الخمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت الآية التي في البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير الآية، قال: فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء ، فنزلت الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية فهل أنتم منتهون قال عمر: انتهينا[٦٩].

([٦٨])صحيح الترمذي، الألباني: ٢٣٤٤
([٦٩])صحيح أبي داود، الألباني: ٣٦٧٠

السلالة الفكرية والثقافة
www.sadalu.net

إنما الرَّبَّةُ حجر!

ويكأننا لسنا ننسى أيضا، ويوم أن عزم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على هدم الطاغية الرَّبَّةِ اللات، وحين خافوا، وأعلنوا أنها ستقتل أهلها! وليحضر الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى وزئيره معه، وزاجرا القوم، ولسفه كان قد عشش في رؤوسهم، وقر واستقر في أدمغتهم، وبل قد ران على قلوبهم، ورين كان قد اكتست به أفئدتهم أيضا، وحين قال لهم الفاروق عمر: ويحك يا بن عبد ياليل ما أجهلك، إنما الرَّبَّةُ حجر! وحين قالوا له: إنا لم نأتك يا ابن الخطاب! ثم قالوا يا رسول الله: تول أنت هدمها، أما نحن فإنا لن نهدمها أبدا[٧٠].

ولكننا لسنا ننسى يوما كان يعبد فيه هذا الفاروق ربا غير خالقه، وإذ كان يتنسك لدرجة هي مساوية لفعل ثقيف هذا، ولكنها هذه القلوب، وحين تتشوف الهدى فتتبعه، ولكنها هذه الأبصار، وحين تستبصر الرشد، فتسلكه سبيله، ولا تضله طريقه، ومن ثم ها هي تعلو من صلاح، وإذ ها هي تسمق من فلاح.

إفطار الصائم بعد تحقق الغروب

ولكنهم الناس أيضا، وحين أسلموا فصاموا بقية رمضان مع نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، وإذ رأوا وكيف كان صلى الله تعالي عليه وآله وسلم يعجل فطوره، وقبل أن يغيب قرص الشمس كله، وعلى حد قولهم: وإنا لنقول: ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد. وإذ كان من مثله السحور تأخيرا أيضا، وعلى حد قولهم أيضا: إنا لنرى الفجر قد طل[٧١]!

([٧٠])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٥ / ٤٠

([٧١])المرجع السابق: ج ٥ /٣٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هذا، وإن قولهم هذا محمول على الكناية عن التعجيل، وهذا أظهر، والله أعلم، أو لعله سهوا، أو لعله لعدم الضبط كثيرا؛ وها هم حديثو عهد بهذا الدين الحنيف الخالد، وإلا فإن الإفطار ليوم رمضان، أو غير رمضان، وإنما يكون بعد تحقق الغروب.

فعن عبد الله بن أبي أوفى: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم، فلما غربت الشمس قال لبعض القوم: يا فلان، قم فاجدح لنا، فقال: يا رسول الله، لو أمسيت، قال: انزل فاجدح لنا، قال: يا رسول الله، فلو أمسيت، قال: انزل فاجدح لنا، قال: إن عليك نهارا، قال: انزل فاجدح لنا، فنزل فجدح لهم، فشرب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إذا رأيتم الليل قد أقبل من هاهنا، فقد أفطر الصائم[٧٢].

وشاهده قوله: فلما غربت الشمس. برهان الإفطار عن صيام بعد تحقق غروب الشمس.

وعن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر النهار من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم[٧٣].

وقال الإمام البخاري رحمه الله: باب متي يحل فطر الصائم، وأفطر أبو سعيد الخدري حين غاب قرص الشمس[٧٤].

وإلا أن هذا مصداق لحديث رواه سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر[٧٥].

([٧٢])صحيح البخاري: ١٩٥٥
([٧٣])المرجع السابق: ١٩٥٤
([٧٤])المرجع السابق: ١٩٥٧
([٧٥])صحيح مسلم: (١٠٩٨)

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

هذا نهي القرآن المجيد الحكيم الذكر المبين لرسول الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألا يصلي على أحد كان منافقا ومعلوم النفاق. والنفاق هنا هو النفاق الاعتقادي، والذي يخرج صاحبه عن الملة؛ ولأنه يعني إبطان الكفر وإظهار الإسلام. وهذا النوع هو الذي نزل بشأنه قول الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

وأما هذا النوع من النفاق العملي، وهو ذلك الذي ليس يخرج صاحبه من الملة، بل يظل مسلما، ولئن كان فيه شعبة من النفاق العملي، والذي منه قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان[٧٦].

ونزل هذا النهي عن الصلاة على من مات منافقا، ومن بعد استغفاره صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي بن سلول، وحين مات.

ونحن بحاجة إلى التذكير حينا، ومن بعد حين آخر، بعظمة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما ينسى تاريخا مرا لهذا عبد الله بن أبي سلول، وإذ كانت مواقفه حادة، شاذة، صادة عن كل سبيل هدى، ولما كان قد رأى الآيات ترى، ومن يديه، ومن خلفه، ولكنك وماذا أنت قائل، وإلا أن تقف مشدوها، وأمام صنف كهذا، ولما رأى الآيات؟! ولكنك لست تذهل كثيرا، وحين تقرأ ما قاله ربك في كتابه العزيز ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

([٧٦])صحيح البخاري: ٣٣

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم أيضا كان مدرسة في الحلم، وكان جامعة في الصلة، وكان ميدانا رحبا للصفح والعفو، وحين زار هذا ابن سلول في مرضه الأخير، ولما يذكره بالله تعالى مولاه الحق المبين، وحين قال له وهو يجود بنفسه: قد نهيتك عن حب يهود!

وليرد بصلف وهو على فراش موته على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبقوله: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فما نفعه؟!

وهذا على كل حال هو صلف ابن سلول وهو على فراش الموت.

وهذا الذي يذكرنا بموقف مماثل لهذا أبي جهل، وحين قتل يوم بدر، وهو يقول لابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا[٧٧].

وهو الذي يذكرنا أيضا بقول دريد بن الصمة، وحين تكابر، وليس بكبير، بل صويغر! ويوم تعاظم، وليس بعظيم، بل حويقر! ويوم قتله ربيعة بن رفيع السلمي، وكان شيخا كبيرا، وكان أولى له توبة وأوبة ورجوع؛ ليجد ربا غفورا رحيما سبحانه: وحين فاجأه ربيعة بن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه، فلم يغن شيئا، فقال: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل، وكان الرحل في الشجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال[٧٨].

ولكن النفس، وحين تكون بين يدي ربها في لحظات فراقها الدنيا، وإنما تكون من أضعف حال تراه عليها، كما رأت هي نفسها عليها أيضا، وحين سأل هذا ابن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة:

([٧٧])تاريخ الطبري، الطبري: ٣٧/٢
([٧٨])كتاب سيرة ابن هشام:٥٣/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

١- أن يحضر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم غسله!

٢- أن يعطيه قميصه الذي يلي جلده ليكفن فيه!

٣- أن يصلِّيَ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عليه صلاة الجنازة!

٤- أن يستغفر له نبينا محمد صلى الله عليه وسلم!

وهذه طلبات لا شك جريئة! وإذ كان هذا أين من موجبات النجاة، ومن تصديق للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونصرة له، لا أن يكذبه، ويخذله ويسلمه، وهكذا في تاريخ مليئة صفحاته من خزيه، وإذ تراه الآن ضعيفا طريحا، ويتمنى على هذا النبي كل ذلك؟!

وإنما كان نفاقه عزيزا مثله، ونادرا نظيره، ومن عداوة لهذا الدين الإسلام الحنيف الخالد، ولما كان عليه أن ينصره، ولا سيما أن الناس يوم تبوك هذا قد راحوا هم بأنفسهم إلى هذا النبي مصالحين، ولما رأوا من قوة الإسلام وزحفه وفتحه المنير! ولكن هذا بن سلول ولما يجد تاريخا يحفر في ذاكرة التاريخ وإلا ألا ينصره، بل يخذله، في كل موطن دعاه فيه الإسلام لنصرة هذا النبي، وإذ ها نحن حديثو عهد بيوم تبوك، يوم العسرة، ولما انقلب على عقبيه مدبرا، ومعه ثلاثون ألفا، وعلى ما قيل، وفي يوم ساعة العسرة، وعلى تسمية الله تعالى مولانا الحق المبين لها؟! وهو ذلك اليوم الذي كان فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأشد ما يكون من نصرة ولما كانت عسرة! ولما كانت شدة، من ماء وظهر وزاد وحر! وإذا لم يكن هكذا معه في ساعة كهذه، وإذ ما هي الساعة التي تطمع نفس في استشرافها، وهي إذ تعلم أن مفترسا ليس يغيب عنه طبعه شيئا؟!

وإلا أن هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وإذ كان رؤوفا غاية رأفة تعهد عن امريء، ولما كان رحيما، ومن رحمة يعرف بها بشر، فعل ما سأله إياه هذا ابن سلول! وحين تقدم للصلاة عليه،

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأننا نرى قسمات الفاروق عمر بادية عجبا! وحين قام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه، فقال: يا رسول الله تصلي عليه، وقد نهاك الله عنه؟!

وهذا هو جواب هذا النبي العربي الأمي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولما كان رؤوفا رحيما، ومرة أخرى، بل ومرات عديدات، بل لا تقبل حصرا، وتأبى عدا! وحين قال: إن ربي خيرني فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين!

ولتزداد نبرة تعجب عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه قائلا: إنه منافق أتصلي عليه؟!

ومن ثم لينزل قول رباني فصل في المسألة، وحين قال الله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ [التوبة: ٨٤].

مثابرة كهولة وعنفوان رجولة

ولكن هذا أو ذاك ليس يصرفنا عن هكذا مقام النبوة العالي، السامق، الرفيع، وحين قد تنزل قرآن يحفظ لهذا النبي هيبته، وقيمته، وكرامته، ومنزلته، وحتى ولو كان سيدا موقف هكذا هما وزيريه الأَوَّلَيْنِ الأَوْلَيَيْنِ! ذلكم الشيخ رفيق درب طويل، ومذ بعث هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وإلى وقت تنزل قوله تعالى هذا، ومن بعد، وإلى أن صار موكب الفتح المبين على يديه شيخا طاعنا، لم ترده شيخوخته عن عمل، وبذل، وكفاح، وجهاد، وعمل دؤوب، وكذا هذا الفاروق عمر، وحين كان بالوحي مؤيدا، ولما كان- من فضله تعالى- مسددا، ويكأن فتحا كان قد أمضاه، ومن بعد صاحبه الذي قال فيه يوما: لا أسبقه إلى شيء أبدا!!!

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما قال فجئت بنصف مالي فقال

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك فقال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسبقه إلى شيء أبدا[٧٩].

إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم.

هذا قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه؛ مناسبة أن بعث عليٌّ ابن أبي طالب إلى النبي ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ، لم تحصل من ترابها. فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه.

وليس بهم كثيرا من هم أولاء، وهم عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل؟ وبقدر ما بهم أنه صلى الله عليه وسلم كان في زهد عن دنياه، وهذا أولا، وهذه لعاعة الدنيا، وما كان ليذر قلبه ليعلق بها، وهذه ثانيا، وبالتالي كان قرار منحها لنفر من أصحابه فوريا لا تراخيا!

والفرض أنها لم تخلص من ترابها، فليست ذهباً خالصاً؛ وبالتالي فلسنا نسأل، وإلا موقنين بأحقية عليٍّ، فيما فعل وتصرف، وكذا بواقعية قبوله صلى الله عليه وسلم لها، ولأنها ومن حيث ما يظهر كانت من الخمس الذي لله تعالى ولرسوله، وبالتالي يكون من حقه أيضا أن يتصرف فيها تصرفا لا شبهة فيه، وهو ذلكم الخبير برسوله، وإذ هو أشد نفرة من دنياه منه! وبالتالي فلسوف يتصرف فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تصرف الحكيم الخبير، وهذا هو الذي حدث. وحين وزعها من توه على أولاء النفر، وكما أنف.

([٧٩])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٦٧٥. خلاصة حكم المحدث: حسن.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ونكرر أنه، وباعتبار أن ذلك قد دخل في الذمة المالية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فله مطلق القرار في اتخاذ ما يراه ملائما حيالها، وهذا الذي كان ينبغي علمه، وهو الذي كان يقدر فقهه.

وإلا أن كل مجتمع، ولو كان فاضلا لتخرج منه أفراد، وما بين الفينة والأخرى، ويقولون قولا عجيبا، ويتصرفون تصرفا مريبا، وهذا الذي حدث، ويوم قام أحدهم هذا ذو الخويصرة، ولدى علمه بتوزيع هذه اللعاعة على إخوانه؛ ليقول قوله هذا: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء!

وهذا اتهام للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وليس مهما أن يبحث في القصد الجنائي من عدمه، وبقدر ما رأيناه هكذا، تعجلا وتعلقا، فإنه أمارة ظاهرة على تعلق قلوب البعض من الرعية بهذه اللعاعة من الدنيا، وهو استعجال من الأمر، أو أنه ومن أقل أحواله جهل بما في ذهن هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وإذ قد غاب عنهم! ولعل أحدا ممن أعطوا كان أولى، وهذا الذي كانت تنبغي النظرة فيه، ولا سيما أننا أمام نبي، وإذ كان وصفه، وكما قال هو عن نفسه صلى الله عليه وسلم، أنه أمين من في السماء، وهو الله تعالى، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]. وبالتالي فليس يكون غائبا عن الأذهان عدله، وليس يكون غافلا من القوم عن مدى حكمته ودربته وفطنته وحجته وبعده نظره صلى الله عليه وسلم.

وهذا هو الذي تنبغي الإشارة إليه، والوقوف عنده مليا، وأن هذا النبي وكان قد استغنى بداية عن هذه اللعاعة، فكان حريا إذًا أن يحسن به وتصرفه الظن، وأنه قد تصرف الحق والعدل والنصفة والقسطاس المستقيم. ولا سيما إذا علم أن هؤلاء الأربعة كانوا رؤساء في أقوامهم، ومتبوعين، وبالتالي فقد كان إعطاؤهم تأليفا، ومنه فقد كان منحهم توفيقا. ومع ما انضاف إلى ذلك، من كونه خمسا تمت قسمته، وقد أصبح للنبي فيه كامل التصرف.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي غاب عن هذا الرجل ذي الخويصرة، وحين قد تسارع به إبليس خطاه، وليلقي التهمة، وليبعد النجعة!

ويكأن هذا النبي صلى الله عليه وسلم كان، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣و٤]. وحين انصرف هذا الدَعِيُّ ذو الخويصرة، وحين اتهم مقام النبوة بشاعة، وحين اطَّاوَلَ عليها، بما يند عن عقل زكي ذكي، وفضلا عن أن يكون من أولي الهمم، وذوي القمم، وصفه غرابة وعجبا وخروجا عن إلف، وحين سمعه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، ويقول قوله هذا: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟

وقول خالد من فقه، ونبأه عن علم، وهذا الذي تنبغي إليه الإشارة، وإن هذا قول تستحل به الدماء، وحين يتهم أمين من في السماء ولا شك.

وهذا بعد نظر أولاء الصحب الكرام، وحين تربوا على مائدة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، فقهاء، علماء، حكماء.

ولكن هذا النبي صلى الله عليه وسلم، كان هو الأبعد نظرا، وكان هو الأحكم حجة، وبرهانا، وحين جعل الصلاة عاصمة، ولما أضحت موجبا ولئلا يقتل أحد ومخرجا على سبب كان ما كان، وها هو يقيم الصلاة؛ ولأن شأن الدماء عظيم، ولأن منع القيل والقال مصلحة راجحة، وحين قال صلى الله عليه وسلم: لا لعله أن يكون يصلي. وبه تكون إقامة الصلاة مانعة من استحلال الدماء، ولما كنا أمام مجتمع مسلم، يعرف فيه الناس على دينهم، وأين هم من شرع ربهم الرحمن الرحيم.

وعلى أية حال فهذا شأن هذه الصلاة في ديننا، وإذ كانت سببا عاصما للدماء، فدل على كم هو عظم شأنها! وأبانت عن مدى موقعها من هذا الدين! وحين كانت عهدا، ولما كانت فرقا، وحين أصبحت هي ذاتها قاصمة ظهر من تركها، ذلكم الترك العمد، وإذ ها هو يستتاب، وإذ ها هو يبين

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أمامه مدى شرعيتها، وحين قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة. فمن تركها فقد كفر[٨٠].

وحين قال الفاروق عمر رضي الله تعالى: إنه لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. وحين روى عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها فأيقظ عمر لصلاة الصبح فقال عمر نعم ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فصلى عمر وجرحه يثعب دما[٨١].

ولكن القفز على الصلاة، والاستتار بها من استهزاء، والامتناع بها من كفر، وإن هو إلا عمل بين العبد وربه، وهذا الذي وقف به نبينا محمد هذا الموقف، ولما قال: لا لعله أن يكون يصلي، ويكأنها وإن كانت سببا لهذه العصمة؛ بيانا لقيمتها، ومما أنف، وإلا أنه ليس ينبغي التستر بها، ومن حيدة عن السواء أيضا. وكما قد وجد منافقون وإذ ها هم بلغت رائحتهم الزاكمة، مما منه أنف القريب والبعيد، ويكأنهم استخفوا بصلاتهم، وإلا أن الله تعالى قد فضح بواطنهم، ولما أضحت هكذا نفاقا ظواهرهم!

عظم شأن الوضوء

ولكنك وقفت على أن هذا الوضوء سبب من أسباب دخول الجنة! ولو لم يكن فيه إلا هذا السبب لعض عليه العباد بالنواجذ، حتى يأتوه حلهم وترحالهم، وكل حين من أمرهم، وكما كان على ذلكم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

([٨٠])صحيح النسائي، الألباني: ٤٦٢

([٨١])إرواء الغليل، الألباني: ٢٢٥/١. خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء[٨٢].

وبل نزيد، وأنه ليس الوضوء سببا من أسباب دخول الجنة وحسب، بل سبب لأسبقية دخولها!

عن بريدة بن حصيب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب، فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من قريش، فقلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قلت: أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب. فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بهما[٨٣].

ولكنك وقفت وعلى كم للضوء من قيمة، وحين كان سببا لرفع الدرجات، ومحو الخطيئات والسيئات.

فعَنْ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة

([٨٢])صحيح مسلم: ٢٣٤
([٨٣])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٦٨٩

السلالة الفكرية والثقافة
www.sadalu.net

الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط. وليس في حديث شعبة ذكر الرباط. وفي حديث مالك ثنتين فذلكم الرباط، فذلكم الرباط[٨٤].

ولكنك وقفت على أن الوضوء هذا شارة المؤمنين، وعلامة أمة خاتم النبيين، وإمام المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وحين كانوا يردون عليه حوضه غرا محجلين من أثر الوضوء.

فعَنْ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك؟ يا رسول الله، قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يا رسول الله، فقال: أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا. وفي رواية: فليذادن رجال عن حوضي[٨٥].

ولكنك وقفت على أن الوضوء سبب للمغفرة، وكفى بها نعمة. وحين يتبعه العبد بصلاة ركعتين من غير الفريضة، وإذ كان من وصفها أنه لا يحدث بهما نفسه.

فعن حمران مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان بن عفان دعا بوضوء، فأفرغ على يديه من إنائه، فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجل ثلاثا، ثم قال: رأيت

---

(٨٤)صحيح مسلم: ٢٥١
(٨٥)صحيح مسلم: ٢٤٩

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا، وقال: من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه[٨٦].

ولكنك وقفت على أن الوضوء من علامات الإيمان، وحين جاء الحديث على أنه ليس يحافظ على الوضوء إلا مؤمن.

فعن أبي أمامة الباهلي: استقيموا، ونعما إن استقمتم، وخير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن[٨٧].

ولكن ربط هذا الوضوء بالتوحيد لأمر هام.

وذلك لأن عقيدتنا في الأصل وفي الفرع هي عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى العلي الأعلى سبحانه، وبالتالي فإن كل عمل يؤديه المسلم، أو أي قول يقوله العبد، وانما هو ذو رباط متين بهذا التوحيد، وسواء نص عليه، وكما معنا الآن من أمر الوضوء، ومن قول العبد بعد وضوئه: أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهّرين. وإلا أن هذا أيضا مع المسلمين، ويدور معه حيث دار، وإن لم ينص عليه؛ ولما أنف من أن كل حياة العبد لله تعالى رب العالمين لا شريك له.

ولكن هذا الوضوء قبل النوم، وعلامة على أنه طهارة، وقربة لله تعالى، وحين كان امتثالا لهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإلا أنه أيضا كان سببا في موت العبد على الإسلام، وحين قدر له تعالى الموت ليلته تلك، وإذ يعتبر كمن مات، وكان آخر كلامه لا إله إلا الله!

([٨٦])صحيح البخاري: ١٦٤
([٨٧])صحيح ابن ماجه، الألباني: ١٠٦/١

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فعن البراء بن عازب: إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به. قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت[٨٨].

ولكن هذا الوضوء سبب، وليس وحيدا، من أسباب قبول دعاء العبد ربه، وحين قام من نومه، ذلك النوم الذي كان على طهارة.

فعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرا فيتعار من الليل فيسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه[٨٩].

وهكذا ترتبط أفعال العبد وأقواله بهذا التوحيد، الذي هو من خلاصته: ألا أمر إلا أمره، ولا نهي إلا نهيه تعالى، وكذا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن عائشة أم المؤمنين: قد حج النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرتني عائشة رضي الله عنها: أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ، ثم طاف بالبيت، ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر رضي الله عنه فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت، ثم لم تكن عمرة ثم عمر رضي الله عنه مثل ذلك ثم حج عثمان رضي الله عنه، فرأيته أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم تكن عمرة ثم معاوية، وعبد الله بن عمر، ثم حججت مع أبي الزبير بن العوام فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت، ثم لم تكن عمرة ثم رأيت

---

(٨٨)صحيح البخاري:٢٤٧
(٨٩)صحيح أبي داود، الألباني:٥٠٤٢

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

المهاجرين والأنصار يفعلون ذلك، ثم لم تكن عمرة، ثم آخر من رأيت فعل ذلك ابن عمر، ثم لم ينقضها عمرة، وهذا ابن عمر عندهم فلا يسألونه، ولا أحد ممن مضى، ما كانوا يبدؤون بشيء حتى يضعوا أقدامهم من الطواف بالبيت، ثم لا يحلون وقد رأيت أمي وخالتي حين تقدمان، لا تبتدئان بشيء أول من البيت، تطوفان به، ثم إنهما لا تحلان[٩٠].

مسألة استلام الحجر الأسود

عن عبد الله بن سرجس: رأيت الأصلع يعني عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول: والله، إني لأقبلك، وإني أعلم أنك حجر، وأنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك. وفي رواية المقدمي وأبي كامل رأيت الأصيلع[٩١].

هذه رواية تفرد بها الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن عبد الله بن سرجس رضي الله تعالى عنه. وشأن مسألة استلام النبي صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود.

وكثير من أمور الشرع ليست تبين منها الحكمة، وبقدر ما كانت ابتلاء للعباد واختبارا، وكيما يعلموا أنهم متعبدون توقيفا، علموا الحكمة، أم لم يعلموا، ومن حيث وصل إليهم الدليل القطعي الثبوت والقطعي الدلالة، ومن ثم يكونون وقافين عند ما أمروا به فيفعلونه، أو ما نهوا عنه فينتهون عنه، وهذا هو مطلق التسليم والإذعان، وحين قال الله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

ومرة أخرى، فإن هذا هو الشأن في العبادات، ولما كانت توقيفية، ونحن بذلك متعبدون، وسواء علمنا الحكمة أم لم نعلمها، بل إن العبودية والتذلل هما من مقتضى هذا التسليم، ولو أدرك

---

(٩٠)صحيح البخاري: ١٦٤١
(٩١)صحيح مسلم: ١٢٧٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الناس كل حكمة من قولهم أو من فعلهم فلربما لم تكن لعبادتهم هذه الحلاوة التي بها يشعرون! وحين فوضوا الأمر كله لله تعالى.

ولكنه فرق بين استلام الحجر، وهذه عبادة فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، وبين التبرك بهذا الحجر، وهذا عمل غير صالح، ولم ترد به أدلة، بل نهى عن ذلك، وبالتالي فإن استلام الحجر على وجه التبرك ليعد هذا من الفعل المنهي عنه شرعا.

ولكن مسألة التعبد ههنا وما زالت قائمة، وليس كمن قالوا إنها عبادة وثنية! لأننا وكما سلف نعد كل ما أمرنا به الله تعالى عبادة مطلقة، ومن حيث كنا مصدقين أنه تعالى هو الأحد الفرد الصمد، وأن ما جاءنا عنه تعالى أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما نفعله، ومسلِّمين بذلك تسليما.

ولكن العبد ربما فعل أفعالا شتى، ولما لم يعلم لها وجها، ولربما مع تتابع الأزمان، لأدرك العلة، وعلم السبب، وعاين الحكمة، وليس شرطا أيضا. ولكنكم تستعجلون!

ولكن الذي نقف عنده هو بدء الطواف بعد الطهور، وليس يعنينا كثيرا أسبقية الاستلام على التقبيل. أو العكس، وذلك من ظاهر نص الحديث آنفا.

ولكن التوفيق أنا نرى أن استلام الحجر يعد من أعمال الطواف، وذلك وضعا لرواية الإمام البخاري: فأول شيء بدأ به الطواف، جنبا إلى جنب مع جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا، ومشى أربعا.

ولكن قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: والله إني لأقبلك وإني لأعلم أنك حجر، وأنك لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. فإن هذا هو مطلق العبادة لله تعالى العلي الأعلى سبحانه وتعالى. وبرهان فعله واقتدائه رضي الله تعالى عنه.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأيضا علمنا أن ذكر العبد بصفة فيه حقيقة، وبما لم يغضب من ذكرها، فقد جاز ذلك؛ برهان قول عبد الله بن سرجس قال: رأيت الأصلع.

وبمعنى آخر ليس يعد ذلك غيبة، وحين تأكد لدى العبد أن الموصوف به ليس يثير غضبه.

وهذه أخلاق ديننا أيضا.

ولكن تمدحا قد اشتممناه عطرا وطيبا، وحين كانت رواية أخرى تقول: رأيت الأصيلع! وهذا هو دأب هذا الرعيل الكريم، حميدا خلقا، ورفيعا أدبا، وسامقا مروءة، ولما كانت هذا مدائحهم بعضهم بعضا، وإذ ليس يكاد يلوي أحدهم يوما، وإلا أنهم عباد الله تعالى إخوانا، وكما قد أمرهم نبيهم يوم حجه وحجهم الأكبر، وحين قال: ولكن كونوا عباد الله إخوانا!

قال جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا، ومشى أربعا[٩٢].

وهذا فعل الرمل ثلاثا، والمشي أربعا، وهذا فعله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وهذا مستندٌ بأنه سنة متبعة.

وأما على القائلين بأنه فعل ذلك يوم عمرة القضاء إغاظة للمشركين، ولما زعموا أن المسلمين وها هم قد قدموا رهقا وجهدا من يثرب إلى مكة المكرمة البلد الحرام، وإذ لم يكن في الأمر من شيء، وعلى فرض وقوعه، لأن هذه جبلة بشرية، ولما لم يكن لقريش منها مدخل على أولاء الصحب الكرام، وهم إذ يقودهم نبيهم صلى الله عليه وسلم إلى عمرة القضاء، ولكنها هذه هي النفوس الضعيفة المسكينة، ولما لم تجد سوى قشة عليها تحتمل! وإلا أنه صلى الله عليه وسلم ورغم ذلكم قد نشط، ونشط معه الأصحاب الكرام البررة.

([٩٢])صحيح مسلم:١٢١٨

السلالة الفكرية والثقافة
www.sadalu.net

ولعله في إبقائه الرمل سننا، ومن بعدها ليكون ذكرى محفورة في خلد التاريخ، أن ذلكم يوما كان مشهودا، ويوم أن أوفى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما اصطلح عليه يوم الحديبية، وأن هذه أمة ترعى عقودها، وتوفي عهودها؛ ولأن الله تعالى أمرهم من عليائه، وحين قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

وأن هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وها هو قد عاد ليثبت من جديد أوتاد التوحيد في هذه البقعة المباركة، ومن بعد أن لاكتها الأيدي المغتصبة، وباسم الله! وحين لم يغن عنهم ذلكم من شيء؛ ولأن فعلهم وصلاتهم كان مكاء عند البيت وتصدية! وفي تسمية الأشياء بغير أسمائها، وحين أبعدوا النجعة! وإذ ما علاقة مكائهم، وهو صفيرهم بالصلاة، وحين كانت وقوفا إخباتا واستكانة بين يدي رب كريم؟! وإذ وما شأن تصديتهم، وهو تصفيقهم، والصلاة وحين كانت خضوعا وخشوعا! وهذا مثال لما أربكوا فيه أنفسهم، ولما كانت في غنى عن كل هذا ففازوا، ولكنه هذا هو وتبكيتهم، والنعي عنهم، جزاؤهم وحين حادوا! وفي تحلل مقيت من الهدي الذي سلمهم إياه أبونا ونبينا ونبي ربنا إبراهيم عليه السلام، ويوم أن استأمنهم على هذا التوحيد، الذي وها هم قد داسوا كرائمه بأم أقدامهم، وحين حلوا سلطانهم على سلطان بارئهم وخالقهم ومبدعهم وموجدهم سبحانه، وإذ كان ذلكم هو أحق به، ولأنه أمره، ولأنه شأنه، وما كان فعلهم هذا إلا تعديا واغتصابا، ويوم أن جاء هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومصطحبا معه إرثا مجيدا تليدا عاليا رفيعا سامقا من لدن أبيه إبراهيم عليه السلام، وبأمر رب العالمين، وأن يكون من يومها وإلى أن تقوم الساعة للمتقين إماما.

وبرهان أن الصبر ليأتين من بعده فرج، وإن طال ظلام دامس فلابد له من نور فالج وصباح باكر ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم:٤و٥]. وما على الفئة المؤمنة من عجلة من أمرها، وحتى يقضي الله تعالى أمرا كان مفعولا.

ولكن هذه العقيدة التي رباهم عليها نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كانت من نقلة نوعية، شهد لهم بها التاريخ، ومن موجب تسجيلها لهم، وها نحن نتناقلها، جوهرة ثمينة، في عالم التربية العقدية، جيلا من بعد جيل آخر، وحين قال الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه: إني لأعلم أنك حجر لا تضر، ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك، ما قبلتك[٩٣].

وهذه النقلة النوعية ليست مقصورة على عمر الفاروق وحده، وإنما على جيل كامل، كان قد اغتصبته جاهلية قريش اغتصابا، حتى صار من دمه وعرقه ووريده وشريانه يغط في الضلال غطيطا، ويتشرب من الهوى كثيرا، وتفوح منه رائحة الشرك قدرا لا ضئيلا بل عظيما!

وقد أنفت الإشارة إلى مسألة الاستلام والتقبيل وأيهما سبق الآخر، ومع التأكيد على أن رواية الإمام مسلم وكما سلف اقتصرت على التقبيل ولم تشر إلى الاستلام.

وأما رواية الإمام البخاري فقد اقتصرت على مسألتي الاستلام دون إشارة إلى التقبيل ولعل هذا الذي جعل الناس يتكلمون في الاكتفاء بأحدهما أولا ولعله من هاتين الروايتين قد حدث الاختلاف أيضا، وهو اختلاف تنوع لا تضاد وحسبه ذلك.

ولكن رواية أخرى وردت هذا نصها: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. وظاهرها وإن ليس يقتضي الترتيب ولسبب حرف العطف الواو، ولما كان الاشتراك والمع من نبراتها وصفا ونعتا لا أكثر، والمراد من "الاشتراك المُطلق والجمع المطلق" أنها لا تدل على أكثر من التشريك في المعنى العام: فلا تفيد

---

(٩٣)صحيح مسلم: ١٢٧٠

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الدلالة على ترتيب زمني بين المتعاطفين وقت وقوع المعنى، ولا على صاحبة، ولا على تعقيب، أو مهلة، ولا على خسَّة . أو شرف[٩٤].

ولكن هذه الواو العاطفة، ولربما تشفع ترتيبا، وإن لم يكن من خصائصها، وإنما هذا واردنا، ومن خارج؛ وجمعا بين الأقوال في هذا الصدد؛ ولأنهم قالوا: إن المعطوفات إذا تكررت تكون على الأول على الأصح، وذلك مقيد بما إذا لم يكن العاطف مرتَّبًا؛ فإن كان مرتبًا فالعطف على ما يليه؛ كما نقل عن الكمال ابن الهمام: أنه إذا عطف بمرتب أشياء ثم عطف بغير مرتب شيء فهو على ما يليه، كما يؤخذ من كلام المغني في أول الجملة الرابعة من الجمل في التصريح، وغيره[٩٥].

فعن عبد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن: أما والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك، فاستلمه ثم قال: فما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه[٩٦].

وها هو عمر يمثل جيلا بأكمله، وحين قد انتقل من كلية شرك، كان قد تلبسه، وإلى كلية إسلام كان قد ارتدى نوره، وسناه، وهداه، وتوحيده، ويقينه، ذلكم اليقين الذي به رأيناه يخاطب حجرا مكرما، وإذ ولولاه رأى النبي ﷺ يفعل فعله هذا، والله ثم والله ما قبله!

وهذا وعلاوة على يقين كان قد تأسست أركانه، وها هو قد توطدت والتأمت وتضامت وتناسقت أوصاله، وعلى حسن توحيد قد تأصل في القلوب، وحين تعلمت هذه الأمة، وأيقنت، وترعرعت على شجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهذا الذي ننظر إليه، ونرمقه علامة فارقة، وحين

---

(٩٤)النحو الوافي، عباس حسن: ٥٥٩/٣
(٩٥)حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان: ج١٧٧/٣
(٩٦)صحيح البخاري: ١٦٠٥

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ينصهر الناس يومهم هذا مع إسلامهم هذا، وحتى كانت أقوالهم وأفعالهم شاهدة لهم بالحق، وحيم علموا أن الحق لله، وضل عن قريش ما كانوا يعملون!

ولكنه وعود إلى الاقتداء، ومرة أخرى تذكيرا بالاحتذاء، والتتبع، والترسم، ويكأنهم كانوا به يتعبدون، وحين كانوا يلتمسون الهدى من هذا النبي محمد ﷺ، وإذ إن الفرض أنه ليس يهديهم إلا إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، والذي هو صرط ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا * ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٧٠].

وقال الله تعالى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦]. ومنه فإن التعجيب قائم على سوقه! ولأنه:

وأما أولا: وحين أسمى هذا الشيطان الرجيم صراط الله تعالى وبأنه الصراط المستقيم!

وأما ثانيا: فإن الفطرة تتأبى أن يقعد أحد لأحد؛ ليغويه عن الصراط المستقيم! وإن فاعل ذلكم خارج عن دائرة التعقل والبحث على الموائد المستديرة!

وأما ثالثا: فإن هذا الصراط المستقيم ليس يملك أحد حيوده، ولا تعريجه، ولا إثناءه، ولا إلواءه، ولا إيقافه، ولو شيئا من الزمن! وبالتالي فإن محاولات طمس الحق دائما لتبوء بفشل ذريع! ولأن هذا الحق يتأبى على ذلكم؛ طبيعة، وجبلة وسمتا حسنا!

وأما رابعا: وكفى به تعجيبا! وفوق أنه إثم عظيم، وأن يعرف الباطل أنه يواجه صراطا مستقيما! وحين يستصحب- بنفسه- أسباب هزيمته معه من بين جنبيه! وهذا الذي يحدث دائما، وحين يجرف الحق الباطل بسيله! وحين يجتث المؤمنون الغوي من أصله! ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعود على بدء؛ فإن قوله: إنما كنا راءينا به المشركين، ولقد أهلكهم الله. وهذا من المراءاة، وهي إرادة إغاظة المشركين، وحين كان زعمهم يوم عمرة القضاء، وأن هؤلاء قد أعيتهم حمى يثرب! وفيه إظهار القوة والنشاط، وأمام عدو الله تعالى؛ تقوية للشوكة، وإظهارا للمنعة. وكما أن فيه هذا الترسم والتتبع أيضا، وهو الذي يدل عليه قوله: شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه.

وهذا هو التطبيق العملي والقولي لقول الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولكن ملحظا هاما، وقد دل عليه قول الفاروق عمر، وحين كان الناس حديثي عهد بكفرهم، ولما كان القوم حديثي عهد بإسلامهم أيضا، ومنه كان قوله هذا؛ وتثبيتا لركن التوحيد الأول، وعمله الأولى أيضا، وهو ذلكم التعلق القلبي والظاهري بالله تعالى، وبحيث يكون في العقد الثابت اليقيني أن النفع بيده تعالى، وأنه تعالى وإن يمسسه بضر فلا كاشف له إلا هو سبحانه. وكما قال تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

ولكن هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد كان يسعى: أي يجد خطاه في طوافه الثلاثة الأشواط الأول. وهذا على ما يبدو كان هديا وسننا حسنا، وكما أنف، ولئن كان من علة إظهار النشاط يوم عمرة القضاء، وردا على دعوى قريش يومها أن أولاء الأصحاب وحين جاؤوا مرهقين، وحين زعموا أن قد أرهقتهم حمى يثرب! وإلا أنه صار هديا دائما ومن حج أو عمرة.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فعن عبد الله بن عمر: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة، إذا استلم الركن الأسود، أول ما يطوف حين يقدم، يخب ثلاثة أطواف من السبع[٩٧].

وشاهده قوله: حين يقدم مكة، وهذا يحمل على الحج، وكما يحمل على العمرة، ومعروف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا عامه التاسع، فدل على بقاء هذا الرمل أبدا.

وعبد الله بن عمر: سعى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أشواط، ومشى أربعة في الحج والعمرة[٩٨].

ومعروف أن الشوط هو هذه المسافة المقطوعة من الحجر الأسود وإلى الحجر الأسود أيضا.

فعن عبد الله بن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل ثلاثا من الحجر إلى الحجر ومشى أربعا[٩٩].

وثبت أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - رمل ثلاثاً ومشى أربعاً، وثبت عنه أنه رمل من الحجر إلى الحجر[١٠٠].

وعن عمر بن الخطاب قال: فيم الرملان الآن وقد أطأ الله الإسلام ونفى الكفر وأهله وايم الله ما ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٠١].

ومعنى الرمل: إسراع المشي مع مقاربة الخطو من غير وثب. وهو سنة في الأشواط الثلاثة الأول من طواف القدوم. ولا نعلم فيه بين أهل العلم خلافاً[١٠٢].

([٩٧])صحيح مسلم: ١٢٦١
([٩٨])صحيح البخاري: ١٦٠٤
([٩٩])صحيح مسلم:١٢٦٢
([١٠٠])الإشراف على مذاهب العلماء، ابن المنذر: ٣/ ٢٧٣
([١٠١])صحيح ابن ماجه، الألباني: ٢٤٠٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأما دعوى عدم العمل بالرمل؛ وتأسيسا على قول الإمام الحبر الترجمان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فليس يشفع لها إلا قوله، ومقابلة غيره، وإطباق أهل العلم، وعلى قول المغني وابن المنذر آنفا. واستنادا إلى ما صحت روايته في هذا الشأن، وكما أنف أيضا.

فعن عامر بن واثلة أبو الطفيل قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما صدقوا وما كذبوا قال صدقوا قد رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوا ليس بسنة إن قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قبل قعيقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: ارملوا بالبيت ثلاثا وليس بسنة قلت: يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بين الصفا والمروة على بعيره وأن ذلك سنة فقال صدقوا وكذبوا قلت ما صدقوا وما كذبوا قال: صدقوا قد طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعيره وكذبوا ليس بسنة كان الناس لا يدفعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصرفون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله أيديهم[١٠٣].

ولكن الإمام الحبر الترجمان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نفسه قد روى أنهم رملوا، ويوم الجعرانة!

فعن عبد الله بن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم قد قذفوها على عواتقهم اليسرى[١٠٤].

([١٠٢]) المغني، ابن قدامة: (٣/ ٣٤٠)
([١٠٣])المغني، ابن قدامة: ٣/ ٣٤٠
([١٠٤])صحيح أبي داود، الألباني: ١٨٨٥

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وفيه أن الاضطباع سنة محكمة.

فعن يعلى بن أمية طاف النبي صلى الله عليه وسلم مضطبعا ببرد أخضر[١٠٥].

ولكن عبد الله بن عمر كان يمشي بين الركنين، ومن المؤكد انه استن بذلك؛ وللأصل الذي أنف، وأنه فعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذا كان يترك ما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ومن حكمة ذلك كونه أيسر له في استلام الركنين؛ ولفعله صلى الله عليه وسلم في كل شوط طواف أيضا، وبه فقد جمع بين الاستلام للركنين كل شوط، وبين المشي بينهما أيضا.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما تركت استلام هذين الركنين في شدة ولا رخاء، منذ رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمهما، قلت لنافع: أكان ابن عمر يمشي بين الركنين؟ قال: إنما كان يمشي ليكون أيسر لاستلامه[١٠٦].

ولكن معاوية رضي الله تعالى عنه كان على استلام غير الركنين؛ ولأنهما من البيت فيستوي كل ما كان من البيت استلاما ولا عبرة إذا بتخصيصهما دون غيرهما بهذا الاستلام.

فعن أبي الشعثاء أنه قال: ومن يتقي شيئا من البيت؟ وكان معاوية يستلم الأركان، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: إنه لا يستلم هذان الركنان، فقال: ليس شيء من البيت مهجور. وكان ابن الزبير رضي الله عنهما يستلمهن كلهن[١٠٧].

وهذا إشارة إلى حديثه صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة، فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين: بابا شرقيا، وبابا غربيا، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة[١٠٨].

---

(١٠٥)صحيح أبي داود، الألباني: ١٨٨٤
(١٠٦)صحيح أبي داود، الألباني: ١٨٨٣
(١٠٧)صحيح البخاري: ١٦٠٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

ولكن التوفيق بين عمل كل معاوية وابن الزبير، وبين فعل النبي أنه صلى الله عليه وسلم لم يستلم الركنين الشاميين؛ ولأنهما لم يبنيا على قواعد إبراهيم عليه السلام، وكان قد خشي من بنائهما، وحين تركتهما قريش ضنا، ولأن الناس كانوا ليسوا لذلك متهيئين لذلكم حدث. ولهذا وحين بناهما الزبير فكان فعله ومعاوية موافقا وحين بنيا على قواعد نبي الله إبراهيم عليه السلام.

ولكن فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعدم استلام الركنين الشاميين ليس مما يؤخذ، بل مما يتفهم ويعقل؛ وذلك لأن المسألة ليست متعلقة بشيء من العقيدة والتوحيد، وبالتالي يمثل تركها -والحال كذلك- ثلما، وإنما ولما كانت بوصفها هكذا، فكانت المصلحة هي وألا يستلما؛ ولعامل استتباب الأمن الاجتماعي والسلم المجتمعي، وهذا مما يحسب لهذه النبوة الكريمة، وهو مما يوجب تطلعها إلى تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها.

وود النبي ﷺ أن لو بناه فتممه على قواعد إبراهيم، ولكن خشي من حداثة عهد الناس بالجاهلية فتنكره قلوبهم، فلما كانت إمرة عبد الله بن الزبير هدم الكعبة وبناها على ما أشار إليه ﷺ، كما أخبرته خالته أم المؤمنين عائشة بنت الصديق، فإن كان ابن الزبير استلم الأركان كلها بعد بنائه إياها على قواعد إبراهيم فحسن جدا، وهو والله المظنون به[١٠٩].

ولكن الذكر الوارد قوله، وما بين الركنين سنن وهدي أيضا، وحين كان نبينا محمد ﷺ يقول: ما بين الركنين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة:٢٠١][١١٠].

ولكنه صلى الله عليه وسلم كان قد مشى وركب في طوافه:

([١٠٨])المرجع السابق: ١٦٠٨
([١٠٩])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٥ / ١٧٤
([١١٠])صحيح أبي داود: ١٨٩٢

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأما الركوب في الطواف: فقد جاء عن عبد الله بن عباس أنه: طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير، يستلم الركن بمحجن[١١١].

وهذا محمول على كل من طواف الإفاضة وهو طواف الفرض، وكان يوم النحر. وكذا طواف الوداع.

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم في الطواف: فإنه يحمل على طواف القدوم، وذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه، ثم مشى على يمينه، فرمل ثلاثا ومشى أربعا[١١٢].

قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم

وقد أنف الكلام حول الآية الثالثة من سورة المائدة في حينه من هذه السيرة النبوية المباركة. وحين جاء عن عمر بن الخطاب أن رجلا، من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أي آية؟ قال: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} [المائدة: ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم جمعة[١١٣].

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣)].

وهذا هو نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد حطت به رحاله، وإلى حيث يثرب مهاجره صلى الله عليه وسلم، وها هو أيضا ينتقل من مكة مولده، ومغادرا إلى حيث قد استطاع أن يقيم دينه! ومخلفا

---

(١١١)صحيح البخاري: ١٦٠٧
(١١٢)صحيح مسلم: ١٢١٨
(١١٣)صحيح البخاري: ٤٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وراء ظهره التراب، والطين، وسائر الجواذب الأرضية، وفي إعلان عام أن هذا هو مقتضى العبودية لله تعالى العلي الأعلى سبحانه. وبعد أن أتم مناسك حجه بالمسلمين.

ويكأن هذا كان محفلا يلتقون فيه بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وبه فقد فازوا فوزين، فوز الحج الأكبر، وفوز لقائهم الأخير بنبيهم صلى الله عليه وسلم.

ولكن الله تعالى كان قد أنزل إرهاصات تشي بوداعه الناس، وإذ تؤذن بمفارقة هذا النبي صلى الله عليه وسلم دنياه، وعلى سنته تعالى الجارية، ولكنه هو ذلكم الإيناس الرباني الحاني اللطيف، وبهذا النبي الرؤوف الرحيم، وحين يمكن استشراف هذا الفراق الدنيوي، وبلطف العبارة، ومن حنو الإشارة، وحين قال الله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:١-١١].

ولكن هذا النبي صلى الله عليه وسلم، ويكأن الله تعالى قد أنطق لسانه؛ ليقول للناس يوم الحج الأكبر، وأن الله بريء من المشركين ورسوله قوله هذا: خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا.

وهذا استشراف آخر، وهو استشراف حني هني، تتلقاه النفوس، وعن وجل، وأن نعم، وتتلقاه الأرواح، وعن يقين أيضا؛ ولأن هذا هو سننه تعالى فيمن خلق، وما خلق، وما دب على ظهر البسيطة، وجزاء لمن آمن، وعمل صالحا، ثم اهتدى، وعقابا لمن شرد، وعصى، واستعصى، واستكبر، وتأبَّى.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأن هذا اللقاء الأخروي المنتظر والمرتقب، هو يوم احتفاء رباني بالعبيد، وأولاء هم الذين اتخذوه وحده إلها معبودا، ودون سواه، ولم يشركوا به شيئا، وحين أرجعوا كل أمر، وإلا أمره تعالى، ويوم انتهوا عن كل نهي، كان من نهيه، وها هم أولاء يلفظون ما تنافر وأوامره، وها هم يلوون عن كل نهى، وإلا زواجره، ومن حيث كانت له علاقة بمسألة العبودية هذه لله تعالى العلي الأعلى سبحانه.

ولكن هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كانت قد تنزلت عليه آيات محكمات، هن أم الكتاب، وما سواها، وقد استشرف أولاء الصحب، الخيرون، الطيبون، المتبعون، المتتبعون، المحتذون، المقتدون، المترسمون، قول ربهم الحق المبين سبحانه، وسنن نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وها هم منها يستنبطون، وها هم أولاء منها يقرأون، وما لم يقرأه سواهم، وهم أولا شفافو العقيدة، وها أولاء رقيقو النفوس، والأرواح، وحين يستروحون من آيات الله تعالى، وحكمته، ما قد عز عن غيرهم، ولما يستشرف هذا عمر الفاروق نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن مجرد تنزل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]! ومن ثم ليبكي هذا الفاروق رضي الله تعالى عنه؛ ومن نزولها، وحين سئل، ليقول قوله هذا: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان، وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ!

وقل لي بالله تعالى عليك: أي نفوس هذه، والتي راح بها إيمانها هذه الروحة؛ وكيما تستشعر وتستنبط، وتستدل، وبهذا الروح، العالية، السامقة، الرفيعة، ما عز، وند عما سواهم؟!

وها هم يقرأون من صفحات الكون المنظور، ومن كتاب الله تعالى الحكيم المسطور، ما منه هذا أيضا أيضا، وحين تنزل قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣]). وليقول فيها هذا الكريم، الإمام، الحبر، الترجمان، ابن عباس رضي الله تعالى عنه: هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه. وحين

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

يلتقي الفكر، ولما يصفو الذهن، وها هما ويكأنهما على قلب رجل واحد، ولسان واحد، وحين قال عمر الفاروق: لا أعلم منها إلا ما تعلم. وبنفس ألمعيته، ومن ذات إجابته، وعبقريته، ويكأني أستحضر قوله نبيهم صلى الله عليه وسلم عنه: فلم أر عبقريا يفري فريه[١١٤]!

فعن عبد الله بن عباس: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: {إذا جاء نصر الله والفتح}؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: {إذا جاء نصر الله والفتح}، وذلك علامة أجلك، {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[١١٥].

وهذا من فضائل هذا الإمام الحبر الترجمان عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه، وإذ كان يومها حدثا صغيرا، ولكنه هو هذا المرجع القرآني، ويكأنه قد تلقاه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويكأنه وكما أنزل!

وعن عبد الله بن عمر أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا، أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس، وضربوا بعطن[١١٦].

([١١٤])صحيح البخاري: ٣٦٨٢
([١١٥])المرجع السابق: ٤٩٧٠
([١١٦])صحيح البخاري: ٣٦٨٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن هذه الإرهاصات الثلاث، وإنما قد تنزلت تترا، ويوم الثامن من ذي الحجة، وحين كانت آية المائدة الثالثة، ويوم عرفة، وحين كان قوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا.

وكذا يوم أوسط أيام التشريق، وحين كانت سورة النصر، ولتتكون في ذهن المستقبل هذه الرسائل الثلاث؛ ولتعمل عملها فيه، وإن هو نبينا صلى الله عليه وسلم، بأبي هو وأمي ونفسي وأولاء هم الصحب الكريم الأخيار الأبرار، رضي الله تعالى عنهم، بل هذه هي النخلة، ويوم أن بكت لفراقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويوم أن كانت منبره صلى الله عليه وسلم، بل وهذا هو الوجود كله، وحين قد آنس منه هاهنا رحمة، أو قد عايش منه هاهنا رأفة، وسلما، ودعة، وحنوا، ولطفا، وسلما، وعفوا ونبلا، وسماحة، وطهارة، ونبلا من الخلق الحميد عاليا، وخبرا من السمت الحسن رفيعا سامقا.

ولكن عموميات الآيات، وإذ تحكي قصة هذا الموت، ويكأنه سنن رباني، على كل نفس، وإذ يعد هذا تسلية لكل نفس أيضا، وحين تعيش معانيها ومراميها، وهي إذ تتلمس ما توحيها، وإذ كان من ذلك هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو تسرية أيضا عن أولاء الأصحاب الكرام البررة، ولما عاينوا بشرا، وكاسم من أسماء البشر، وأن نعم! وإنما كان عمله هو ذلكم الذي ينأى عنه كل البشر!

وقال الله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر ٣٠-٣١].

وقال الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤-٣٥].

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وها هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، يتلو، ويذكر، ويهدهد نفسه قبل غيره في مصاب الأمة، بل الكون بأسره، ويوم أن نزل بنبينا صلى الله عليه وسلم رسول ربه، وهو إذ بين يدي رحمته رسولا كريما، ونبيا رؤفا رحيما، وحين كان الناس ويكأنهم يسمعون هذه الآية أول مرة! وحين تلا الصديق قول ربنا سبحانه ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

فعن عائشة أم المؤمنين: أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك، فقد متها. قال الزهري: وحدثني أبو سلمة، عن عبد الله بن عباس، أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} إلى قوله {الشاكرين}، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها فأخبرني سعيد بن المسيب، أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات[١١٧].

(١١٧)صحيح البخاري: ٤٤٥٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

ومن أدرى هذا النبي صلى الله عليه وسلم بميقات ملاقاة ربه تعالى، وحين اعتكف عشرين يوما من شهر رمضان عامه الذي توفي فيه، وفي الوقت الذي كان صلى الله عليه وسلم يعكتف منه عشرة أيام، هي أواخر هذا الشهر الكريم المبارك، وحسب؟!

ويكأنه صلى الله عليه وسلم يستشعر ذلك؛ ومن عرضة جبريل عليه السلام القرآن عامه هذا عليه صلى الله عليه وسلم مرتين! وإذ كان يعرضه عليه كل رمضان مرة واحدة!

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه[١١٨].

فلا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أنْ يَقُولَ: إنَّما كَانَتْ بَيْعَةُ أبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وتَمَّتْ، ألَا وإنَّهَا قدْ كَانَتْ كَذلكَ، ولَكِنَّ اللَّهَ وقَى شَرَّهَا، وليسَ مِنكُم مَن تُقْطَعُ الأعْنَاقُ إلَيْهِ مِثْلُ أبِي بَكْرٍ

وهذا هو قول عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه، تقريرا للحق وبه إقرارا أيضا، وحين تقف منه على هذا الثناء على أبي بكر رضي الله تعالى عنه، صاحب هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أيضا كان ذلكم الولي، صاحب لواء حجه عامه التاسع من هجرته، وحين أرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عليا بن أبي طالب إليه؛ ليعلن على الناس البراءة من المشركين، ويوم الحج الأكبر، وأن الله تعالى بريء من المشركين ورسوله، وفي إعلان عام، أن هذا الدين، وإنما كانت هذه البراءة من الشرك والمشركين نظامه، ومن معنى هذه الشهادة، شهادة التوحيد الخالدة، وهي تلك التي شهدها الناس أيضا. عقدا مبرما وبينهم وبين ربهم ألا معبود بحق سواه وأن هذا البراء وإنما هو منها، ومن معناها.

([١١٨])المرجع السابق: ٤٩٩٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

وفي لفتة خلقية فريدة، وحين يسأل أبو بكر عليا سؤاله هذا: أأمير أم مأمور؟ وليرد عليه أخوه عليٌّ ردا جميلا عليلا، وجوابا شريفا نبيلا: وحين قال: بل مأمور. ومن لمحة بر وولاء، ومن نظرة حنو ووفاء. وإنما تحكي صورة الولاء والمحبة، وإنما تقصص رواية الصفاء والنقاء والمودة.

ويكأنهم، ومنه أفادوا الاختيار، وإن لم يكن تصريحا، وإنما أخذوه، ويكأنه منه صلى الله عليه وسلم كان تلميحا، وهذه من مناقب هذه الأمة، وحين تستشرف إيماءات الخير والهدى من راعيها، ولما تستكنه شارات الاجتباء والاصطفاء من واليها!

وإنما كانت بيعة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلتة، وحين لم يبايعه كل المسلمين يوم السقيفة! وهذا شأن ليس فوق التصور من شيء، وإنما لم يذكر التاريخ يوما، أن أمة قد بايعت أميرها، وعن بيعة أجمعها، وإنما جرت العادة أولا أن يقول أهل الحل والعقد فيها كلمتهم، ومن ثم يطرح أمر البيعة العامة، حضرها أم لم يحضرها الجميع، وبايع الناس كلهم أو جلهم، فإن هذا ليس يقدح في الاختيار، ولئلا تكون فتنة، وهذا الذي أشار إليه عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه، وحين كان من فضله تعالى أن تجتمع كلمة المسلمين على أبي بكر، ومن بعد وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر يذكره التاريخ لهذه الأمة.

ولكن البراعة، وحين يقف الغائبون، وعلى اختيار المبايعين من الحاضرين، ويكأنهم يلتزمون، وبما قد حرره إخوانهم من قبل!

ويكأنهم، وكما كان العهد بهذه الأمة وحين ليست تقطع ثلة منها سبيلا أو واديا، وإلا كان الباقون معهم! دينا واحدا، ومنهجا واحدا، وسبيلا واحدا، وأجرا نبيلا، وجزاء فضيلا!

ويكأنهم، هم أولاء الذين حكى عنهم نبيهم صلى الله عليه وسلم، وحين أثنى عليهم رسولهم، وحين قال جابر بن عبدالله قوله المجيد الخالد هذا: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فقال:

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم؛ حبسهم المرض. وفي رواية: إلا شركوكم في الأجر[١١٩].

وهذه بلا شك من أسباب التوافق والائتلاف، وبها يحسم كل أمر موجب للشقاق والاختلاف.

ولم لا نقول: إنها كانت فلتة، ومن معنى أن الله تعالى قد أجمع عليه قلوب المؤمنين، ومن الحاضرين ومن الغائبين؟! ولعل هذا أبلغ قيلا، وأبين سبيلا!

وعلى أن أبا بكر هذا كان أهلا لمثل هذه البيعة المباركة، وإذ من يضاهي أبا بكر، أو قريبا منه، ومن بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟! وهذه شهادة عمر الفاروق، ومن قبل كانت شهادة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، ومن فعل أبي بكر يوم الهجرة، ومن قبله يوم الإسراء والمعراج، ويوم بدر، ويوم الحج، يوم إعلان البراءة من المشركين، وأن الله بريء من المشركين ورسوله، وسائر أيام هذه الدعوة المباركة، وهذا نص القرآن الحكيم، الذكر المبين فيه، وحين قال الله تعالى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧- ٢١].

وقد مر بنا طرف من مناقب هذا الصديق الوفي الأبي، وإبان هذه السيرة النبوية المباركة، وهو الأمر الذي يعوزه بحث مستقل، يناسب مقام هذا البذل، وهذا الفناء، لهذا الصديق أبي بكر رضي الله تعالى عنه، ومع شكر وثناء، ولكل من أدلي في هذا المقام دلوا!

أما عن هذا الذي حدث يوم السقيفة، فإنه لأمر صحي تماما، وأن يقول الأنصار كلمتهم؛ ولأنهم هم الذين كان لهم فضل الإجارة والنصرة لهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحين كانت لهم وقفاتهم المجيدة، ويوم العقبتين خير شاهد، ويوم هوازن ليس بعيدا أمده، وحين كانوا من الأدب

---

[١١٩] صحيح مسلم: ١٩١١

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الجم الرفيع، والخلق الحسن الحميد، وها هم يقفون على هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، ويخرجون من لعاعة الدنيا، وعلى نظم هذا الحديث الذي بين أيدينا- وكما مررنا به آنفا في حينه أيضا- فإنه: لَمَّا كانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، التَقَى هَوَازِنُ ومع النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَشَرَةُ آلَافٍ والطُّلَقَاءُ، فأدْبَرُوا، قالَ: يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، قالوا: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، لَبَّيْكَ نَحْنُ بيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: أنَا عبدُ اللَّهِ ورَسولُهُ. فَانْهَزَمَ المُشْرِكُونَ، فأعْطَى الطُّلَقَاءَ والمُهَاجِرِينَ ولَمْ يُعْطِ الأنْصَارَ شيئًا، فَقالوا، فَدَعَاهُمْ، فأدْخَلَهُمْ في قُبَّةٍ، فَقالَ: أمَا تَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ، وتَذْهَبُونَ برَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فَقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا، وسَلَكَتِ الأنْصَارُ شِعْبًا؛ لَاخْتَرْتُ شِعْبَ الأنْصَارِ[١٢٠].

وأولاء الأخيار هم الذين أثنى عليهم ربهم، ومن قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

ولكن المهاجرين أيضا، وقد كانت لهم كلمتهم، وحين هاجروا، وتركوا الديار والأموال؛ حسبة لله تعالى ربهم الحق المبين. وحين قد تنزل فيهم قرآن كريم، ومن قوله تعالى- وكما أنف من حينه أيضا- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

ولكن وقفة أبي بكر أسكنت، وطمأنت، وأطفأت، ومهدت، وأرضت القوم أجمعين، وحين تكلم، وذكر، ومن لين قوله، ومن حلم فؤاده، وليس فظا غليظ القلب، وحين أوقف الناس على أمر النبوة، وأن الخلفاء من قريش، وأن يقف الناس، منقادين، مسلِّمين، وقافين، وبه توأد وتطفأ شهب الفتنة، وليسكت المهاجرون؛ ومن رضا، وليصمت الأنصار؛ ومن قبول، ومن حيث كان هذا

([١٢٠])صحيح البخاري: ٤٣٣٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هو هدي نبيهم صلى الله عليه وسلم، وحين ذكرهم به أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وحين قال هذا النبي صلى الله عليه وسلم: الأئمة من قريش، ولهم عليكم حق، ولكم مثل ذلك، ما إن استرحموا رحموا، وإن استحكموا عدلوا، وإن عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس، أجمعين، لا يقبل منه صرف، ولا عدل[١٢١].

وبه يخرج كل قول، وعليه يقوم أمر خلافة النبوة، ويكفي بهذا التذكير خروج من فتنة، كان يمكن لها أن تقوم، وأن تشرئب لها الأعناق، وحين كان من قول واحد، هو ذاك قول قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ؛ مِنَّا أَمِيرٌ، ومِنكُم أَمِيرٌ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ! ولكن الله تعالى وقى شرها، وكما قال عمر الفاروق، وهو الأمر الذي يوقف عنده أيضا، ومحاولة إغلاق باب الفتنة، وبكل وجه ممكن؛ ولأن شررها، ولو تطاير، فلسوف ينال الأمة كلها، ومن حره، ولسوف يمسسها أجمعها، ومن شره، ويكأن الله تعالى يقيض حكماء، أتقياء، أنقياء، أصفياء، ومن شاكلة هذين الرجلين: الصديق أبوبكر، والفاروق عمر رضي الله تعالى عنهما، ومن غيرهما أيضا، ولأن هذه الأمة ولادة، وبكل وجهة خير ممكن.

على أن بيعة أبي بكر، وإنما أفرزت عن هكذا معدن أمة رضيت، واطمأنت، ووقفت عند هدي نبيها صلى الله عليه وسلم، ولم تسابقه شيئا، وكما أنها لم تتخلف عنه شيئا أيضا.

وإن هذه الأمة، وحين قد أخذت بالشورى، مذهبا لبيعتها، وإنما كان من هكذا مسلك أن ترضى النفوس، وأن تقف، ومن ذات نفسها حائط صد ومنع؛ ولحماية صرح توليتها وبيعتها وإمارتها، وتحصين أمر اختيارها وكلمتها، وبدل أن يكون الأمر غصبا، فيكثر الهرج والمرج، والأخذ والرد، ولا يمكن لهكذا أمة أن تقوم لها قائمة بين الأمم، وحين تنفك من قيد هيبتها الذمم، ولا تصغى إليها أفئدة الناس؛ لا احتراما لها، ولا توقيرا!

([١٢١])صحيح الجامع، الألباني: ٢٧٥٨

السلالة الفكرية والثقافة
www.sadalu.net

وعلى أن بيعة أبي بكر هذه، وإنما كانت برا بهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كانت علما على نبوته صلى الله عليه وسلم أيضا؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». ولأنه قد تمت بيعته، وعلى رضا، وعلى إجماع من كل المؤمنين، المهاجرين منهم والأنصار، وإن بدت بعض أمور، ليس يخلو منها صف، وكما أنف، والنادر لا حكم له.

فعن عائشة أم المؤمنين: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعي لي أبا بكر -أباك- وأخاك؛ حتى أكتب كتابا؛ فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر[١٢٢].

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين، منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب، في آخر حجة حجها، إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان؟ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني -إن شاء الله- لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم؛ فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة؛ فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر: أما والله -إن شاء الله- لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت

([١٢٢])صحيح مسلم: ٢٣٨٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الرواح حين زاغت الشمس؛ حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلا، قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر علي وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟! فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف. ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو: إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ألا ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله. ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلانا، فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه؛ تغرة أن يقتلا، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم: أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم، لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا:

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم، قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري، إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت؛ فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب نسبا وادارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك من إثم؛ أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب؛ منا أمير، ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه؛ تغرة أن يقتلا[١٢٣].

([١٢٣])صحيح البخاري: ٦٨٣٠

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مسألة الاستخلاف

وكما ثبت في الصحيحين من حيث هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له إلا تستخلف يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني. يعني - أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، يعني – رسول الله صلى الله عليه وسلم -. قال ابن عمر: فعرفت حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مستخلف. وقال سفيان الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن سفيان. قال: لما ظهر علي على الناس. قال: يا أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الامارة شيئا، حتى رأينا من الرأي أن يستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله - أو قال حتى ضرب الدين بجرانه[١٢٤].

والغرابة! هو ذاك التركيز على عليٍّ! وقد كان معه الزبير بن العوام! أم أن المقصود هو اللعب على ساق قرابته، أو أن المستهدف هو الضرب على وتر صهارته؟!

عن موسى بن عقبة عن سعد بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه: و أن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم و قال: و الله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها الله عز وجل في سر وعلانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمرا عظيما مالي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز و جل ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله

([١٢٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٥ / ٢٧٠

www.sadalu.net

عليه و سلم إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس و هو حي[١٢٥].

أعماله إبان خلافة أبي بكر الصديق

وعلى أنه يذكر للفاروق عمر ضي الله عنه منقبته، ويوم ذكروا نوح عائشة أم المؤمنين على أبيها وحين نهاهن الفاروق وعن ذلكم عمل، وحين أقامت عائشة عليه النوح، فنهاهن عن البكاء عمر، فأبين، فقال لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة، فأخرج إليه أم فروة ابنة أبي قحافة، فعلاها بالدرة ضربات، فتفرق النوح حين سمعن ذلك[١٢٦].

وعلى أنه أيضا، ولربما يفهم من تزكية هذا النبي أبا بكر وعمر، وأنهما يبايعان، وكل من بعد الآخر؛ ولحديث: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه[١٢٧].

تواضع عمر

ولما كان جنديا من جنود جيس أسامة هذا! وحين أرسله إلى أبي بكر ومما أنف؛ حرصا على حياة القائد الجديد، وخشية أن يكون هدفا، ولو محتملا لأعداء الملة، وأولياء إبليس!

فحين خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب - وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالناس، وقال: إن معي وجوه الناس وجئتهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون[١٢٨].

([١٢٥])المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠: حديث رقم: ٤٤٢٢، ٣/٧٠. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
([١٢٦])الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج ٢ / ٢٦٩
([١٢٧])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٩٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

طلب عزل أسامة

ولأنه كان من نظر الأنصار صغيرا، وأنه ولئن ولاه النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا أنه كان سوف يرعاه، ومن تتبعه، ومن توجيهه، ومن ثم رأوا ومن موت النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أصبحوا يخشون على هذه العصبة المؤمنة المتكونة حديثا، أن تنال، ومن عدو الله وعدوها، ولا سيما أن أسامة كان صغيرا، ومما أنف.

وإلا أنه قد فات الأنصار أنه هذه الأمة أمة مرحومة، ومن رحمة ربها بها أنه وإن تولى قيادة جيشها أسامة بن زيد، هو هذا الصغير، وإلا أنه ولسوف يوفق الله تعالى أبا بكر، أن يقوم على المهمة خير قيام، وإن خشي الأنصار، وإن كانت خشيتهم ولها من وجه، وعلى أنه يستصحب عونه تعالى وتوفيقه من قبل ومن بعد.

وإن في عقدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم ويوم اختاره لهكذا المهمة، وإنما ولربما كان من وحي أو من رديفه! ومنهما يتحصل ألا خوف، ولئن غاب هذا أو طرفه، وعن كمثل الفاروق، أو من نحا نحوه هذا!

فعن الحسن البصري: أن أبا بكر لما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر: قل له فليؤمر علينا غير أسامة، فذكر له عمر ذلك، فيقال: إنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يا بن الخطاب، أؤمر غير أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٢٩]؟

موقعة أجنادين الأولى

وإنما سميت أجنادين لتقابل جنود الفريقين يومهم هذا، ويوم أجنادين الثانية أيضا.

([١٢٨])الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج ٢ / ٣٣٤
([١٢٩])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٦ / ٣٣٦

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعلى أن وقعة أجنادين هذه، وإنما يحسب للفاروق فيها عمله، ولما كانت وإبان ومن بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما.

وحين كان من دهاء القبقبار قائد هرقل يومه هذا، وأن أرسل عينا عربية على جند المسلمين، ومما هو ممهور من عمل تاريخ القادة الخبراء، ولما يرسلون أو يولون من كان من جلدة القوم ومن لسانهم.

وهذا الذي كان منه عمل هرقل يوم أجنادين!

ومن ثم رجعت عينه العربية بخبرها الصادق الأمين!

ولما كان من وصفها إياهم أي أتباع الحق المهرة البررة أولاء الأصحاب الغر الميامين، ومن أنهم بليلهم رهبان، ومن أنهم ومن نهارهم فرسان!

وهذا الذي كان استنباطه، وألو كان هذا وصفهم، وإنما السكينة والنصر والظفر لهم، وإنما الخيبة، وإنما الهزيمة والاندحار لعدوهم!

وهذا الذي كان منه نصرهم على عدو الله تعالى وعدوهم حقا، وإذ ليست ومن فراسة للقبقبار قائد هرقل وحدها، وإنما هو هذا الحق المبين، والذي كان أبلج يوم الناس هذا، وغير يوم الناس هذا.

فبعث القبقبار عربيا إلى المسلمين يأتيه بخبرهم، فدخل فيهم وأقام يوما وليلة ثم عاد إليه، فقال: ما وراءك؟ فقال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوه، ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم. فقال: إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

والتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، فظهر المسلمون وهزم المشركون، وقتل القبقلار وتذارق، واستشهد رجال من المسلمين[١٣٠].

ويشهد التاريخ وكم كانت لعمرو بن العاص فيها من أياد ناجزة عاملة ناصبة، وكم كانت لسيف الله تعالى خالد بن الوليد فيها من حكمة ودربة ونصر مشيد وعمل عسكري مهيب.

وحين كان منه إرسال بشارة النصر، وإمارة الفوز، على هرقل، وجنده، يومه هذا.

صفة أبي بكر وصفة الفاروق عند أهل الكتاب!

وهذا الذي ساقه التاريخ ومن: أمر هرقل بعض حجابه ان يأتي برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالأخبار برجل منهم فقال له الملك كم عهدك قال منذ خمسة وعشرين يوما قال فمن المتولي عليهم قال له رجل يقال له أبو بكر الصديق وجه جيوشه إلى بلدك قال هل رأيت أبا بكر قال نعم وإنه أخذ مني شملة بأربعة دراهم وجعلها على كتفه وهو كواحد منهم وهو يمشي في ثوبين ويطوف بالأسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوي للضعيف قال هرقل صفه لي قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق ديني هو صاحب أحمد الذي كنا نجد في كتبنا أنه يقوم بالأمر من بعده ونجد في كتبنا أيضا أن بعد هذا الرجل رجلا آخر طويلا كالأسد الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال إن هذا الذي وصفته لي رأيته معه لا يفارقه قال هرقل هذا الأمر والله قد صح وقد دعوت الروم إلى الرشد والصلاح فأبوا أن يطيعوني وأن ملكي سوف ينهدم[١٣١].

---

(١٣٠)كتاب الكامل في التاريخ - ت تدمري،[عز الدين ابن الأثير]:٢٦١/٢

([١٣١])فتوح الشام، الواقدي: ج ١ / ١٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الثاني

خلافته

لما نزل بأبي بكر - رضي الله عنه - الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنه أفضل من رأيك إلا أنه فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا مما قلت لكما شيئا، ولو تركته ما عدوت عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئا، ولوددت أني كنت من أموركم خلوا، وكنت فيمن مضى من سلفكم.

ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك! فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفني! إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك.

ثم إن أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خاليا ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد ... - ثم أغمي عليه - فكتب عثمان: أما بعد، فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيرا. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه لم يألكم نصحا. فسكن الناس، فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأوصاه بتقوى الله، ثم قال: يا عمر، إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار، وحقا في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا. ألم تر يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا باطل أن يكون خفيفا. ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء؛ ليكون المؤمن راغبا راهبا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه. أولم تر يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم؛ لأنه يجاوز لهم ما كان من سيئ، فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه[١٣٢].

([١٣٢])كتاب الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢/٢٦٦و٢٦٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فتح دمشق

وعلى أنه قد تجلت عبقرية الفاروق العسكرية، وحين كان من أمره تطلعه إلى فتح دمشق العاصمة! فإنها حصن الشام، وبيت ملكهم، وأن يشغل أهل فحل بخيل تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى فحل، فإذا فتحت عليهم سار هو وخالد إلى حمص، وترك شرحبيل بن حسنة وعمرا بالأردن وفلسطين.

وهذا فن عسكري باهر؛ ولأنه وحين يؤتى على العاصمة، وإنما كانت منها القاصمة!

وهذا يحدث أثرا مدويا في قلوب الخصم، وإنما يزلزل الأرض من تحت أقدامه، ولما يفقده توازنه! وإذ ماذا بقي له من أرض يتغنى بها؟!

وحين قد دكت دكا إدارته!

ولما قد أتي على مركز قوته؛ ولأنها ومن موجب كل ذلك، ولسوف يكون انهيار ما بعدها أكثر يسرا! ويكانه لعقة واحدة، ومن حفنة من جنوده المهرة.

وليتبقى أمام الخصم شيء واحد هو التسليم والانقياد للفتح الرشيد الجديد!

فن عسكري باهر

وإلا أنه وحين تجلت هذه العبقرية العسكرية أوفر وأكثر، وحين كان من أمره قائده أمين هذه الأمة، أبا عبيدة عامر بن الجراح، يومه ذاك أن يشغل حوالي دمشق، وأهلها، وأن يشغل أهل فحل بخيل تكون بإزائهم، وإذا فتح دمشق سار إلى فحل، فإذا فتحت عليهم سار هو وخالد إلى

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

حمص، وترك شرحبيل بن حسنة وعمرا بالأردن وفلسطين، وذلك بما يغنيهم عن محاولة إغاثة أوليائهم في دمشق[١٣٣]!

وهذا فن عسكري باهر آخر.

وهذا هو سجل المدرسة العسكرية الإسلامية، نذكره تاريخا مجيدا، لمن أتي ويأتي، ومن ثم بعد؛ وليعرف الناس أن تاريخا هكذا صنعه مجد عمر الفاروق!

وإذ يمثل هذه المدرسة التاريخية المجيدة.

ومنهلا خصبا لمواد التربية العسكرية المختلفة المجيدة أيضا.

وهذا الذي كان منه فن عسكري مجيد آخر، وحين رتبت القوات العسكرية أوضاعها، واتخذت أماكنها، وحددت أطر انطلاقها، ومراكز أهبة استعداداتها!

وحين طوقوا دمشق من سائر أنحائها؛ عملا عسكريا آخر مجيدا؛ ولإحكام القبضة، ولئلا يدخلها عون، ولئلا يخرج من فيها أيضا!

وحين نزل أبو عبيدة على ناحية، وخالد على ناحية، وعمرو على ناحية، وكان هرقل قريب حمص، فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا، وقاتلوهم بالزحف والمجانيق، وجاءت خيول هرقل مغيثة دمشق، فمنعتها خيول المسلمين التي عند حمص، فخذل أهل دمشق، وطمع فيهم المسلمون[١٣٤].

([١٣٣])كتاب الكامل في التاريخ، ابن الأثير:٢٦٨/٢

([١٣٤]) المرجع السابق: ٤٢٨/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعلى أنه يذكرنا هذا الحدث التاريخي المجيد، بيوم الخندق، يوم الأحزاب، ولما كانت الرياح عاتية، حتى قلعت خيامهم! وحين كانت البرودة قاسية، وحتى جمدت، أو كادت أن تجمد أجسامهم! وإلا أن الناس يومهم هذا عسكروا وحاصروا، ولم يضعفوا، ولم يستكينوا، بل صبروا، وصابروا، وجلدوا! حتى أسلم الله تعالى لهم عدو الله وعدوهم!

ولأن الشيء بمثله يذكر، ولما كان يوم دمشق وضواحيها، وحين كانت البرودة قاسية، فأطمعت أهله دمشق وضواحيها، وأن الجند المسلمين، ولربما فروا! وتركوهم ليهنأوا!

ولكنه، هيهات هيهات لما توعدون!

وهذا استصحاب آخر لأداء هذه المدرسة العسكرية الإسلامية المجيدة أيضا.

وهذا الذي يذكرنا به تاريخ العسكرية الإسلامية الخالدة، وحين أسس أصولها، هو هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة، وحين تمركزت قواته، ومن حولها، ومن جميع جهاتها؛ ولهذا الذي أنف!

وهذا الذي يذكرنا بخيبة قائد عسكري يوما! وحين كانت النكسة المؤلمة! وفي تبرير لا عسكري! بل منبئ عن جهل إداري، وبأبسط القواعد العسكرية، وأصول إدارة المعارك!

وحين باغت العدو قواته، وإذ ها هو يبرر؛ ولأنه العدو كان قد أتانا، ومن صوب، ولما لم نكن قد عملنا حسابه! ولأننا تحسبنا الجهة الفلانية وحدها!

وهكذا في كلام ممجوج! وإذ ليس يصلح مادة للمذاكرة، وبقدر ما كان مادة جالبة للسخرية، ومن جانب أول!

ويكأنه تربة خصبة؛ لمحاكمته محاكمة عسكرية مجيدة، ومن جانب أهم!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذه عين القائد الساهرة، وإن نامت عيون أخر!

ولما كان من أمر بطريق دمشق يوم الفتح المبين هذا، وأن صنع طعاما؛ ابتهاجا بمولوده الجديد! ولما ترك الناس مواقعهم! في خيبة عسكرية! وكيما يتحقق قضاء الله تعالى وقدره فيهم!

المحاربة بالحبال: وإذ كان من شأن خالد، وأن علم، وإذ كان ينيم! وليس ينام! ولما كان من حاصله استخدام حيلة ماهرة أخرى كان منها استخدام الحبال؛ لينزل المجاهدون على عدو الله وعدوهم، بسالة ورغبة هادرة في الله تعالى الحق المبين!

وإذ كان من ناتج هذا الهجوم المباغت على الروم، ومن ثم هزيمتهم، طلبهم صلحا، ونزولا على شروط خالد!

وإلا أن خالدا كان قد اصطحب معه القعقاع بن عمرو، و مذعور بن عدي بن حاتم الطائي!

وهكذا ليقوم الأفذاذ الذائدون عن بيضة دينهم، ومن اختيار الرجل الصحيح في المكان الصحيح؛ قرارا عسكريا خالديا خالدا أيضا!

عمل التكبير في الجهاد: وعلى أن صيحات التكبير كانت ملازمة لهكذا الفتح المبين، وكل فتح مبين آخر، ومن خلالها كانت تبث مشاعر الافتداء والبذل والشجاعة والإقدام أيضا!

وهذا أساس ماهر؛ لاستدعاء الطاقات الخلابة في الجنود!

وهذا إشعار ماجد؛ في الإتيان على الروح المعنوية للخصوم أيضا!

ومنه فقد كان التكبير هكذا عنوانا، على اتقاد روح البذل، لدى جند الله تعالى المغاوير، وكبت روح المقاومة لدى الخصوم!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهكذا تم فتح دمشق، عهد الخليفة الجديد عمر الفاروق، وقيادة أمين الأمة أبي عبيدة، وريادة خالد والقعقاع ومذعور، في لافتة جديدة من توسعة رقعة الدولة الإسلامية؛ كيما يحل النور محل الظلمة، في أوكاره الحالكة يوم الناس هذا!

وعلى أنه يذكر التاريخ قرارا إداريا حقا، كان قد اتخذه القائد، أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، ولما كان منه تنصيب واستخلاف يزيد بن أبي سفيان على دمشق؛ وكيما لا يترك هنالك من فراغ إداري.

ولكن هذا كان من صلاحيات القائد يوم الناس هذا، ومن توزيع للمهام، كانت به أمتنا متسمة لا جامدة، ومن حراكها، أو من سكناتها أيضا.

فتح الموصل

والذي كان منه توجيه الخليفة عمر الفاروق، أبا عبيدة أن يتجه إلى الموصل، في رسالة كان يحملها هذا الجيل، ومما قد حكاه التاريخ عنهم، أنهم للّيل كانوا رهبانا، وأنهم للنهار كانوا فرسانا!

وفي رسالة إلى الناس أجمعين أن دين الله تعالى هو هكذا، حركة دائبة، وشعلة متقدة أبدا.

وإذ ليس يخبو يوما.

وإن العلماء يوم الناس هذا، كانوا هم قادة الميدان، لا خطباء الناس، ومن أروقة المساجد، وحسب!

وهكذا في تنظيم عسكري مهيب، وحين بعث أبو عبيدة خالدا على المقدمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة، وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرجال عياض بن غنم!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولأنهم يعلمون قول ربنا الرحمن سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤].

وهكذا كان النصر حليفهم، وحين كان من شأنه ذلكم اليوم والليلة، ما أنبا عنه التاريخ، مياها كانت بين الفريقين، وإلا أن شرحبيل كانت عينه ساهرة، معبئا جنده، ولما لم يخش ماء ولا سواه، وحين أضحى الناس منتصرين، ومن عدوهم ظافرين وغانمين، ولغنائمهم موزعين؛ ولأن أمة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما جعل رزقها، ومن تحت ظل رمحها! وما أشبه الليلة بالبارحة!

ولأن يوم دمشق لا زال ينبض بحياة!

ثم سار أبو عبيدة إلى حمص وفحل وسواحل دمشق، وما جاورها، ومن جبيل بيروت وسواها، وحين كان من أمره أن نصب معاوية أخا يزيد عليها.

وإلا أنه يذكر التاريخ سيطرة الروم على بعض سواحل دمشق، وإنما الحرب سجال، والأيام مداولة.

وهذا الذي كان منه فتحها مرة أخرى، وعلى عهد عثمان، وبقيادة معاوية بن أبي سفيان أيضا!

عزل خالد

مرت مناسبات كثيرة، وقد تبدى منها رغبة عمر الفاروق عزل خالد، ولعلها كانت البادرة الأولى، والشرارة الابتدائية، هي يوم قتل مالك بن نويرة، وحين أشار على أبي بكر الصديق بعزله!

وإنما تحرج الصديق يومها؛ ومن كونه سيف الله تعالى المسلول؛ وحين أنبا بهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأن عمر الفاروق قد رأى عزله ورغمه أيضا!

ولعل مصلحة رآها الفاروق؛ ومن رغبته تلك!

ويكأن الفرصة قد حانت، ويوم أن تقلد الخلافة الفاروق، ومنه قد أصبح بيديه زمام قرار كهذا!

وحين تم فتح دمشق وما حواليها كان قراره!

ولما لم يخبره به أبو عبيدة، ولمصلحة رآها أيضا؛ ومن كونه كان قائد الميدان يومه هذا.

ولعل كل هذا من صلاحيات القادة الميدانيين، ولو كانت منه تأجيل تنفيذ قرار القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو اليوم عمر الفاروق!

وحين لم يعلم أبو عبيدة خالدا، وإلا من بعد استتباب أمور دمشق وما حواليها!

وإلا أنه ومن تقليد عسكري باهر، وحين عقدوا صلح دمشق، وإنما وتاجا توجه أبو عبيدة خالدا؛ ولما كان وساما منه له أيضا، وحين وقع خالد ميثاق الصلح هذا!

ومن ثم ومن بعد أعلمه قرار الخليفة عمر عزله!

ويعلم خالد أن مكانه هو خدمة هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد! وليس يهمه وأين يكون منه موقعه!

وهذا قرارا تاريخي، ومن معنى التاريخية هذه، وإنما؛ وليقول التاريخ فيه كلمته، وإن كلمته وإنما من يد القائد الأعلى للقوات المسلحة يومها هذا.

والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإنما تحكم هذه الرؤية المصلحة، وتدور عليها درء المفسدة، وحين يوازن القائد بين أموره، ولما يناظر في دلائله!

وأمامنا عزل الفاروق سعد بن أبي وقاص! ولما كانت منه شكوى واحد من الرعية!

ورغم قدم سعد الثابتة الراسخة، وإلا أن الفاروق عمر، كان قد عزله أيضا؛ لمصلحة، ولربما كانت أوسع من بقائه، ودرءا لمفسدة أرجح من أقلها، فيما لو كان قد أبقاه أيضا.

والسلطة التقديرية للإمام لها من وسع الصلاحيات، ما يجعلها حاكمة في هذا الشأن أو ذاك.

ولا سيما لما يكون مبتغاه هو صالح دين الناس، وخشية رب العالمين، ولقد كان الفاروق لذلك أهلا!

وليس يفوتنا أن سعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، ومن دعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم له، وحين كان من خبره أنه: تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا} [البقرة: ١٦٨]، فقام سعد بن أبي وقاص، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت ، فالنار أولى به)[١٣٥].

وليس يفوتنا ذكر أن وجها كان قد حمل عمر الفاروق، وإذ كان لمصلحة راجحة، وحين رأى عزل سعد بن أبي وقاص هذا، ورغم قدمه الثابتة، وإنما لإطفاء فتنة في المجتمع، ولإسكات أصوات هنا أو هنالك!

([١٣٥])جامع العلوم والحكم، ابن رجب: ٢٦٠/١، خلاصة حكم المحدث: إسناده فيه نظر.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكنه ليس يفوتنا ثناء الفاروق على سعد، ويوم أن جعل سعدا من الستة المرشحين للخلافة من بعده، ومن يوم طعنه أبو لؤلؤة المجوسي هذا!

وهذا الذي تكون منه رؤية الأمير واجتهاده، ولما كان للاجتهاد أهلا.

فعن جابر بن سمرة أنه: شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن[١٣٦].

ولكن الفاروق وإذ عقد ما يمكن تسميته بمحاكمة سعد وسماع أقوال المدعي والمدعى عليه!

ولما كان قول لسعد قد سجله له التاريخ بمداد لا من ذهب بل كان الذهب أقل منه قيمة! وحين قال التاريخ: ثم سار سعد، ومحمد بن مسلمة، والجراح، وأصحابه حتى جاءوا عمر، فسأله عمر: كيف يصلي؟

---

[١٣٦] صحيح البخاري: ٧٥٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فأخبره أنه يطول في الأوليين، ويخفف في الأخريين، وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ.

فقال له عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق.

وقال سعد في هذه القصة: والله إني لأول رجل من العرب، رمى بسهم في سبيل الله، ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا طعام نأكله إلا ورق الحبلة وهذا السمر، حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الدين، لقد خبت، إذا وضل عملي ولم يقل ابن نمير: إذا. وفي رواية : بهذا الإسناد، وقال: حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع العنز، ما يخلطه بشيء[١٣٧].

ورواه البخاري بلفظ: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة، ما له خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، لقد خبت إذن وضل عملي. وكانوا وشوا به إلى عمر؛ قالوا: لا يحسن يصلي[١٣٨].

تكملة إجراءات المحاكمة

من استخلفت على الكوفة؟

ثم قال عمر لسعد: من استخلفت على الكوفة؟

([١٣٧])صحيح مسلم: ٢٩٦٦.
([١٣٨])صحيح البخاري: ٣٧٢٨

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخا كبيرا من أشراف الصحابة حليفا لبني الحبلى من الأنصار - واستمر سعد معزولا من غير عجز ولا خيانة ويهدد أولئك النفر، وكان يوقع بهم بأسا، ثم ترك ذلك خوفا من أن لا يشكو أحدا أميرا[١٣٩].

بعث العراق

أبو عبيد بن مسعود الثقفي

وحين كان أول هذا بعث بعثه الفاروق عمر، ومن بعد ولايته خليفة المسلمين، ومن بعد ولاية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

وحين وقع ما وقع حول تولية هذا أو ذاك على العراق، وإن الناس يومهم هذا، وفيهم الذي منه تكون النفرة، ومن بعثهم إلى الفرس!

ولأن الفرس كانت لهم شوكة يومئذ، وكان الناس يحسبون لها حسابها!

وإلا أن المثنى بن حارثة قد أوجز وأفاد؛ وحين أطرب الناس وأذهلهم، ومن مرئيات جندي خالط الإيمان بشاشة قلبه، وأنه وإذا كانت للفرس صولاتهم، وإلا أنهم الآن أمام نوع آخر من البشر! وإذ يسنون أسنانهم لمن خالف الله ورسوله، ولما كان من عقدهم أن الله تعالى معهم، وأنهم مستصحبون تاريخا مجيدا لهم، ومن يوم بدر أو خيبر أو الخندق أو العسرة وما كان على ذلكم!

وهو الأمر الذي كان منه استجاشة القوم ونفرتهم، وعن بكرة أبيهم، باذلين لا يخافون في الله لومة لائم.

([١٣٩])العلم، ابن حجر: ج ٤ / ١٣٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي منه يكون تحفيز الجنود، وتعبئتهم؛ ولتجديد الدماء، واستدعاء الطاقات الكامنة في قلوبهم، ومن ثم ينهضون، ومن بعد كبوة!

وهذا رسم خطاب المثنى؛ تعبئة منهجية، وزادا على الطريق أيضا: أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإنا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم علن خير شقى السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم، ولنا إن شاء الله ما بعدها. فاجتمع الناس فقيل لعمر: أقر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين أو الأنصار قال: لا والله لا أفعل إنما رفعهم الله تعالى بسبقهم ومسارعتهم إلى العدو فإذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون إلى الدفع أولى بالرياسة منهم، والله لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابا[١٤٠]!

عمل التعبئة العسكرية المجيدة

ومنه بعث الفاروق عمر أبا عبيدة إلى العراق، ومن بادرة التعبئة أيضا، وحين طالب قوم بتولية بعض المهاجرين أو الأنصار؛ ولسبقهم، وإلا أن عمر الفاروق كانت له نظرته أيضا، وحين أمر أبا عبيدة هذا، ومن تعبئته، وكما قلت أيضا عملا بالشورى؛ ولحديث: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد[١٤١].

والحديث وإن كان فيه كلام وإلا أنه يؤيده حديث: حق المسلم على المسلم ست قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه[١٤٢].

---

(١٤٠) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٢ / ٤٣٣

(١٤١) السلسلة الضعيفة، الألباني: ٦١١، خلاصة حكم المحدث : موضوع.

(١٤٢) صحيح مسلم: ٢١٦٢

www.sadaf.net

ولا سيما وأنه ليس يشاور نفرا وأي نفر! بل يشاور صحابة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وهم من خير قرن، وهم الذين نزل فيهم قول ربنا تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وهذا الذي أراده الفاروق، أن تجدد دماء المجاهدين، ومن تجديد دماء قادتهم أيضا!

وهذا عمل عسكري ممتاز، ومن فلا تصاب المؤسسة العسكرية من وهنها، وإنما تكون ومن شبيبتها أبدا، وحين يؤمر عليها، ومن كانت دماء الفتح في قلوبهم جارية!

فأمر أبا عبيد وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشركهم في الأمر، ولم يمنعني أن أؤمر سليطا إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع الأعراب، فإنه لا يصلحها إلا الرجل المكيث. وأوصاه بجنده. فكان بعث أبي عبيد أول جيش سيره عم[١٤٣].

تسيير جيش فتح نجران

وهذا الذي فعله الفاروق؛ وعملا بخبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يجتمع دينان في جزيرة العرب، وفي علامة فارقة على عزة هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل!

وهذا ترسم الخلفاء، لخطى نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ونهجه.

وهذا هو دور الأئمة الباذلين الصادقين عهدهم مع ربهم، فاتحين لأهل كل محلة، ولخير هذه المحلة وأهلها ابتداء، وحين ينتشلونهم ومن براثن شركهم وكفرهم انتشالا، وإن كان ذلك على غير ما رغبة منهم! ولأنهم قد علموا صدق ذلك انتهاء أيضا.

([١٤٣])المرجع السابق: ج٢ / ٤٣٣

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي كان منه إرسال يعلى بن منية إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران بوصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن لا يجتمع بجزيرة العرب دينان[١٤٤].

فعن أبي عبيدة عامر بن الجراح أن: آخر ما تكلم به أن قال: قاتل الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب[١٤٥].

وهذا منه حرمة اتخاذا قبور الأنبياء مساجد، ومنه قبور الصالحين أيضا!

وهذا الذي منه علم على نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولأن القوم فعلوا ذلك!

وهذا الذي كان منه أمر عمر الفاروق المثنى بن حارثة، أن يتقدم، وإلى أن يقدم عليه أصحابه، ومن بادرة العون العسكري الميداني، ومن قاعدة عمل خطوط الإمداد الميداني أيضا.

وهذا فن عسكري باهر.

والذي كان منه استنفار من كان قد حسن إسلامه، من أهل الردة زمانهم ذاك؛ ولأنهم ذوو خبرة وبالميادين!

وهذا فن عسكري، وحين كان قد أشير به على أبي بكر، فقبله، وعمل به.

واليوم يستنه عمر الفاروق أيضا.

ولعل في مثل القرار ما يمثل نهضة بالقوم، ومن كبوتهم، ومن عثرتهم، التي كانوا عليها؛ ولاستدعاء بذلهم مهجهم ولإحياء عوامل الثقة فيهم أيضا.

---

[١٤٤] الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٢ / ٤٣٣

[١٤٥] صحيح الجامع، الألباني: ٤٦١٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي كان منه طاعة المثنى بن حارثة؛ وعملا بطاعة ولي الأمر؛ ولما كان أمره طاعة لله تعالى ربنا الحق المبين سبحانه.

انطلاق المثنى إلى الحيرة

وهذه ملحمة أخرى، وحين كانت يومه هذا، ومعه الفرس مرة أخرى!

وهذا قدره من ربه تعالى، وهذا اجتباؤه منه تعالى أيضا؛ شرفا وعزة ومجدا، كان للمثنى؛ ولأنه من خير من بذل، ومن حسن من جاهد، ولم يبق بعد إلا أن الله تعالى يجتبي من كان هذا شأنه، وعلوا لهامته في الحق، عزة وإباء.

وليس عمل سيف الله تعالى المسلول ببعيد؛ ولأن أمتنا هذه ولادة خير أبدا! ولأنها كالغيث الذي قال عنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم: مثل أمتي مثل المطر؛ لا يدرى أوله خير أم آخره[١٤٦].

إني أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم

هذا قول أبي عبيدة، وحين قد سجله له التاريخ، قولا مجيدا!

وحين أسر المسلمون جابان الفارسي يومه هذا؛ لأنه خدع القائد مطرا الذي كان قد وكل به، وراحوا به إلى أبي عبيدة ليقتله، ولكنه وإذ قد أبى؛ ولأن نفرا من المسلمين وهو مطر هذا، كان قد أمنه وأجاره؛ ولأن ذمة المسلمين واحدة، ولأنه يتذكر قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضا: انطلقت أنا والأشتر إلى علي فقلنا: هل عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده إلى الناس عامة؟ قال: لا ! إلا ما في كتابي هذا، فأخرج كتابا من قراب سيفه، فإذا فيه: المؤمنون تكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في

[١٤٦] سنن الترمذي، الترمذي: ٢٨٦٩، خلاصة حكم المحدث: حسن غريب من هذا الوجه.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عهده، من أحدث حدثا فعلى نفسه، ومن أحدث حدثا، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[١٤٧].

ولأنه الله تعالى قال أيضا ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[سورة التوبة: ٦].

إن أولاء القوم متضلعون من أداء قرآن ربهم الحق المبين، وكانوا متشرفين لحديث نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولأن قول أبي عبيدة هذا، وإنما هو ومن معاني الأداءين القرآني والنبوي!

وأما عن القرآن الكريم، ومما أنف ومن مثله أيضا، ومن معاني الولاية ومن قول الله تعالى﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٧١].

ومن معاني الأخوة، ومن قوله تعالى أيضا﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وأما عن الحديث النبوي، فهذا الذي ذكره أيضا، ومن أنهم يسعى بذمتهم أدناهم!

وأما جابان فإنه خدع مطرا وقال له: هل لك أن تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك، وكذا وكذا؟ ففعل، فخلى عنه، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأخبروه أنه جابان، وأشاروا عليه بقتله. فقال: إني أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون كالجسد الواحد، ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم، وتركوه[١٤٨].

([١٤٧])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٥٣٠

([١٤٨])التاريخ الكامل، ابن الأثير:ج٢ / ٤٣٥

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وقعة السقاطية بكسكر

وحين هزم أبو عبيدة خصومه، ومما أنف، وكانوا قد ولت فلولهم إلى كسكر، من محلة السقاطية، ومن ثم ولربما؛ عونا لإخوانهم هناك!

ولأنهم يعلمون طبيعة هذا الدين، ومن امتداده، وعدم اكتفائه، بوقوفه عند حدود هنا أو هنالك؛ ولأن طبيعته هي هكذا الامتداد!

ومن هاهنا راحوا إلى نصرة إخوانهم، في هذه الحرب المؤكد احتمال نشوبها!

ولكنه هو هذا القائد أبو عبيدة، أمين هذه الأمة، وإذ كيف يغيب عنه هذا، وإلا أنه عاجلهم، ومن قطع خطوط إمدادهم بهم! عملا عسكريا مجيدا أيضا!

وحين قد كتب الله تعالى لهم نصره، وإلا أنهم كانوا قد اغتنموا أموالهم.

وكان من حصيلة غنائمهم طعام لا يأكله إلا أولاء الفرس يومهم هذا!

وكان من طريف أن تولى أبو عبيدة أكله!

ولكن الأطرف أنه حمل الخمس إلى أمير المؤمنين الفاروق عمر، ومنه بعضا؛ وليأكل كما هم قد أكلوا؛ في إشارة الانتصار ونشوته، ومن عمل الإيثار وحفاوته!

وحين بعث أبو عبيدة إلى الفاروق قوله هذا: إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة تحميها، وأحببنا أن تروها؛ لتشكروا إنعام الله وإفضاله[١٤٩].

([١٤٩])كتاب الكامل في التاريخ - ت تدمري - عز الدين ابن الأثير: ٢٧٥/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هل أكرمتم الجند بمثلها؟!

وهذه حكاية إيثار أخرى، كان قد ساقها التاريخ إلينا، وعن أبي عبيدة هذا! وحين استحق ومن جد أن ينال وسامة أمين هذه الأمة! ومن كمثل موقفه هذا، وعلما على نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضا!

وحين قد راح إلى أبي عبيدة قوم باروسما والزوابي وكسكر؛ مصالحين أبا عبيدة، وقابلين شروط صلحه، الذي لا مظلمة فيه لأحد!

وحيث إنه كان منه هو الطعام الطيب، الذي ولربما لم تر أعين جند أبي عبيدة مثله! وإلا يوم الفرس هذا!

وإذ لم تكن أعناقهم لتشرئب إلى متاع، وأيا ما كان صنفه، أو لونه، أو طعمه؛ ولأنهم يعلمون أن الآخرة خير وأبقى!

وإلا أنهم ولما جاؤوا بهكذا طعام مع صلحهم إلى أبي عبيدة، وأرادوا أن يأكل، وإلا أنه لم ينس بل تذكر إخوانه المرابطين هناك! وما أدراك ما هناك؟! عند الجبهة! وهل أطعمتم إخوتي ومما جئتم به إلينا هذا؟!

وحين ظلوا يراودونه أن يأكل، ولما كان منه إباؤه، أن يطعم، وإلى أن أتوا إخوانه بمثل ما كانوا به قد أتوه أكل!

ومن حكاية التاريخ، التي يتقاطر ومن خلالها المحبة والإيثار هكذا: وجاء فروخ وفراونداد إلى أبي عبيد بأنواع الطعام والأخصبة وغيرها، فقال: هل أكرمتم الجند بمثلها؟ فقالوا: لم يتيسر ونحن فاعلون. وكانوا يتربصون قدوم الجالينوس. فقال أبو عبيد: لا حاجة لنا فيه، بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشيء، ولا الله لا آكل ما أتيتم به ولا مما أفاء الله إلا مثل

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ما يأكل أوساطهم. فلما هزم الجالينوس أتوه بالأطعمة أيضا، فقال: ما آكل هذا دون المسلمين. فقالوا له: ليس من أصحابك أحد إلا وقد أتى بمثل هذا، فأكل حينئذ[١٥٠].

وأحرز لسانك، ولا تفشين سرك

هذه وصية من وصايا الفاروق عمر إلى قائد جيشه يوم مواجهة جند رستم ملك الفرس يومه هذا! ويوم موقعة جالينوس وحين أسميت المعركة باسم قائده جالينوس أيضا!

ومن إشارة إلى أنه يمكن الإفادة من هكذا مجد صنعه رستم لقائد جيشه ولأنه ذلك أدعى لغرس النشاط وبذله معا أيضا.

ويكأنك تستشعر هكذا العض على السر؛ ولأنك ومن مأمن، ولطالما كان سرك بين جنبيك.

ولئن أفشيته ولا يلومن يومئذ أحد سوى نفسه التي بين جنبيه أيضا! ولأنه ليس أحد أضبط لسره من نفسه، ولئن كان على غير ضبط لسره، فإن سواه لإفشائه لأسرع!

وهذا شأن عام، وفضلا عن أن يكون ومن خلال العسكرية الإسلامية المجيدة أيضا.

ولأن الخطط العسكرية، وإنما تكون ومن مأمنها، وحين ليس يعلمها إلا واضعوها؛ ولأن الخصوم لهم عيونهم، ولأنه الأعداء لهم جنودهم.

ولأنه قد تحصن أبو عبيدة بأوامر قائده الخليفة الفاروق، وإنما كان منه نصره، ويكأنه كان له عليه ظفره.

ولعل هذه خبرة بالعدو، قد كان عليها الفاروق!

---

(١٥٠)التاريخ الكامل، ابن الأثير: ج٢ / ٤٣٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا فن تاريخين وفضلا على أنه علم عسكري، وحين يكون القادة من علم عن خصومهم ومواقعهم ومواطن قوتهم وأوكارهم، فيأتون عليها ويمنعونهم عملها! ويحرمونهم أثرها! وحين يكونون عالمين مكامن خورهم وضعفهم وإنما يؤتون منها!

ولكن الفاروق عمر كان قد وضع يديه على مواطن الضعف والداء والخور الكامن في صفوف عدوه!

وهذا درس منيف، ومنه يفاد أن الأمم، وحين يكون هكذا ضعفها ووهنها، وإنما قد أتت هي على درجات هرمها، فنقضتها سلمة، ومن بعد سلمة أخرى، حتى يؤتى عليها كلها، وحين كانت لقمة سائغة في أفواه خصومها!

وهذا درس تاريخي مجيد!

وهذا دستور الحرب، وقانون السلم، الذي منه، ومن سنن الفاروق يهتدي القادة والمقودون أيضا. وحين كان منه قوله هذا: إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم قد جرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه وإذا ضيعه كان بمضيعة[١٥١].

هذا تأويل رؤياي!

ويكأني بأبي عبيدة للرؤيا كان مؤولا! ولتعبيرها كان مفسرا!

([١٥١])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٢ / ٦٣٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين توجه بجيشه إلى المروحة، وحين كان منه أمر رستم قائده بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب على جيش المروحة يومها هذا، وأن يضرب عنق جالينوس، وإن هو انهزم مرة أخرى، على أيدي أبي عبيدة وجنده، ومن بعد هزيمته يوم وقعته بنرسي!

وإلا أن امرأته رأت رؤياها، ومن سماعه إياها، كان تفسيره، وعليه كان تأويله!

وحين كان منه أنه نيل شهادته، ومن بعد جهاده ومبارزته، تاجا كان قد توجه، وساما ألفيناه قد توسمه، وشرفا قد ناله، ومجدا كان أمامه وإمامه!

وهذا الذي كان منه، وحين قصت ما رأت، ولما روت ما حكت: امرأته أم المختار ابنه - أن رجلا نزل من السماء بإناء فيه شراب، فشرب أبو عبيد ومعه نفر، فأخبرت بها أبا عبيد فقال: لهذه إن شاء الله شهادة! وعهد إلى الناس فقال: إن قتلت فعلى الناس فلان، فإن قتل فعليهم فلان، حتى أمر الذين شربوا من الإناء، ثم قال: فإن قتل فعلى الناس المثنى[١٥٢].

إن استشراف الشهادة في سبيل الله ربنا الحق المبين كان عملا صالحا؛ ومنه فقد كان نظام الناس تاريخهم المجيد هذا أيضا!

وتاريخنا شاهد؛ وحين امتلأت سجلاته، بمثل هكذا الأخبار النيرة، ومن كمثل هذه الأنباء المضيئة المشرقة!

وذلك مقابلة تاريخ نكد للأعداء، وحين كان من قصصهم المؤلمة، ومن حكاياتهم المعتمة المظلمة!

وهكذا كان انتهاء معركة المروحة بتعبير أبي عبيد لرؤيا زوجته، والحمد لله رب العالمين!

([١٥٢])كتاب الكامل في التاريخ - ت تدمري - عز الدين ابن الأثير: ٢٧٧/٢

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الثالث

أحداث السنة الرابعة عشرة

الفاروق يغزو العراق!

موقعة القادسية

ومبرر ذلك أنه قد هزم الفرس المسلمين، ويوم قتلوا أبا عبيد يوم الجسر، وكان منه نقضهم ميثاقهم مع المسلمين، واغترارهم بكثرتهم، وقوة عتادهم!

وهو الأمر الذي رأى الفاروق واجبا عليه، أن يقوم هو، وحين فوض عليا بن أبي طالب أميرا على المدينة.

واصطحب معه صحبا كثيرا، معاونين يومهم هذا.

وإلا أن هذا المبشر بالجنة، عبد الرحمن بن عوف كان له رأي آخر، وحين كان من مشورته ألا يحضر الفاروق يوم العراق هذا؛ وليتركه لغيره؛ وحتى إذا ما حدث حادث فليكن من دون أن يكون الفاروق هو قائد الجيش الأعلى يومه هذا؛ فتنكسر شوكة الجمع كله؛ ومن سببه!

وهذا رأي فريد؛ ومنه وحين جمع الصحابة عمر الفاروق ليستشيرهم رأي عبد الرحمن بن عوف، ولما رأوا رأيه، فنزل الفاروق على رأي الشوري الجماعية يومهم هذا!

وهذه أمة كانت الشورى لها منهجا وسبيلا؛ ومنه كانت وقفات السماء تظلهم، وكان توفيق رب العزة والجلال حليفهم.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الصلاة الصلاة

وما أجمل الصلاة! وموقعها من ديننا، وحين كان هكذا النداء إلى الصلاة جامعة، هدوءً وسكينة وملجأ إلى الله تعالى العلي الأعلى، وحين كان سبيل نبي هذه الأمة هو هذه الصلاة، وإذا ما أفزعه من أمر، وهكذا كان خلفاؤه المهديون الراشدون من بعده.

إمارة سعد

وخطبة عمر

وهكذا كانت إمرة سعد بن أبي وقاص على جيش العراق وحين كانت وصية الفاروق له جامعة شاملة، ومن قوله: يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم، وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه، فإنه أمر.

هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين

ولما أراد فراقه قال له: إنك ستقدم على أمر شديد، فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك، تجمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته، واجتناب معصيته، وإنما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وإنما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة.

وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء، منها: للسر، ومنها: العلانية، فأما العلانية: فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر: فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن محبة الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبدا حببه، وإذا أبغض عبدا بغضه، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس[١٥٣].

وحين كان المثنى بالعراق وإذ كانت قد وافته منيته؛ ومن جرح يوم الجسر؛ ولما لم يلحق به سعد!

وحين كان عداد جيش سعد يومه هذا ثلاثين ألفا!

ووزع الفاروق المهام، وأعلم سعدا بها، ومن تكليف عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النون القضاء، وجعل إليه الإقباض وقسمة الفيء، وجعل داعية الناس وقاصهم سلمان الفارسي. وجعل الكاتب زياد بن أبي سفيان[١٥٤].

وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

هكذا نفي الحول والقوة عن العبيد، وحين كان تعلقهم بحبل السماء، وإنه للسبب المُعين، ولهو المَعين، ومنةً منه تعالى وفضلا وكرما على أوليائه، وحين تبرأوا من حولهم كله، إلى حول ربهم تعالى وحده!

وإذ كان من جملة وصاياه سعدا، وحين قال: إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول لتحيي القلوب، فإن القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئا فلينفع به، فإن للعدل إمارات وتباشير، فأما الامارات فالحياء والسخاء والهين واللين. وأما التباشير فالرحمة. وقد جعل الله لكل أمر بابا، ويسر لكل باب مفتاحا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الأموال. والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء. إني بينكم وبين الله، وليس بيني وبينه

---

(١٥٣)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٤٣
(١٥٤)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٤٤

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أحد، وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه فأنهوا شكاتكم إلينا، فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع[١٥٥].

وهذا حضور القائد وتوجيهه ونصحه وإرشاده قادة جنده، وحين كانت وصيته لهم، صبرا، ونية خالصة، واحتسابا، وقياما على أمر ربهم تعالى. ولما لم يكن للنفوس فيها من شيء؛ وبه تنال النصرة، وعنده تكتسب الظفرة!

وهذا قوام عدله؛ ولأنه به قامت السماوات والأرض، وإن الله تعالى لينصر الفئة العادلة، ولو كانت كافرة، وإنما تهزم الأمة الظالمة، ولو كانت مسلمة!

وهذا الذي كان منه حديث: أفاء الله خيبر على رسوله صلى الله عليه وسلم فأقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها بينها وبينهم فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم ثم قال يا معشر اليهود أنتم أبغض الناس إلي قتلتم أنبياء الله وكذبتم على الله عز وجل وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي فقالوا بهذا قامت السماوات والأرض[١٥٦].

المؤسسة العسكرية تعترف بخطئها!

يوم و اقعة البويب مثال

قال المثنى بن حارثة: عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر حتى أحرجتهم، فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها، فإنها كانت زلة، فلا ينبغي إحراج من لا يقوى على امتناع[١٥٧].

([١٥٥])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٤٣
([١٥٦])الزوائد الهيثمي: ١٢٣/٤، خلاصة حكم المحدث : رجاله رجال الصحيح.
([١٥٧])كتاب الكامل في التاريخ - ت تدمري - عز الدين ابن الأثير: ٢٨١/٢

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا ليس ترفا عسكريا، بل مجدا أيضا، وحين كان الاعتراف بالحق فضيلة؛ ولأنه من هكذا منطلق، يمكن إيجاد بدائل كثيرة؛ لتصحيح الموقف، وتعديل الخطط.

وأما أن تترك الأمور لتستفحل، ودونما بحث أو نظر عن سلبيات المؤسسة، هذه أو تلك، وإنما تتراكب الأخطاء، لتنذر بخطر وشيك، ينال الأمة كلها مر نتاجه!

وهذا الذي كان من المثنى يوم واقعة البويب، وحين أظهر للجنود ،مره وألا يتحركوا وإلا من بعد سماع التكبيرة الثالثة!

وحينها رآها الفرس فرصتهم وأن يهيلوا على الناس وها هم عابروا الجسر ولينقضوا عليهم ودونما إمهالهم أن يسمعوا حتى الكبيرة الثانية!

وهذا الذي سجله التاريخ للمثنى، عملا ماهرا، استحق عليه وسام المجد لاعترافه هذا؛ وكيما يكون ومن بعده هديا وسننا حسنا!

وإلا أنه هو هذا المثنى بن حارثة، وحين كان رأسا في الكفر يوما، وإلا أنه ظل رأسا في الإسلام أيضا!

ولعل هذا ومن علمية نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحين قال: أرأيتم أن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه؟

ومنه حديث: عن علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر . رضي الله عنه . فسلم وكان أبو بكر مقدما في كل خير وكان رجلا نسابة فقال: ممن القوم، قالوا: من ربيعة قال: أمن هاماتها أم من لهازمها؟!. قالوا: بل من هاماتها العظمى.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى؟!.

فقالوا: ذهل الأكبر.

قال لهم أبو بكر: أمنكم عوف الذي كان يقال:"لا حر بوادي عوف"!.

قالوا: لا، قال: أفمنكم "بسطام بن قيس" أبو اللواء، ومنتهى الأحياء، قالوا: لا. قال: فمنكم "الحوفزان بن شريك" قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا: لا. قال " فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم "المزدلف" صاحب العمامة الفردة قالوا: لا. قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة؟. قالوا: لا. قال: أفأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: إذن فلستم بذهل الأكبر بل أنتم ذهل الأصغر!!

قال: فوثب إليه منهم غلام يدعى دغفل بن حنظلة الذهلي حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقة أبي بكر وهو يقول: إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا نعرفه أو نحمله!.

يا هذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟. قال رجل من قريش. فقال الغلام: بخ بخ أهل السؤدد والرئاسة قادمة العرب وهاديه

قال دغفل: فمن أنت من قريش؟ فقال له أبو بكر: رجل من بني تيم بن مرة. فقال له الغلام: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة!.

ثم قال دغفل: أفمنكم قصي بن كلاب الذي قتل بمكة المتغلبين عليها وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل وأب حتى أوطنهم مكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك مجمعا؟.

وفيه يقول الشاعر:

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أليس أبوكم كان يدعى مجمعا،، به جمع الله القبائل من فهر

فقال أبو بكر: لا قال دغفل: أفمنكم عبد مناف الذي انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة؟ فقال أبو بكر: لا. قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ولأهل مكة؟

ففيه يقول الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ..... ورجال مكة مسنتون عجاف

سنوا إليه الرحلتين كليهم ..... عند الشتاء ورحلة الأصياف

كانت قريش بيضة فتفلقت ..... فالمح خالصة لعبد مناف

الرايشين وليس يعرف رايش ..... والقائلين هلم للأضياف

والضاربين الكبش يبرق بيضه ..... والمانعين البيض بالأسياف

لله درك لو نزلت بدارهم ..... منعوك من أزل ومن إقراف!

فقال أبو بكر: لا؟ قال: أفمنكم عبد المطلب شيبة الحمد وصاحب عير مكة ومطعم طير السماء والوحوش والسباع في الفلا الذي كأن وجهه قمر يتلألأ في الليلة الظلماء؟!

قال أبو بكر: لا. قال دغفل: أفمن أهل الإفاضة أنت؟

قال لا. قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الندوة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. قال فمن المفيضين أنت؟ قال: لا. ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته من يده فقال له الغلام:

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

صادف در السيل در يدفعه،،، يهيضه حينا وحينا يرفعه!

ثم قال: أما والله يا أخا قريش لو ثبت لخبرتك أنك من زمعات قريش ولست من الذوائب!. قال: فأقبل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم قال علي: فقلت له: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقعة! فقال: أجل يا أبا الحسن إنه ليس من طامة إلا وفوقها طامة! والبلاء موكل بالمنطق[١٥٨].

وهل تسامع أكثم والمثنى؟!

إن شهادة للتاريخ هكذا، وإنها لتربطنا ربطا محكما، ويوم أن سمع أكثم بن صيفي هذا الندى القرآني العالي السامق الرفيع، وحين كان منه وله أيضا، ولما قد سمع آية النحل: إن هذا النبي يدعو إلى مكارم الأخلاق وينهى عن سفسافها فكونوا في هذا الأمر رؤوسا ولا تكونوا فيه أذنابا.

ويكأنه لما بلغ أكثم أحمد بن صيفي مخرج رسول الله فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قالوا أنت كبيرنا لم تك لتخف عليه قال فليأت من يبلغه عنى ويبلغني عنه قال فانتدب له رجلان فأتيا النبي فقالا نحن رسل أكثم أحمد بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت وبم جئت فقال النبي ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠]. فأتيا أكثم فقالا أبى أن يرفع نسبه فسألناه عن نسبه فوجدناه زاكي النسب واسطا في مضر وقد رمى إلينا بكلمات قد حفظناهن فملا سمعهن أكثم قال أي قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذنابا كونوا فيه أولا ولا تكونوا فيه آخرا[١٥٩].

([١٥٨])معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: ٥٧٤٧

([١٥٩])الاستيعاب، ابن عبد البر: ج ١ / ١٤٦

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأنهما ومع المثني وصحبه، قد أفاقوا وحين كان هذا هو أداء هذا القرآن العظيم، وفعله في النفوس، وهي إذ تسمعه، وصدق الله تعالى ربنا الحق المبين، ولما كان الناس يستمعون هذا القرآن ومن وراء الحجرات خفية!

وليس ذكر الوليد بن المغيرة عنا ببعيد بل قريب!

مَنْ هذا الذي تأتينا وقائِعهُ قبل معرفة نسبه؟!

وعلى أن الرجل كان مقداما، وإلى البذل معوانا، ومع أهله على الخير شجعانا، وحين كان يغار على بلاد الفرس يومه هذا، ودون إذن من الخليفة أبي بكر يومه هذا أيضا! وحين وصلهم خبر جهاده في ربه تعالى، وإذ كانت هذه المقولة التاريخية لعمر الفاروق رضي الله عنه، ومن مناولة مع الصديق الخليفة يومه هذا، وحين: ذكر عمر بن شبة عن شيوخه من أهل الأخبار أن المثنى بن حارثة كان يغير على أهل فارس بالسواد فبلغ أبا بكر والمسلمين خبره فقال عمر من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه فقال له قيس بن عاصم أما إنه غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا قليل العدد ولا ذليل الغارة ذلك المثنى بن حارثة الشيباني ثم إن المثنى قدم على أبي بكر فقال يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعثني على قومي فإن فيهم إسلاما أقاتل بهم أهل فارس وأكفيك أهل ناحيتي من العدو ففعل ذلك أبو بكر فقدم المثنى العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد حولا مجرما ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ويقول له إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلي وأذل الله المشركين مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله أن الأعاجم تخافنا وتتقينا فقال له عمر يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث خالد بن الوليد مددا للمثنى ابن حارثة يكون قريبا من أهل الشام فإن استغنى عنه

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أهل الشام ألح على أهل العراق حتى يفتح الله عليه فهذا الذي هاج أبا بكر على أن يبعث خالد بن الوليد إلى العراق[١٦٠].

فن استعمال العيون!

وحين نفذت أموال وأطعمة المثنى يوم صفين وإذ أكلوا مما معهم من رواحل، وإلا ما كاد أن يكفيهم مؤونة تحركاتهم!

وهذا شأن يمكن أن يصيب خطوط الإمداد والتموين للقوات المسلحة أي زمان!

ولكنه الله تعالى وحين يفتح من فتحه الكريم على من خرجوا يريدون إعلاء كلمته! وحين كان من أمره من قوم تغلب أنه عرض عليه أحدهم أن يؤمنه، ومن ثم يدله على حي من قومه تغلب!

وحين أمنه المثنى من عبقرية عسكرية فذة لاستحصال ما يمكنه منه أن تتعدل خطوط الإمداد والتموين لقواته المسلحة، وألا ينفد زادهم!

وهو الأمر الذي كان منه هجومهم على محلة دلهم عليها التغلبي العين!

ومن ثم تعدلت ظروفهم وتحسنت أحوالهم ومن غنائمهم يومهم هذا!

وهذا الذي ذكره التاريخ: فلما دنوا من صفين فر من بها وعبروا الفرات إلى الجزيرة، وفي الزاد الذي مع المثنى وأصحابه فأكلوا رواحلهم إلا ما لا بد منه حتى جلودها ثم أدركوا عيرا من أهل دبا، وحوران فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير، فقالوا لهم: دلونا. فقال أحدهم: أمنوني على أهلي ومالي وأدلكم على حي من تغلب غدوت من عندهم اليوم. فأمنه

([١٦٠])الاستيعاب، ابن عبد البر: ج ٤ /١٤٥٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

المثنى وسار معهم يومه، فهجم العشي على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بأفنية البيوت [فبث غارته] فقتل المقاتلة وسبى الذرية واستاق الأموال[١٦١].

تغريق بتحريق!

وحين: مضى عتيبة وفرات ومن معهما حتى أغاروا على صفين وبها النمر وتغلب متساندين، فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء، فجعلوا ينادونهم: الغرق الغرق! وجعل عتيبة وفرات يذمران الناس وينادیانهم: تغريق بتحريق! يذكرانهم يوما من أيام الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل في غيضة من الغياض. ثم رجعوا إلى المثنى وقد غرقوهم، وقد بلغ الخبر عمر فبعث إلى عتيبة وفرات فاستدعاهما، فسألهما عن قولهما، فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل، إنما هو مثل فاستحلفهما وردهما إلى المثنى[١٦٢].

وهذا قول صدر من أحد جند الفاروق، وحين أغرقوا قوما من عدوهم، وإنما كان قولهم هذا، الذي ومما تتبدى منه عيبة الجاهلية!

ولذا؛ فقد كان موقف الفاروق منها صارما حازما حاسما! وإذ يبعد بجند الله تعالى أن يكونوا، وعلى مثل شيء من عيبة الجاهلية.

وهذا الذي أدى به إلى استدعاء عتيبة وفرات قائلي هذا! وحين أخبراه أنه ومن ليس إلا على وجه المثل!

([١٦١])الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج ٢ / ٤٤٧
([١٦٢])التاريخ الكامل، ابن الأثير:ج٢ / ٤٤٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن ها هنا كانت تبرئة ساحتهما؛ ومنه كان هذا عمل القائد في رعيته أيضا، ومن تحسسه أخلاقهم، ومن تتبعه أفعالهم! ولأنه مسؤول عما قد استرعاه ربه ومولاه الحق المبين، خلقا وسلوكا ومنهجا وسبيلا.

فقه المسألة

وعلى أنه جرى بحث فقهي حول جواز عمل التغريق للعدو ومن عدمه.

ومن وجه: أنه يجوز ذلك؛ ولعموم قوله تعالى ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وذلك حال تعدى الخصم بإغراق.

ومن وجه: اتفق الفقهاء على أنه يجوز في قتال الأعداء (كفار أو بغاة) إغراقهم بالماء ،لقوله - تبارك وتعالى {يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين} [الحشر: ٢]، ولقوله تعالى {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل} الأنفال ٦٠

ولأن ذلك من باب القتال؛ لما فيه من قهر العدو وكبته وغيظه، ولأن حرمة الأرواح والأموال؛ لحرمة أربابها، ولا حرمة لأنفسهم حتى يقتلوا، فكيف لأموالهم؟

وإلا أن جواز التغريق مقيد بما إذا لم يتمكنوا من الظفر بهم بدون ذلك، بلا مشقة عظيمة فإن تمكنوا بدونها فلا يجوز[١٦٣].

أو أن يكونوا يفعلونه بنا فنفعله بهم لينتهوا[١٦٤].

([١٦٣])الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٤/ ١٢٩و ٢٦٥)
([١٦٤])المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٢/ ١٧٢)

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

فلو كان فيهم أطفالهم ونساؤهم، فلا يجوز تغريقهم إلا لوجود أحد القيدين السابقين، عند الحنفية والحنابلة.

وأما المالكية، فقولان في المذهب:

الأول: أنه لا يجوز تغريقهم: وهو مذهب مالك في المدونة، وهو قول ابن القاسم، والثاني يجوز أن يغرقوا بالماء وهو قول أصبغ، وابن حبيب.

وذهب ابن حزم إلى تحريم تغريقهم مطلقا[١٦٥].

وأما مسألة التحريق فأنف بيانها غير مرة، وبما أغنى عن إعادته.

الفصل الرابع

أحداث السنة الخامسة عشرة

حصار حمص

وهذا الذي تبدت يومها بركات الأولياء الصالحين وحين اشتد حصار حمص بين كل من أبي عبيدة وخالد بن الوليد يومه هذا!

وحين كان البرد شديدا، والناس منه في شدة أيضا، حتى رجع بعض الروم؛ ومن قسوة البرد يومه هذا، ومنهم من كان قد انخلع قدمه من خفه!

([١٦٥])المحلى بالآثار، ابن حزم: (١١/ ٣٦٠)

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن الصحابة الأخيار الأبرار، ولما لم يصبهم من ذلك من شيء! علما على بركتهم، وبرهانا على حفظ السماء لهم!

وهذا الذي كان منه التكبير وأثره في القوم أيضا، وحين كبر المسلمون تكبيرات تصدعت منها جدران أبنية القوم وانخلعت منها أفئدتهم أيضا!

وحتى جاء منهم من يعرض الصلح على قوم كان من تكبيرهم تصدع بنيانهم وانفطار قلوبهم!

وهذا الذي حدث، وحين أعلموا الفاروق وبعملهم من بعد صلحهم على نصف المنازل، وضرب الخراج على الأراضي، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر. وبعث أبو عبيدة بالأخماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود[١٦٦].

جزاء من قطع الماء!

حين كاتب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي الفاروق، أن هرقل كان قد قطع الماء عن الجزيرة، وحينها صدر القرار الأعلى من القائد الأعلى للقوات المسلحة، أن يستوطن محلته!

وهذا قرار عسكري حاسم؛ ليذوق هرقل، ومن سيره، هكذا الإيلام والآلام؛ ومن فعله هذا!

ولأن الماء ليس يقطع، ومن مضمون الشراكة فيه كالهواء تماما بتمام! ومن حديث: المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ، والماء، والنار[١٦٧].

لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس

هذا تأنيب رعية أهل فارس لملكهم رستم!

([١٦٦])البداية والنهاية ، ابن كثير: ج ٧ / ٦١

([١٦٧])صحيح أبي داود، الألباني: ٣٤٧٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن كلمة الحق، وحين يصدع بها، وإنما تكون شعلة متقدة، يكون من سببها إصلاح اعوجاج إن وجد، وترميم فساد إن حصد!

إن تقويم اعوجاج، قد يطرأ، هو دالة الإصلاح، وشارة الانطلاق بالرعية إلى صلاح أحوالها!

إن دوي الحق هكذا، أو كما قد رأته رعية رستم، ولما لم يذكر التاريخ امتعاضه منه، هكذا كلمة جئر في وجهه بها! وإن هو علامة فارقة على تطور الأمم ونهضتها! ولا سيما أن التاريخ لم يذكر لهم تسجيل اعتراض!

إن تسجيل نهضة رستم ورجفته من كلمة رعيته يومه هذا! وإنما تحسب له؛ أن سمع، وإنما كانت منهاجا للناس أيضا، وأن يسمعوا رعيتهم، ومن قبل ومن بعد أيضا.

إن سماع كلمة الرعية علنا موجب ألا تعمل من وراء الدهاليز والأستار والحجب والموانع؛ ولأنها ولسوف تقول كلمتها قولا واحدا، إن علنا وجهرا، وإن خفية وسرا!

ولأن الحق أمر فطري تقوم من أجله القرائح، وتجأر من عمله الغداة والروائح!

وهذا الذي جعل رستم ينتفض، ومن حينها نصب يزدجرد على جندهم وكيلا، وأقاموه على جيشهم قائدا ونائبا!

وهو الأمر الذي لم يسع المسلمون أن أقاموا، وحين راسل المثنى الفاروق يقول رأيه ويحكم أمره!

ومن دلالة أخرى عظيمة، وأن الرجوع إلى خليفة الأمة مرجعا؛ ولأنه وكيل رب الأمة عن الأمة. فيعمل فيها بطاعة مولاه، حراسة الدنيا وحراسة دينها معا!

ولأنه " يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لهم عند

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الاجتماع من رأس ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة ، وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم) فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع؛ ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود ، لا تتم إلا بالقوة والإمارة ، ولهذا روي " أن السلطان ظل الله في الأرض "، ويقال: " ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان " والتجربة تبين ذلك "[١٦٨].

قرار الفاروق كان أدق وأصوب قيلا!

وحين أعلمه المثنى بخبر القوم، وإنما أمره الفاروق، أن ينخلع عن القوم، ويهبون عليهم هبتهم من كل صوب وحدب، وإذ لم يذر راضيا بالمقاتلة أو كارها إلا أخذه!

وهذا الذي منه تكون حماية بيضة الدين، ولما يكره من كان قادرا على القتال وإن أبى!

التجنيد الإلزامي: وهذا أصل في اعتبار التجنيد أمرا ملزما، لرعايا الأمة، ولعل يوما قد أكرهوا فيه، وإذ يبدل الله تعالى عليهم نياتهم إلى خير، فيصبحون غزاة باذلين مخلصين، وسبحان من كانت قلوب عباده بين أصبعين ومن أصابعه تعالى يقلبها كيف يشاء.

([١٦٨]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (٢٨ / ٣٩٠ ، ٣٩١) .

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وصية الفاروق لسعد

وهذا عمل القادة المصلحين الصالحين، وحين كان من أمرهم تربية قادتهم على محبة الله تعالى، وقواعد الإيمان به تعالى، ولما كانت قاعدته الأولى هي هذه الطاعة لله تعالى، فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر.

وهذا هو الذي يكون منه قرب العبيد لربهم الحق سبحانه، وأن ما عداه ومن معصية، ومن مخالفة لأمره تعالى، وإنما ليس بين الله تعالى، ومن بين عبيده، من نسب! وإلا هي هذه الطاعة.

ولما كان التفاضل بين الناس كلهم، وإلا ومن خلال قربهم، أتقاهم له تعالى، ومن حيث قال الله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهذا الذي سنه الفاروق، وهو مما أصله رأيه، وراح إليه في ربه تعالى عقده، ومن قوله هذا: لا يغرنك من الله أن قيل: خال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم[١٦٩].

إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا

هذا قول الفاروق يوم بعث خالد إلى قنسرين! ويوم إبداعه فيه، ويوم اضطرار هرقل العودة إلى بلاد الروم، تاركا ومن خلفه الشام، والعراق، وسائر ما ملكت الروم والفرس يومهم هذا. وإلى خالد وجنده!

([١٦٩])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا في حكاية تاريخية مجيدة، ومن ملحمة تركتها لنا سجلات التاريخ نحكيها، ونتناقلها، جيلا ومن بعد جيل آخر! عزة وشرفا ونبلا وقيمة!

ولعل الرجل عرف قدر خالد، ولما لم يكن مجهولا لديهم، فهم أعرف بخالد، ومن تصديقهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وحين أخبر أنه سيف سله الله تعالى على المشركين.

عزل سيف الله المسلول خالد

ولكنه أيضا، ولعل في هذا إلماحة إلى رأيه، يوم أن أشار على الصديق بعزله، ويوم أن عزله هو، وهذا التاريخ يعيد لنا كرة الصدق، الذي كانوا به متحلين متزينين! وحين قال الفاروق يوم أن نصر الله تعالى خالدا على أهل قنسرين هذا، و تغنمه الله تعالى، ومن صلحه مع أعرابهم، وحين أظهروا أنهم، وإنما لم يكونوا ذوي رأي، وإنما أخذوا بقوة القائد لديهم، ولما قد قرأ خالد معذرتهم أعذرهم، ولم يهلكهم بقتال!

ومن كل هذا الذي أنف، كانت هذه الوقفة التاريخية المجيدة، من لدن هذا الفاروق، أمة تحكي الصدق والعدل والنصفة، ولأنه هو نفسه الذي قال يوما: إن القضاء فريضةٌ مُحْكَمة، وسُنَّة مُتَّبَعة، فافهم إذا أُدليَ إليك؛ فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذ له، وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك؛ حتى لا يطمع شريف في حَيفِك، ولا ييئس ضعيف في عدلك، والبيِّنة على مَن ادَّعى، واليمين على مَن أنْكَرَ، والصلح جائز بين الناس إلا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالًا، ومَن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بيِّنَة، فاضرب له أمدًا ينتهي إليه، فإن جاء ببيِّنَة أعطيته بحقِّه، فإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية؛ فإن ذلك أبلَغُ في العذر وأجلى للعمى، ولا يمنعك من قضاءٍ قضيته اليوم فراجعتَ فيه رأيَك، وهُديت لرشدك - أن تراجع الحقَّ؛ فإن الحقَّ قديم لا يُبطل الحقَّ شيءٌ، ومراجعة الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

والمسلمون عُدُول بعضهم على بعض في الشهادات، إلا مجلودًا في حَدٍّ، أو مدرك عليه شهادة الزور، أو ظنينًا في ولاء أو قَرابة؛ فإن الله عز وجل تولَّى من العباد السرائر، وسَتَرَ عليهم الحدود إلا بالبيِّنات والأيمان.

ثم الفَهمَ الفَهمَ فيما أُدلي إليك مما ليس في كتابٍ أو سُنَّة، ثم قايسِ الأمورَ عند ذلك، واعرف الأمثالَ والأشباهَ ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى وأشبهِها بالحقِّ.

وإياك والغضبَ والقلقَ والضجرَ والتأذِّي بالناس عند الخصومة والتنكُّر؛ فإن القضاء في مَواطِن الحقِّ يُوجب اللهُ به الأجر، ويحسن به الذُّخر، فمَن خلصت نيَّتُه في الحقِّ ولو على نفسه، كفاه اللهُ ما بينه وبين الناس، ومَن تزيَّن لهم بما ليس في قلبه شانه اللهُ تعالى؛ فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصًا، وما ظنُّك بثوابِ الله في عاجل رِزْقه وخزائنِ رحمته؟ والسلام عليكم ورحمة الله".

قال أبو عبيد: فقلت لكثير: هل أسنده جعفر؟ قال: لا[١٧٠].

وهذا الذي كان منه قوله هذا أيضا: يرحم الله أبا بكر، كان أعلم بالرجال مني، والله إني لم أعزله عن ريبة، ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه[١٧١].

لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين

هذا قول هرقل حكيم أهل زمانه، ودربة يوم حكمه هذا!

وحين أجبرته القوات الإسلامية على الرحيل من الشام، واستوطن القسطنطينية، وإلا أن أسيرا كان أخبر بواقع المسلمين وحياتهم، وحين سأله هرقل عنهم، فكان منه جوابه هذا: أخبرني عن

([١٧٠]) السنن الكبرى، البيهقيُّ: (١٠/ ١٣٥)
([١٧١])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٦٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه. فقال: لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين[١٧٢].

وهذه شهادة نعتز بها - نحن معاشر المسلمين - وحين كانت شهادة الحق والعدل والنصفة، وحين أوجزت في صفات قوم، يقولون ربنا الله تعالى، ومن كونهم:

١- يقيمون ليلهم.

٢- يقاتلون عدوهم.

٣- لا يأكلون غصبا ولا حراما ولا إكراها ولا غبنا ولا استغلالا ولا مكيدة ولا خيانة ولا نصبا، ولا احتيالا!

٤- يدخلون بسلمهم معهم، ولا يكرهون أحدا، وإلا من ثلاث:

أ- الإسلام.

ب- الجزية.

ج- القتال.

٥- عزمهم في قتالهم، وأخذهم على عدوهم، وحتى يأتوا عليه!

علم نبوة ضاف

وبحلول هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد محل دولتي الفرس والروم، نكون قد بسطنا أيدينا، ومن راحة لب، واستكانة فؤاد، أننا على الحق؛ ولأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان قد أنبأ نبأه هذا! وهو الذي يزيد المؤمنين إيمانا مع إيمانهم.

([١٧٢])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٦٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وها هي بلاد الروم والفرس تستظل بظلال هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها!

فعن جابر بن سمرة: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله[١٧٣].

وقعة قيسارية

ومن ثم أمر الفاروق عمر معاوية بن أبي سفيان، الخليفة المنتظر، والقائد المعتبر، على رأس جيش لفتح قيسارية.

وحين أوصاه بتقوى الله تعالى، وحسن التوكل عليه، واستمداد عونه ونصره تعالى، وإذ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال: ١٠].

وهذا عمل القائد أيضا، وحين يكون قلبه بربه تعالى معلقا، وحين يكون جنده ورواد جنده هكذا، فأبشر بخير، وإن الفارج الله!

وهذا الذي كان منه توجيهه، ولما كان منه قوله وإرشاده هذا: فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير[١٧٤].

([١٧٣])صحيح البخاري: ٣١٢١

([١٧٤])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ١٠٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأن الله تعالى قد كتب معاوية بن أبي سفيان نصره المؤزر وفوزه المظفر، وحين قتل منهم مائة ألف أو يزيدون، وعن معركة خلف منها غنائم حربه، واقتسمها على سائر جنده، وحين أرسل لخليفته بخمسه!

موقعة أجنادين الثانية

وحين كان من بعد ذلك أمره القائد عمرو بن العاص، المسير إلى إيليا، ومن وقعة أجنادين الشهيرة.

وحين كان الناس ومن جندهم كثيرين في إيليا وفي الرملة أيضا!

وعندها بعث للفاروق ليوقفه على طبيعة ما هم ملاقوه يومهم هذا، ومن انتظار لقرار الخليفة أيضا؛ ولأنه هو ذلكم الرجل الملهم، وحين قد تأيد بالقرآن الحكيم غير مرة، ومما أنف ذكر طرف منه، وإذ كان عمرو بن العاص وغيره أعلم بهذا!

ولكن عمرو بن العاص لم ينس تكليف ولده معه!

ومن بادرة علم الناس يومهم بفضل الشهادة والشهداء!

قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج

هذه تزكية الفاروق لعمرو !

وحين أوقفه على حقيقة المعركة وما هم فيه من كثرة جند عدو الله وعدوهم وإلا أن هذه الثقة التي كان قد أوفاها الفاروق عمرو بن العاص، وإنما قد عملت فيه عملها، وحين راح بنفسه إلى الأرطبون، ومتخفيا، وحين علمه الأرطبون هذا، وأيقن من حسه هزيمته! وألفى

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

دك حصونه ومن فراسته! ومن قوله هذا: قد رمينا أرطبون وأرطبون العرب فانظروا عما تنفرج[١٧٥].

وهذه عسكرية الفاروق المجيدة، وحين قد غرس قيم الثقة والبأس في قائده عمرو! وهو الأمر الذي جعل منه هو هكذا الأرطبون أيضا!

والأرطبون هو الداهية في قومه.

ويكأن عمرو بن العاص كان داهية حقا! وحين عمل على إشغال الأرطبون بجند؛ وليحول هو دفته إلى فرع آخر! ومن مهارة عسكرية أخرى، كان منها تبديد جهود العدو، وحين كان منه استجماع قواه هو وجنده إلى دك حصونهم، ومن هكذا حصافته وذكائه وفطنته.

خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب

هذا قول أرطبون الروم يومه هذا!

وحق عمرو بن العاص!

ولأن الأرطبون كان قد دبر مكيدة يصيد فيها عمرا قتلا!

وإلا أن عمرو بن العاص كان أدهى؛ ومن فضله تعالى، كان قد أحاطه!

وحين علم بنية الأرطبون قتله! ومن وقائع الحال، وحين اشتم أنه عمرو!

وإلا أن عمرا كان أدهى، وحين دبر كيدا بكيد، بل أعظم كيدا! ويوم قال له: أيها الأمير إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا

([١٧٥])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ١٠١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الوالي لنشهد أموره، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت. فقال الأرطبون: نعم، فاذهب فأتني بهم. ودعا رجلا فساره، فقال: اذهب إلى فلان فرده. وقام عمرو فذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرطبون أنه عمرو بن العاص، فقال: خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب. وبلغت عمر بن الخطاب، فقال: لله در عمرو[١٧٦].

إن القائد الذي يعمل بهدي ربه تعالى، وإنه لفي معزل، ومن كثير، ومما يحاك له!

وهذا الذي يذكرنا بوقائع عظيمة، قد حفلت بها سيرة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحين حاكت يهود له حبالها، ولكن الله تعالى منعه!

ولكن العرب كانوا يوم هجرته، قد تتبعوه، ولكنه، وما ظنك باثنين الله ثالثهما!

وهكذا كان على العبد اتصال بحبال السماء، فلا ينقطع منها ولو شعرة، ويومها ليرين من ربه ما به تقر عينه، ويهدأ له فؤاده!

وهذا الذي به أخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن قوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

وإن حقا أنه تعالى مانع نبيه؛ ومن سجلات التاريخ أنه: فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ترابا. فحدثني هشام بن عروة عن أبيه. قال: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته تغسله

([١٧٦])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٦٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

وتبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك " ويقول بين ذلك: " ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب "[١٧٧].

وإن حقا وليس ما يمنع منع ربنا لعبد من عباده المصطفين الأخيار، ولا سيما ما كان، ومن كمثل مكيدة دبرها أرطبون الروم لعمرو بن العاص، والله غالب على أمره!

وإذ لا ننسى أن يوم أجنادين كان عظيما!

ولكن عمرو بن العاص؛ ومن حيلته، ومن فطنته، ومن توفيق ربه له، وحين رأى الخطب عظيما، وإلا أنه لم يستأثر برأي يهم الجماعة المسلمة كلها، في تاريخها العريض كله أيضا!

وحين خاطب الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، والذي عزم بنفسه، فتح بيت المقدس؛ ونكاية في الأرطبون، وحسما لمادة كبره أيضا!

فتح الفاروق بيت المقدس

وإذ لسنا ننسى أيضا عمل القادة السابقين، علاج مسألة أجنادين هذه، ومن كر وفر قاده خالد بن سعيد، ومن كمثله بذله خالد بن الوليد، ومن ها هنا ومن بذل عمرو بن العاص أيضا؛ دلالة على استماتة الروم يومهم ذلك، وعلما على اصطبار المسلمين، ورسوخ أقدامهم، وسيرهم نحو نصرهم المؤزر، وحين قادة الفاروق بنفسه.

ولما كانت أخلاق ديننا تتأبى، وإلا أن تخير الناس، من أهل الكتاب بين ثلاث:

١- الإسلام.

٢- الجزية.

([١٧٧])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٣/ ١٥١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٣- القتال.

ويوم أن دخل بيت المقدس، ومما يذكره التاريخ أن الروم أبوا إعطاء مفاتيح بيت المقدس إلا إلى الفاروق نفسه!

ومن تو عقد عهد الصلح بين الطائفتين، ومن ثم كان فتحه تعالى المبين، لهكذا أرض فلسطين، مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فَهَمَّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة!

هذا فصل التواضع، وهذا باب لين الجوانب كلها لا جنبا واحدا!

وحين كان من أمر الناس يوم تشاورهم زحفهم إلى بيت المقدس، وقيادة الفاروق نفسه! وعما إذا كان يروح ماشيا أو راكبا، وحين اصطلحوا على ذهابهم راكبين أَحَنَّ ورحمة للفاتحين!

ولما كان من أمر الناس يومهم هذا، وحين نزل أبو عبيدة بن مسعود الثقفي، ونزل عمر الفاروق، ويوم أن هب أبو عبيدة لتقبيل يده!

ولكن الفاروق يسارعه، وإلى تقبيل رجليه!

في سياق تاريخي لسنا نملك حياله إلا تسجيله! وكما قد سجله التاريخ تسجيله هذا! وليعرف القصاصون، وكيف كانت أمة فيها ومن أمثال أبي عبيدة هذا! ومن كمثل خليفتنا عمر الفاروق هذا أيضا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء[١٧٨].

وهذا تاريخ آخر، وحين يستحضر الفاروق بركة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإذ يحذو حذوه، وتبركا باتباعه؛ أمة كانت على عهد نبيها صلى الله عليه وسلم، ومن خطوه، ومن قوله، ومن تقريره معا!

إنه وحين نربط يوم الإسراء هذا بيوم فتح بيت المقدس هذا!

ويكأننا نقرأ التاريخ قراءته الممعنة في التأني والتملي والرضا أيضا، لمقدورات ربنا تعالى، ولما كان الصبر هكذا عاقبته، ولأن الله تعالى جعل عاقبة الصبر دائما إيجابية، ولصالح الجماعة المسلمة، كل وقت وحين!

إنه ولئن طال يوم احتلال يهود لفلسطين المسلمة؛ ومن سياق يوم الإسراء، واستحضاره، ولما كان، ومن على هكذا بعد ستة عشر عاما، وإلى يوم افتتاح بيت المقدس، ومن رسالة التاريخ أن فتحا قادما آت!

علم نبوة ضاف

ولا سيما أن علما آخر على الفتح المبين قد كان قائما! ومن حديث عوف بن مالك الأشجعي: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته،

([١٧٨])البداية والنهاية، ابن كثي: ج ٧ / ٦٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا[١٧٩].

ويكأننا، وحين نركن، إلى هكذا العلم، وحده، لسنا نكون جادين، وإن الأخذ بالسبب الموجب لأوقع عملا وفعلا وجدا!

معالم من خطبة يوم الفتح

وأولاء العمالقة الأصحاب الربانيون! ودائما ما يتركون لنا سننا وهديا حسنا، ومن هديهم نسترشد، وعليه نتتبع آثارهم؛ ولأنها من آثار النبوة الخالدة أيضا!

وحين كان هكذا توجيهه، وإرشاده، ونصحه للأمة، وأن تعض على إصلاح أمور دنياها؛ ولأن ذلك ضامن منه تعالى، أن يصلح للناس أمور دنياهم!

وهذا الذي أنبأ عنه القرآن العظيم، وحين قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وهذا الذي قاله الفاروق يومه هذا: أيها الناس، أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي، ولا بينه وبين الله هوادة، فمن أراد لَحْبَ (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن[١٨٠].

([١٧٩])صحيح البخاري: ٣١٧٦

([١٨٠])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٦٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن هؤلاء قوم يستأمنون

هذه فراسة الفاروق، يوم فتح بيت المقدس، ويوم قدوم وفد الكراديس، من الروم إلى الفاروق، وما عرف من سيما وجوههم، أنهم لم يقدموا لحرب، بل طلبا للأمان والصلح!

وهو الأمر الذي كان أجابه إليه، ومن شروط كان منها دفع الجزية، ولما لم يسلموا يومهم هذا.

وشهد يوم الفتح هذا حدثا كان عظيما، ومن فرار قائد عسكر القوم الأرطبون إلى مصر! إلى يوم فتحها عمرو بن العاص! قائدا كان عنده! وطريدا لقيه يوم فتح مصر الأعظم!

ولكن طريفا وحين دخل عمر الفاروق فلسطين راكبا فرسا له، ويكأنهم أشاروا عليه ركوب غيره أنسب لهيئة الفتح!

وحين أتوه ببرذون، وهو خيل كانت تركبه الترك، وبه تمايل وتبختر؛ ومن طبعه هذا!

وحين رآه الفاروق هكذا، وإنما نزل عنه، وتفاديا لسمعة تبختر عنه! قد تؤخذ عنه! والرجل كان متواضعا! وحين سجل التاريخ أنه: ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية، وقد توحى فرسه فأتوه ببرذون فركبه، فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال: لا علم الله من علمك، هذا من الخيلاء، ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده[١٨١].

نبوءة الإنجيل بفتح الفاروق بيت المقدس!

وعلى أن قوما ذهبوا إلى اعتبار هذا الأثر علما على عمر الفاروق! وأنه فاتح بيت المقدس ووانه هو الذي جاء ذكر عمر الفاروق في الإنجيل هكذا، والله أعلى وأعلم، وحين ذكر فيه

([١٨١])المرجع السابق: ج ٧ / ٦٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أنه": ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا أورشليم هوذا ملكك بنت يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان[١٨٢].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم أن عمر بن الخطاب قال خرجت مع ثلاثين من قريش في تجارة إلى الشام في الجاهلية فلما خرجنا من مكة نسيت قضاء حاجة فرجعت فقلت لأصحابي ألحقكم فوالله إني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد جاء فأخذ بعنقي فذهبت أنازعه فأدخلني كنيسة فإذا تراب متراكب بعضه على بعض فدفع إلي مجرفة وفأسا وزنبيلا وقال انقل هذا التراب فجلست أتفكر في أمري كيف أصنع فأتاني في الهاجرة وعليه سبنية قصب أرى سائر جسده منها ثم قال لم أرك أخرجت شيئا ثم ضم أصابعه فضرب بها وسط رأسي فقلت ثكلتك أمك عمر وبلغت ما أرى فقمت بالمجرفة فضربت بها هامته فإذا دماغه قد انتشر فأخذته ثم واريته تحت التراب ثم خرجت على وجهي ما أدري أين أسلك فمشيت بقية يومي وليلتي حتى أصبحت ثم انتهيت إلى دير فاستظللت في ظله فخرج إلي رجل من أهل الدير فقال يا عبد الله ما يجلسك ها هنا فقلت أضللت عن أصحابي قال ما أنت على الطريق وإنك لتنظر بعين خائف فادخل فأصب من الطعام واسترح ونم فدخلت فجاءني بطعام وشراب ولطف فصعد في البصر وخفضه ثم قال يا هذا قد علم أهل الكتاب أنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم مني بالكتاب وإني أجد صفتك الذي يخرجنا من هذا الدير ويغلب على هذه البلدة فقلت له أيها الرجل قد ذهبت في غير مذهب قال ما اسمك قلت عمر بن الخطاب قال أنت والله صاحبنا غير شك فاكتب على ديري وما فيه قلت أيها الرجل قد صنعت معروفا فلا تكدره فقال اكتب لي كتابا في رق وليس عليك فيه شئ فإن تكن صاحبنا فهو ما نريد وإن تكن الأخرى فليس يضرك قلت هات فكتبت له ثم ختمت عليه فدعا بنفقة

([١٨٢])سفر زكريا ٩:٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فدفعها إلي وبأثواب وبأتان قد أوكفت فقال ألا تسمع قلت نعم قال اخرج عليها فإنها لا تمر باهل دير إلا أعلفوها وسقوها حتى إذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فإنها لا تمر بقوم ولا أهل دير إلا علفوها وسقوها حتى تصير إلي فركبت فلم أمر بقوم إلا أعلفوها وسقوها حتى أدركت أصحابي متوجهين إلى الحجاز فضربت وجهها مدبرة ثم صرت معهم فلما قدم عمر الشام في خلافته أتاه ذلك الراهب وهو صاحب دير العدس بذلك الكتاب فلما رآه عمر تعجب منه فقال أوف لي شرطي فقال عمر ليس لعمر ولأبي عمر فيه شيء ولكن عندك للمسلمين منفعة فأنشأ عمر يحدثنا حديثه حتى أتى على آخره فقال له عمر إن أضفتم المسلمين وهديتموهم الطريق ومرضتم المريض فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له بشرطه[١٨٣].

من تشبه بقوم فهو منهم

وعلى أنه، وحين سجل التاريخ استشارة أمير المؤمنين عمر الفاروق كعب الأحبار، وأين يصلي، وحين اتخذوها قوم مطية تقديسه لقبة الصخرة! والرجل ليس يقدس حجرا، وهو نفسه الذي سجل التاريخ قوله عن الحجر الأسود: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن: أما والله، إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك، فاستلمه ثم قال: فما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه[١٨٤].

وقد روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى ليلة اسري به إلى المسجد الأقصى في صدر المسجد - أيضا -: فخرج الإمام أحمد من رواية حماد بن سلمة: ثنا أبو سنان، عن عبيد بن

---

(١٨٣)تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٤٤ /٦- ٨

(١٨٤)صحيح البخاري: ١٦٠٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

آدم، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب: أين ترى أن أصلي - يعني: في بيت المقدس -؟ أن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك.

فقال عمر - رضي الله عنه -: ضاهيت اليهود، ولكن اصلي حيث صلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فتقدم إلى القبلة، فصلى، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس[١٨٥].

وهذا الذي كان عليه الناس ومن حرصهم على عدم المشابهة ليهود او النصارى واقتداء بهدي نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحين قال: من تشبه بقوم فهو منهم[١٨٦].

وقال في " تفسيره" فلم يعظم . أي عمر . الصخرة تعظيماً يصلي وراءها وهي بين يديه، كما أشار كعب الأحبار . وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلة، ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر: ضاهيت اليهودية. ولا أهانها إهانة النصارى الذين جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود، ولكن أماط عنها الأذى، وكنس عنها الكناسة بردائه. وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها"

إن الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم لم يكونوا يعظمون الصخرة ولا يصلون عندها، كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية قال في رسالته في " زيارة بيت المقدس ": كان الأئمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر. وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه صلى في محراب داود. وأما الصخرة فلم يصل عندها رضي الله عنه، ولا الصحابة، ولا

([١٨٥]) فتح الباري، ابن رجب، شرح حديث رقم: ٤٩٣، وقال الحافظ ابن كثير في " تاريخه" هذا إسناد جيد، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه.

([١٨٦])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٠٣١

www.sadaf.net

كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها " قبة " بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان، ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام، ووقعت بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الله أن يصرف الناس عن ابن الزبير، فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس[١٨٧].

نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلا

هذا رد عمر الفاروق على الجلموس ويوم راح إلى الجابية، يوم فتح بيت المقدس راكبا ناقته! ومن قميص مرقوع! حاسر الرأس، وإذا تلمع صلعته؛ من شمسها يومه هذا!

وحين رآه الجلموس على هذا الصورة! ويكأنها ليست صورة فاتح!

وإنما أرشده أن يركب برذونا، وأن يتهيأ، ومن غير هيئته تلك؛ لينال احترام القوم الروم! ولما كان رده هذا: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلا[١٨٨].

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

تلا سعد بن أبي وقاص هذه الآية الكريم يوم فتح بابل وهو إذ يصلى عند مكان كان قد حبس نبي الله تعالى إبراهيم عليه السلام فيه!

وحين حل الله تعالى الإسلام محل الظلام!

ولكن يوم بابل هذا كان عظيما أيضا، وحين تترس الفرس ومن انهزامهم يوم القادسية، ومحاولين بعث روحهم من جديد!

---

(١٨٧)مجموعة الرسائل الكبرى، ابن تيمية: ٦١/٢

(١٨٨)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٧٠

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن الله تعال قيض نائل الأعرجي أبا نباتة، ومن قتل ملكهم وقائدهم شهريار يومهم هذا!

وحين تجاسر هذا الملك أن ينازل أبا نباته، وإلا أن أبا نباتة هذا كان قد أمكن الله تعالى له من شهريار، ومن ذبحه بخنجره!

ولكن الطريف أيضا أن سعدا وكلما حضر نائل الأعرجي أبو نباتة من شجعان تميم، معركة بعدها، وإذ كان يلبسه سواري شهريار وسلاحه، وليركبن فرسه إذا كان حرب، فكان يفعل ذلك[١٨٩].

(١٨٩)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٧١

السلاالفكروالثقافة
www.sadalu.net

الفصل الخامس

أحداث السنة السادسة عشرة

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾

هذا استدلال هاشم بن عتبة، ابن أخي سعد بن أبي وقاص، ويوم راحوا إلى نهر شير ليجدوا أمامهم كتائب كسرى فارس!

وحين كان ومن قسمهم كل يوم يمر عليهم من أيامهم وأنه لا يزول مكل كسرى! وهكذا في تعبد لغيره تعالى واضح، وحين يقصم الله تعالى قوما؛ قد بلغ من ظلمهم، تأليهم على الله تعالى الحق المبين!

وهذا الذي كان منه، فعن ابن أخي سعد بن أبي وقاص، هاشم بن عتبة، فقتل الأسد والناس ينظرون، وسمي: يومئذ سيفه المتين.

هذا وحين قام بقتل رمز قوتهم، وحين صار وسم خورهم وضعفهم أسدهم، الذي أخافوا! أو هكذا زعموا! به الباذلين، من جند الله تعالى الميامين!

وهو الذي كان منه إنزال الهزيمة النكراء بالقوم، ولما كان منه استدلال هاشم بن عتبة، ومن قول تعالى هذا: ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤]!

وهذا فعل التكبير في القوم، وحين كان رمزا، ومن رموز قوتهم، واستنهاض عزائمهم، وفتهم في عدو الله تعالى وعدوهم فتا.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين كتب الله تعالى نصرهم، وأخزي عدو الله وعدوهم، ويوم عدوا عليه عدوا، وغدوا عليه غدوا.

وإلا أنه هاشم بن عتبة، هذا قد كان إلى الله تعالى أضرع، ومن ثم إلى قائده سعد أوقر، وحين نزل فقبل يديه!

وحين أقدم سعد على تقبيل قدميه أيضا!

ومن تاريخ أنف ليس بعيدا! وحين كان الذي حدث بين عمر الفاروق وأبي عبيدة أيضا!

وهذا شأو أمة كان الإسلام الحنيف الخالد لها دينا!

لا يفقه من ختمه في أقل من ثلاث!

هذا هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في التوسط في العبادة؛ وكيما يربع العباد على أنفسهم، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى!

وحين راح إليه هذا الصحابي عبد الله بن عمرو، ويستأذنه، ويرخص له، في أقل مدة ممكنة، لقراءة كتاب الله تعالى القرآن المجيد، وحين كان حديث بينهما هذا نصه: يا رسول الله ! في كم أقرأ القرآن؟ قال: في شهر. قال: إني أقوى من ذلك يردد الكلام أبو موسى وتناقصه حتى قال: اقرأه في سبع. قال: إني أقوى من ذلك. قال: لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث[١٩٠].

وعلى أن الحديث كان قد ذكر مثيله، كل من الإمام الذهبي، والإمام العماد الحافظ ابن كثير رحمهما الله تعالى، وحين مات عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني، هذه السنة الخامسة عشرة، خلافة عمر الفاروق، وحين ذكر أنه قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف

([١٩٠])صحيح أبي داود، الألباني: ١٣٩٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الأنصاري المازني. شهد العقبة وبدرا، وورد له حديث من طريق ابن لهيعة عن جبان بن واسع بن حبان، عن أبيه عنه، قلت: في كم أقرأ القرآن يا رسول الله قال: في خمس عشرة، قلت: أجدني أقوى من ذلك. وفيه دليل على أنه جمع القرآن. وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك[١٩١].

وهذا الذي منه، ولربما تكررت الواقعتان، والله أعلم.

وفيه فضل الناس يومهم هذا، وحرصهم ودأبهم على الاجتهاد في عبادة الله تعالى ربهم الحق المبين.

لا أرتشي على الإسلام!

هذا قول نصير بن الحارث، والذي كان قد توفاه مولاه هذه السنة الخامسة عشرة، قوما شهدوا بالحق وبه كانوا يعدلون! ويوم الطائف، يوم هوازن، يوم ثقيف، وحين أعطاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم ثقيف هذا مائة من الإبل! ولما كان تعجبه، واستغرابه، واندهاشه؛ ويوم أسلم، ولما لم يسلم وجهه إلا لله تعالى، وهو محسن. ولما لم يكن من عقده غنائم، أو ما شاكلها سبيا، أو سلبا!

ولما كان الرجل من مسلمة الفتح، ومن حكماء قريش، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه مائة من الإبل من غنائم حنين، تألفه بذلك. فتوقف في أخذها وقال: لا أرتشي على الإسلام، ثم قال: والله ما طلبتها ولا سألتها وهي عطية من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذها، وحسن إسلامه،) واستشهد يوم اليرموك، وأخوه النضر قتل كافرا في نوبة بدر[١٩٢].

([١٩١])تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٣ / ١٥٤، البداية والنهاية، ابن كثير : ج ٧ /٧٢

([١٩٢])تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٣ / ١٥٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

وا ويله! ألا إن الملائكة تَكَلَّمُ على ألسنتهم!

هذا قول كسرى يوم نهرشير! وهو قول الحق، ولاريب فيه أبدا! ولأن الله تعالى، وإذ وفق أولاء القوم، وإذ به الحق ينطقون، وعليه كانوا، وبه قائمين.

ويكأنه الله تعالى ما كان ليذر المؤمنين، ولا أن يتركهم في الميدان وحدهم، يومهم هذا، ويوم غيره هذا أيضا!

ألم تر أن الله تعالى قال يوم بدر ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]؟

وقال تعالى أيضا ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٤].

وقال أيضا ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقال أيضا﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

وهذه هزيمته كسرى أيضا! وحين عرضوا الصلح على القوم المسلمين! وعلى أن لهم ما كان من جهتهم من دجلة، وما حاذاهم ومن جبلهم!

وأن للمسلمين ما كان من جهتهم من دجلة أيضا، وما حاذاهم ومن جبلهم أيضا!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن المسلمين أبوا إباءهم، وترفضوا ومن رفضهم، ولما كان من بغيتهم، هو هذا الإسلام الحنيف الخالد، ولما كانت أنصاف الحلول، وليست لهم غاية، وإنما غايتهم هي إحدى هذا الثلاث:

١- وإما أن يسلم القوم وجوههم لله تعالى، وهم محسنون!

٢- وإما دفع الجزية.

٣- وإما المقاتلة، وإلى أن يفني أحد الفريقين الفريق الآخر! ولأن ربنا تعالى قال﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

وهذا الذي حدث، ويوم أن قال أحد المسالمين؛ ومن رفضه هذا: لا يكون بينكم وبينه صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريذين بأترج كوثى[١٩٣]!

وحينها تلعثم ملكهم تلعثمه، وأزبد زبده هذا!

ولكنه، ويكأنه الحق الذي أنطقه الله تعالى عن لسانه، ويوم هزيمته، وفراره، واندحاره، وحين قال الملك: وا ويله! ألا إن الملائكة تكلم على ألسنتهم، ترد علينا! و تجيبنا عن العرب! و الله لئن لم يكن كذلك، ما هذا إلا شيء ألقى على في هذا الرجل لننتهي، فأرزوا إلى المدينة القصوى[١٩٤]!

الله أكبر، أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله

هذا تكبير المسلمين يوم أمكنهم ربهم تعالى، ومن قصر كسرى الأبيض!

([١٩٣])تاريخ الأمم و الملوك، الطبري: ٤ / ٧

([١٩٤]) المرجع السابق: ٤ / ٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعدا من الله تعالى تصديق نبأ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومما ما أنف ويوم أن بشر بفتح بلاد فارس وامتلاك قصور كسر واغتنامها!

وعلى أن الشيء بالشيء يذكر: وهل من علاقة بين البيوت البيضاء؟!

وهل لمسلم أن يتفاءل إلى حد فتح كل بيت أبيض؟!

وما ضير من ذلكم نبأ؟!

وإذ ليس شيء على ربنا تعالى ببعيد.

وحين كان أول من رآه ضرار بن الخطاب، وحين كان من قوله هو هذا الذي أنف: الله أكبر، أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله[١٩٥].

وعلى أن هذا كان فعل الناس يوم فتحهم، وهو هكذا تكبيرهم، الله أكبر، وإلى حين صبحهم تيمنا!

فتح المدائن

وحين انتهى سعد بن فتتح نهرشير وكان قد تنامى إليه أن كسرى وإنما يعد له عدته، وأنه لسوف ينقل أمتعته وأمواله من المدائن إلى حلوان؛ وخشية هجوم مباغت، من جند سعد المغاوير!

وهذا عمل جهاز المخابرات العسكرية الحذق الفذ!

([١٩٥])البداية والنهاية، ابن كثير : ج ٧ / ٧٤

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإذ لابد من عمل العيون الساهرة وألا يغمض لهم طرف وألا يهدأ لهم بال وإلا أن يأتوا لقائدهم بالخبر اليقين!

وحينها أعد سعد عدتهن وباغت القوم، وحين خرج من نهرشير خالي الوفاض، ومن غنم، وحين لم يجد شيئا كان مذكورا من سفن، أو متاع غيرها، والناس يومهم هذا كانوا يطلون على دجلة! ومما مفاده ضرورة أن كان لديهم أسطول، أو أسيطيل من سفن!

ولكن هذا الذي حدث.

ألا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم.

هذا عزم سعد بن أبي وقاص يوم موقعة المدائن، وأن يباغت القوم إلى حصونهم وديارهم؛ ولأنهم يقولون، ولعل الهجوم خير وسيلة للدفاع، وفضلا أن يعمل عمله في الخصم، ولربما ومن إثره لم تقم له قائمة يعتمد عليها!

ولهذا كان عزم الأخيار، يوم المدائن هذا، وإذ لم يقل عزما عن قائدهم سعد، وحين كان ردهم هذا: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل[١٩٦].

وهذه أيد خرجت على ربها متوكلة، ومن حسن صنيع طاعتها باذلة، وإنه وربي ليرجعن منتصرين! ولأن الله تعالى أبدا لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغير ما بأنفسهم!

والناس يومهم، لم يغيروا، ولم يبدلوا، ولم يخرجوا عن جادة قضبان سبيله، وإلا أنهم كانوا على الحق، وله باذلين مهجهم وأرواحهم أيضا!

([١٩٦])الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٢ / ٥١٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي كان من فعلهم، وحين حاصروا ثغرة المخاضة، والفراض، وعملا عسكريا ناجحا بامتياز، ولقطع الخطوط عن العدو، وألا يتمركز من صوبهم، وإنما هم الذين يتمركزون، ومن صوبه وجهته، عملا عسكريا، يأتي على نفوس الخصم، فتهاوى من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم أيضا!

وإذ كان من جانب آخر أن يضمن سعد من عمله هذا، تأمين صفوفه؛ وألا يأتي عليهم عدوهم، ومن ثم كان عملا عسكريا ممتازا من جانبين:

الجانب الأول: قطع خطوط إمداد الخصم.

الجانب الثاني: تأمين خطوط إمداد جيش الفتح.

أتخافون من هذه النطفة؟

هذا قول القوة، ومنطق الشجاعة، ومحل الإقدام، ويوم اصطفاف الفرس قبالة جند المسلمين، يوم المدائن، وحين وجل المسلمون؛ ومن هكذا اصطفاف، وإلا أن رجلا فذا كان قد ألهمه ربنا تعالى قوله هذا الذي أنف: أتخافون من هذه النطفة[١٩٧]؟!

ومن كان عملهم، وحين تقدمهم هو إلى السير فوق الماء ! عملا إعجازيا!

وهذا الذي منه بركات أولياء الله تعالى الصالحين، وحين يفتح الله تعالى عليهم، فتحه المبين، ومن كل صوب، ومن كل حدب، ويكأنه تعالى؛ ومن هذه البركات، ليهبهم يقينا، ومن بعد يقينهم أيضا.

ويكأنه ومن هكذا بركاته، وإنما تقلع قلوب الكفار، ومن بين أضلعهم قلعا!

([١٩٧])البداية و النهاية، ابن كثير: ٧ / ٦٤

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا!

وهذا الذي كان منه اندهاشهم وبهتانهم!

ويكأنه كان منه انخلاعهم أيضا، وحين قالوا قولهم هذا: والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا[١٩٨]!

ولكن الفرس ظنوا ظن المسلمين! فخيب ربنا تعالى ظنهم، وحين فقأت جيوش الفتح عيون خيولهم، ولما قد تجاسروا على الإنزال النهري!

ولهذا السبب، فإن هذا درس في التربية الإيمانية للأمة جميعها، أن يحسنوا ضبط بوصلة إيمانهم، بربهم الحق، ومن ثم ليبدلنهم الله تعالى ومن بعد خوفهم أمنا!

عمل عسكري باهر

ولكن سعدا لم يخاطر بجنده كله يومه هذا!

وحين اقتسم قسمين:

١- قسم خاض نهر دجلة مسارعا.

٢- وقسم أبقاه عنده على الشاطئ الآخر؛ وليرقب سير المعارك، ولعل خط إمداد لزم، ولعل هجوما فارسيا مباغتا، ومن صوب آخر؛ فعمل سعد لكل حسابه!

وحين كان من الكتيبة الأولى كتيبة الموت يومها، هذا عملها، وعبورها، وفقؤها عيون خيل الفرس، واستقرارها محل الفرس!

([١٩٨])المرجع السابق: ٧ / ٦٤

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحينها ركب سعد، كما ركب إخوانه، ومن قبل الماء! في رحلة إعجازية تاريخية! نسجلها إلى مضابط التاريخ مرة أخرى ومرات، وكما قد سجلها التاريخ، درسا يقتدى، وعملا به يهتدى، ومن جيل إلى جيل آخر أيضا!

نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

هذا درس آخر، ومن أبجديات عمل الناس يومهم هذا، وحين كان القائد، ومن هكذا الأساس المتين، ومن عقده في ربه تعالى ومولاه الحق المبين! وحين كان منه قوله هذا الذي أنف، وحين كان الناس يعبرون نهر دجلة، إلى إسكات، وإخراس الفرس، عدو الله تعالى وعدوهم!

ولهذا، وحين علم ربنا تعالى عن جنده، هكذا اتصال حبالهم بربهم الحق سبحانه، وإلا كان منه حديثهم بعضهم بعضا، وعلى وجه الماء! وكما ولو كانوا على سطح الأرض! ومن ترابها ومدرها!

« اللهم أجب دعوته، وسدد رميته »

ونحن نسير سيرنا هذا مع معركة المدائن نستصحب تاريخ سعد بن أبي وقاص ولو بعضا منه أيضا.

وحين كان من العشرة المبشرين بالجنة، وأن نعم، ولما كان مستجاب الدعوة، ومن حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن طلب سعد هذا الطلب العالي السامق السامي الرفيع.

ومن شأن هذا أن يضعنا أمام اتصال سعد بالسماء، وإلا فكيف يكون مستجاب الدعوة، وحين حان قطاف شيئ، ومن ثمارها، وقد حمي الوطيس؟!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإذ كان الناس يستغيثون ربهم، ويوم كل غزوة وسرية ووقعة ومعركة.

وهذا يوم المدائن، يحكي صورة البذل، وكما أنه يقصص علينا رواية اللجأ إلى أبواب السماء، واتصال الحبال بها راسخة ثابتة مربوطة الجأش أيضا.

عن سعد بن أبي وقاص: لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجولة يوم أحد قلت: أذود ، فإما أن أستشهد، وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينما أنا كذلك إذا أنا برجل مخمر وجهه، ما أدري من هو، فأقبل المشركون يجيئون نحوه، إذ قلت: قد ركبوه. فملأ يده من الحصى، ثم رمى به في وجوههم، فمضوا على أعقابهم القهقرى، حتى حاروا وصاروا بإزاء الجبل، ففعل ذلك مرارا، وما أدري من هو، وبيني وبينه المقداد، فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه، إذ قال لي المقداد: يا سعد، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك. فقلت: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه، فقمت، ولكأنما لم يصبني شيء من الأذى، فقال: أين كنت منذ اليوم يا سعد؟ وأجلسني أمامه، فجلست أرمي وأقول: اللهم سهما أرمي به عدوك. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم استجب لسعد، اللهم سدد رميته، إيها سعد، فداك أبي وأمي. فما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم سدد رميته، وأجب دعوته، إيها سعد. حتى إذا فرغت من كنانتي نثر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته ، فناولني سهما ليس فيه ريش، فكان أشد من غيره. قال الزهري: إن الأسهم التي رمى بها سعد يومئذ ألف سهم[١٩٩].

من بركات الأولياء

ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له: مالك بن عامر، كانت علاقته رثة فأخذه الموج، فدعا صاحبه الله عز وجل، وقال: اللهم لا تجعلني من بينهم

[١٩٩] مجمع الزوائد، الهيثمي: ١١٦/٦، خلاصة حكم المحدث : فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وهو متروك.

www.sadaf.net

يذهب متاعي. فرده الموج إلى الجانب الذي يقصدونه فأخذه الناس، ثم ردوه على صاحبه بعينه. وكان الفرس إذا أعيا وهو في الماء يقيض الله له مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها[٢٠٠].

ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا أفواجا

هذا قول سلمان الفارسي يوم المدائن هذا ومخاطبا أخاه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

هذا عمل الإخلاص والنية الخالصة لله تعالى، وحين كان من ثمارها الغضة الندية، هو هكذا إحسان ظن الناس بربهم الحق، وأنه وكما دخلوا ومشوا فوق الماء؛ ومن يقينهم، عدم غرقهم! وإلا أنهم أيضا كان ذلكم نفس مستوى يقينهم، وأنهم خارجون ومن نهرهم، وكما كان منهم على مائه دخولهم ومشيهم، وكما لو كان برا!

وحين كان ذلك كذلك، وهاهم جيش الفتح المؤزر، وعلى مشارف المدائن، وها هم أيضا على مشارف قصر كسرى البيت الأبيض، ولما قد هرب وحاشيته! ويكأنهم وجدوا من المغنم يومها، وما لم يستطيعوا أخذه إلا نصفه؛ ومن كثرته!

صلاة الفتح المبين

وحين دخل جيش الفتح قصر كسرى البيت الأبيض وكعلامة على استقرار فتحهم وغنما كان من شكرهم لربهم تعالى أن صلوا صلاة الفتح ثامني ركعات وبتسليمة واحدة!

ومن ثم تتبعوا كسرى، وفلوله، وحتى أتوا عليهم جميعا قتلا وغنيمة، ومما كان منه قوله تعالى وحين تلاه سعد ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ – ٢٨].

---

(٢٠٠)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٧٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن هذا لم يوضع هكذا سدىً

وهذه فراسة سعد بن أبي وقاص، و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وحين وجدوا أصناما من جص، وكان منها واحد يشير بأصبعه إلى مكان!

واستنبط سعد من هذه الإشارة أن ثمة سرا وراءها!

وحين راحوا إلى المكان المشار إليه، وجدوه مليئا، ومن كنوزهم وأموالهم وحليهم.

وصدق الله تعالي، ومرة أخرى، وحين قال تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ – ٢٨].

إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت

هذا وصف الإمام علي بن أبي طالب، لأخيه الخليفة عمر الفاروق!

وهذا نعت الصدق الذي كان وصفا لهم، وسمتا، ووساما أيضا!

ولأنه وحين أرسل سعد بخمس الغنائم، يوم المدائن هذا، وإذ كان منها الشيء العظيم، ولما كان منها بساط كسرى، ومتاعه الشخصي؛ ومن كثرته كان قول الفاروق هذا: إن قوما أدوا هذا لأمناء [٢٠١].

([٢٠١])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٧٨

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولأنه يمكن أن تقع بعض أحداث، ومن نفر، وإلا هذا النفر من القوم! وحين كان أميرهم هو عمر الفاروق العدل جد العدل عمر بن العزيز!

علم نبوة ضاف

ويكأن علم النبوة، وإذ لا يزال ماثلا، وحين ألبس عمر الفاروق سواري كسرى سراقة بن مالك رضي الله تعالى، وحين كان من أمره هو هذا الذي سجله التاريخ أيضا.

وحديث إلباس سراقة سواري كسرى فيه كلام. وتأسيسا على أنه من مراسيل الحسن البصري رحمه الله تعالى.

ومراسيل الحسن البصري مؤاخذ عليها.

ولكنه وحين يوضع أمام أعلام نبوة أخرى كاشفة، ولربما قد شفع الله.

فعن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سوارى كسرى قال فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما وكان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعدين وقال له ارفع يديك فقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي رجل من بني مدلج ورفع بها عمر صوته[٢٠٢].

وقعة جلولاء

ثم أراد كسرى تجميع قواه من جديد، ولما كانت وجهته إلى حلوان، وإنما عبأ جنده، ومن كل صوب وحدب، كان في طريقه إلى حلوان هذه!

([٢٠٢])الاستيعاب، ابن عبد البر: ٢/ ٥٨١، و الإصابة في معرفة الصحابة، الحافظ ابن حجر: ٣/ ٤١

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن جنود ربك تعالى ليست بغافلة، وإذ ليست بنائمة، وإنما كان هذا هو شرفها، وألا تنام ليلها، أو أن تغمض عن نوم عيونها، وإذ إن مهمتهم لإلى الجنة شهداء، أو إلى النصر فائزين مظفرين!

ولهذا السبب كان التقاؤهم، ومن بعد تتبعهم، وتعبئتهم أنفسهم إلى جلولاء قطعا للطريق عن حلوان!

ولما كان قد بعث سعد إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق، إشارته ينتظر، وإلى أمره يفتقر!

وحين كان من قرار الأمير، إبقاء من بقي من المدائن معسكرا، وهو سعد أميرهم؛ تطهيرا، واستتابا للأمن، في المدن المفتوحة، والبلاد التي حل بها نور الإسلام الحنيف الخالد، محل ظلام الكفر السائد!

وإنما عليه أن يعسكر بجند آخرين، ومن أميرهم هاشم بن عتبة، ومن ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة أخر على جلولاء قطعا لخطوط إمداد العدو، ورهقا لهم، ولا سيما أنهم هم الذي حاصروا جلولاء بالخندق، يومهم هذا، وليعبئ الجند، ومن هكذا الخندق، في زيادة شدة الحصار عليهم، ليصير حصار الخندق مع حصار المغاوير أيضا، ومنه فينزلون أو يدكون!

وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبدا!

وهكذا حملت كلماتهم دلائل هزيمتهم!

وإذ ومتى كانت النار أو غير النار من دون الملك الجبار مغنية ولو شيئا!

وهكذا يعقد المسلمون عزمهم، وأن النصر حليفهم، ويوم يكونون بحبل الله تعالى اعتصامهم، ولأنهم وبهذه المثابة، يعلمون كم هي مكامن قواته، وكم هي أيضا مشارف هلاك عدو الله تعالى

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعدوهم، وحين كانوا، ومن هكذا خور العقيدة، وخلو ميدان قلوبهم، ومن ذرة من تقوى لله تعالى العلي الأعلى الخالق الباريء المصور سبحانه.

أين أيها المسلمون، هذا أميركم على باب خندقهم

هذا عمل هيئة التوجيه المعنوي للقوات المسلحة الإسلامية أبدا، وخصوص يوم جلولاء هذا. وحين بدأ الوهن أن يعرف طريقه إلى جند الله تعالى الأبرار الميامين، وحلما قد خالج ذلك القعقاع بن عمرو أمير الجيش الفاتح يومه هذا.

وإنما أخذ عدته، ونصب قيمته على خندق الناس، ومن تترس، ومن رفع معنويات جنده، وأن الليلة هي ليلة الفصل، وما أدراك ما ليلة الفصل، هي يوم النصر والفوز المبين؛ ثقة في وعد الله تعال رب العالمين، وحين خرج أولاء لدينه ناصرين وليرجعن إن شاء الله تعالى منتصرين.

وإذ ها هم يستحضرون يوم فتح مكة ومن نبأ الحق الذي قد دب ومن جديد في عروقهم، ويوم قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة البلد الحرم قوله هذا﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

لماذا سميت جلولاء؟

وهذا الذي كان منه نصرة القوم حتى قتلوا مائة ألف من الفرس يومهم هذا وحتى جللوا وجه الأرض بالقتلى، فلذلك سميت جلولاء!

وحين كانت أنصباء الفارس الواحد منهم اثني عشر ألفا! ولما كان قسمة الغنائم أمرها إلى سلمان الذي كان يوما من القوم عبدا لناره، ويوم إذ أنقذه ربه تعالى، ملأ نور الحق فؤاده، ومن تجربة إيمانية صقلت لبه، وأنارت عقله، وأسكبت الهدى جوارحه وأعضاءه!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين بعث القعقاع إلى سعد ومن خبره نصره وفوزه وغنائمه

إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا.

وحين ردوا الخمس إلى الفاروق أمير المؤمنين على يد زياد بن أبي سفيان الذي كان فصيحا ومن إدلائه حتى أعجب الفاروق ومن لسان الأبهر، ومن بيانه الأسحر!

وحين طلب منه تعبئة الناس، ومن سمو بلاغته، ومن علو فصاحته، ومن لسانه الذي أنبأ نبأ الحق، ومن صهيل عبارة، ومن جميل إشارة، وحين قال قوله هذا: إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا!

وخير كلام هكذا، وما كانت دلالته أوسع منه، ويكأن التلخيص كان أولى من التحبير، حينا من الدهر!

ما يبكيك يا أمير المؤمنين

هذا سؤال عبد الرحمن بن عوف عمر الفاروق حين بكائه هذا وما سببه!

وحين كانه أن ولاه الفاروق عمر حراسة وتوزيع غنائم يوم المدائن وعلى كثرتها.

وإلا أن الفاروق، وحين رآها، وكان ذلك هو الذي منه بكاؤه، وبدل أن يكون شكرا، وعلى رأي عبد الرحمن بن عوف! ولأن المقام مقام مغانم كثيرة، قد من الله تعالى بها عليهم يومهم هذا!

وإلا أن الفاروق أوضح سر بكائه، وسبب إدماعه، ومن أن هذا الدنيا، ومن كثرتها كانت لدى القوم، وإنما كانت سبب الخلاف والنقيصة والنقيضة والحسد والتحاسد والشر والغبن ورواح

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

القلوب رواحا، وحين قال الفاروق قوله هذا: فقال عمر: والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطي الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم[٢٠٣].

وهذا الذ ي يذكرنا يوم كان هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن نظرته تلك إلى الدنيا ومن حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها. فقال رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: ما شأنك؟ تكلم النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه. قال: فمسح عنه الرحضاء، فقال: أين السائل؟ -وكأنه حمده- فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلم، إلا آكلة الخضراء؛ أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت، ورتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة، فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل -أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم- وإنه من يأخذه بغير حقه، كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة[٢٠٤].

وعلى أنه كان صلح الفاروق عمر الذي صالح عليه أهل الذمة، إنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وان سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وان قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرئ عمر إلى كل ذي عهد من معرة الجيوش[٢٠٥].

ولا زال كسرى هاربا!

ومن هروبه يوم نهرشر ومن هروبه يوم جلولاء وإلى حلوان هذه المرة ومنها إلى الري!

([٢٠٣])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ١٣٧
([٢٠٤])صحيح البخاري: ١٤٦٥
([٢٠٥])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ١٣٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين تتبع جند ربنا تعالى القوم فارس وجنودهم وأينما حلوا محلة!

وفي كل مرة يعين قائدا لجيشه، ويمده، ولكنه ليس بمغن عنه من شيء!

ولأن جند ربنا تعالى عزموا عزمتهم، وقاموا قومتهم، ولن يذروه إلا فارا، أو أن يمسكوا به أسيرا، أو قتيلا أو صريعا!

في عزة نافذة، ومن أنفة مجيدة!

ولأن الإتيان على القائد أمر هام؛ وإذ منه ينحطون من دونه انحطاطا!

وتندك حصونهم اندكاكا!

وهذا الذي حدث، ويوم أن ألزموهم الجزية؛ لما أبوا الإسلام!

ومن ثم انطلقوا إلى الموصل وتكريت، ومن أمر الفاروق عمر أيضا! ولما كان من أمرهم ما قد حدث كل مرة، ومن نصر مؤزر، ومن فوز مظفر!

وهذا الذي يحسبه التاريخ مجدا لهذا الرجل، ولما كان ذا خبرة بالأرض والجغرافيا وطبيعة تنقلات الجند وأسمائهم، ومن يكلف هذه المرة، ومن يدير المعركة تلك الكرة!

وهكذا يقظة القائد الأعلى للقوات المسلحة، وأن يجب إحاطته، وأن تحسن مهارته!

ومن ثم كان حصار هيت، والأمر فيه أنهم الفرس كانوا قد حاصروها بخندق؛ ليمنعوا المسلمين ومن زحفهم إليهم!

ولكن المهارة العسكرية العمرية فاقت، وحين أمر بحفر خندق حول خندقهم؛ وليجعلوا أبوابه من ناحيتهم؛ ليحكموا عليهم حصارهم مرة ثانية، حتى صار الحصار مركبا!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن ثم تم ما قد أذن به الله تعالى من هيت والربذة وإيليا وحلب، ومنبج، وأنطاكية، على الجزية، وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة، وافتتحت سروج والرها على يدي عياض بن غنم.

التأريخ للأمة

وحين كان لزاما تاريخ للأمة، وإذ على أساسه تكون المعاملات والحسابات والعقود والمناكح والعدد وغيرها .

ولما كان رأي علي بن ابي طالب رضي الله تعالى أن يؤرخ ومن يوم الهجرة كحدث تاريخي، ومن رأى غير ومن مولده صلى الله عليه وسلم، ومن رأى أن يكون ومن يوم مبعثه. ومن رأى أنهم يؤرخون وكما تؤرخ الفرس لملوكهم ومن يوم ترأسه إلى يوم هلاكه وهكذا!

واستقروا على يوم هجرته.

ولكنهم عدلوا إلى المحرم منه لا ربيع الأول؛ ضبطا للمعاملات أيضا.

وكان من سبب قرار الفاروق على التأريخ: أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين يحل عليه في شعبان، فقال: أي شعبان؟ أَمِنْ هذه السنة أم التي قبلها أم التي بعدها؟ ثم جمع الناس فقال: ضعوا للناس شيئا يعرفون فيه حلول ديونهم[٢٠٦].

وعلى أنه كانت قد توفيت مارية أم إبراهيم بن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحين توفي وعن عشرين شهرا، ويوم وفاته قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون[٢٠٧].

وهي التي أهداها المقوقس عظيم القبط في مصر يومه هذا.

---

(٢٠٦)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٨٥
(٢٠٧)صحيح مسلم: ٢٣١٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

وإلا أن الفاروق وقد أجمع الناس لحضور جنازتها؛ ولعله ومن إكرامها ولأنها أم ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل السادس

أحداث السنة السابعة عشرة

البيئة و أثرها في سلوك الإنسان

إن هذا الذي رقبه سعد بن أبي وقاص، ويوم استقرارهم بالمدائن، وحين تغيرت ألوان الناس يومهم هذا، ومن بعد نصرهم على الفرس يومهم هذا أيضا!

وهذا الذي يخرج منه، وكيف كان تأثير البيئة إيجابا أو سلبا، على القاطنين في المحلات المختلفة!

والذي كان منه إرساله إلى عمر الفاروق، بخبره بما جد، من أحوال الفاتحين؛ وكيما لا يؤثر هذا على أعمالهم الفتحية الأخرى!

ولأن أولاء قوم كان ذا همهم، هو هذا الفتح المبين، والغزو لإعلاء كلمة التوحيد واليقين، دين رب العالمين.

والذي كان منه اتفاق الفاروق على مرئيات سعد، والذي كان منه توجيهه إلى الكوفة بدلا، ومن بعد فحصها أيضا.

ولأن بيئة الكوفة أصلح للعربي؛ ولرملها، وطيب مناخها، من مدائن كسرى وذبابها وأوبئتها! والذي كانت له فيها قصوره وحليه ومتاعه! فقد كانت له أنسب، وحين أضحت للعربي أعطب!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وصدق الفاروق، ومن مذهبه الاجتماعي العميق، أمة كانت على عهدها، ومن علمها أبواب العلم المختلفة، ومن فنونه المتباينة أيضا؛ وكيما يتفق لها، وكيف يكون تكيفها مع البيئة المعاشة، ما أمكنها ذلك أن تغير محال إقاماتها!

العرب لا تصلح إلا حيث يو افق إبلها!

وهذا الذي قاله الفاروق يومه هذا، في إشارة إلى هكذا البيئة، وتكيفاتها، وملاءتها للناس.

ولأن البيئة تصلح المزاج أو تفسده.

وهذا أمر معالج.

ومنه كانت الكفاءات في كل منحى، ولأنه يوجب ألفة، ومن انسجام بيئي، لا اختلاف مناخي، يعود سلبا على العلاقات، ويعمل أثره في المنغصات!

ولعل قوما كثر لا يحسبون لهذا الأمر حسابه!

وإلا أنه يمكن من ذلكم تخيف الوطأة، ومن ثقل التبعة، ومن لجأ إلى ربنا تعالى، وأن يصرف! ومن تعلق بحبله سبحانه وأن يؤلف!

افزعوا إلى الله

هذا هو اللجأ إلى الله تعالى، وهذا هو أثره في تكيف القوم واستتباب أمورهم ومعاشهم وأمنهم.

وحين رفع الناس أكف ضراعتهم إلى الله تعالى مولاهم الحق المبين، وأن يلطف بهم، ومن ذكر آلائه التي لا تحصى، ومن الثناء عليه تعالى بما هو أهله!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا من أدبهم، ومن تقواهم، ومن علمهم عن ربهم، وأنه تعالى، ولسوف يبدلهم، ومن بعد جفاء بيئتهم رضا وسكينة! وحين دعوا ربهم هكذا: اللهم رب السماء وما أظلت، ورب الأرض وما أقلت، ورب الريح وما ذرت، والنجوم وما هوت، والبحار وما جرت، والشياطين وما أضلت والخصاص وما أجنت، بارك لنا في هذه الكوفة، واجعلها منزل ثبات[٢٠٨].

التخطيط العمراني لدي سعد

وهذا الذي كان منه، وحين دخل الكوفة؛ ولاستقرار أمور العبادة والطاعة والإدارة فيها، كان قراره وأمره بمسح مساحة للمسجد ومن طولها! ومن تشييد قصر للإدارة وبيت المال ومن خلفها!

وهذان عملان عليهما مدار الإعمار المعنوي؛ ومن بنائه المسجد! وعنوان الإعمار الدنيوي؛ ومن تشييده الهيكل الإداري.

وأمر سعد رجلا راميا شديد الرمي، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات، فحيث سقط سهمه بنى الناس منازلهم، وعمر قصرا تلقاء محراب المسجد للإمارة، وبيت المال، فكان أول ما بنوا المنازل بالقصب، فاحترقت في أثناء السنة، فبنوها باللبن عن أمر عمر، بشرط أن لا يسرفوا ولا يجاوزوا الحد[٢٠٩].

وبعث سعد إلى الأمراء والقبائل، فقدموا عليه فأنزلهم الكوفة، وأمر سعد أبا هياج الموكل بإنزال الناس فيها أن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعا.

ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين ذراعا، وللأزقة سبعة أذرع[٢١٠].

([٢٠٨])تاريخ الطبري – العلمية: ٢ / ٤٧٤
([٢٠٩])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٨٦
([٢١٠])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٨٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن سعدا وحين كان يريد للناس أن يتحدث، ولعل قوما منهم كانوا لا يريدون! ومن لا سبب عرفناه! أو موجب أدركناه!

ومنه كان ذلكم قراره، وأن دخل قصره، وقد أمعن في إغلاقه؛ ومما أغضب الفاروق.

وحين علمه، فقد أمر بإحراقه! ولئلا يمنع واليا، ومن ملاقاة رعيته، وإن ظلموا!

وإلا أن سعدا أجاب، ومن مطلق إيذان بطاعته لأميره، وهو الذي منه استقر أمره ثلاث سنوات ونصف السنة.

ومن بعدها عزله الفاروق، لا من عجز، ولا من خيانة، ولعله؛ ولتجديد دماء إدارته.

وهذا عمل إداري ممتاز أيضا.

حصار الروم حمص

وهذا الذي كان وقوعه، وحين ادلهم خطره، وأحدق بأبي عبيدة أثره! وحين استشار صحبه، وفيما يقدم على قراره، وحين أشار الناس، وأن يتحصن، وإلا خالدا فقد أبى!

وإذ كأني به: ولم أبى؟ ولأنه ومن ذلكم فعل يكون بمثابة الاستسلام، وإطماع عدوه فيه! ولعله أن يكون قد سلم نفسه لهم لحصاره!

وهذا الذي وقع! وحين حاصره الروم ومن مسلك، كان له أثره، وحين أخبر الفاروق، وكان منه قراره السفر إلى الشام؛ للوقوف على حقيقة الأمر العسكري للجبهات المفتوحة! ومن كل صوب وحدب، وإذ كان من آخرها حصار حمص يومه ذلك!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أنه، ومما يحسد عليه المشهد الميداني العسكري، ومن جملته، هو هذا التمركز والتحصين في بلاد الشام كلها، ومما أنف ذكر أطراف منه، والذي كان منه ولو أنهم استدعوا ومن محلة كالكوفة، لانفرط عقدها، وكذا الموصل والرها والري وغيرها!

وهذا الذي زاد الموقف تعقيدا وتشابكا.

وهو الذي كان منه قرار الفاروق الوقوف على حقيقة المشهد، ومن تلقاء نفسه.

أما نحن فنسميه جزية، وأما أنتم فسموه ما شئتم

هذه مداولات بين الفاروق عمر وأهل نصيبين وحينما ألزمهم دفع الجزية، ولما قد أبوا عليه، وإلا أنه أصر؛ ومن حيث إنه دين الله تعالى، ولا مجال لأحد عنه نزولا! ولو شيئا!

ويكأنه كان منهم أن طالبوه أن يدفعوا، ولو زيادة جعل، دون أن يسمى باسمه، الذي قال عنه ربنا تعالى إنه جزية!

ومن ثم كان رد الفاروق عليهم، هو هذا الذي سجلته مضابط التاريخ، وليعلم الناس كم كان الإسلام الحنيف عزيزا.

وإلا أنها مناسبة وحين فرض هذا الدين الجزية، وإنما ليس لأن المسلمين هم إليها بحاجة، وبقدر أنها نوع إرغام للناس، ومحبة للخير لهم، وأن يسلموا بادئ ذي بدء.

وبالتالي فحين قرر الإسلام هذه الجزية، ويكأني به كان بالناس رحيما، وحين تألفهم وبها، وجعلها نافذة خير لهم، وبدل أن يكون القتل أول مرة، ولأنهم ومن بدء الأمر ومن انتهائه أهل كتاب، وهم بحاجة إلى تعديل بوصلة عقيدتهم في الله تعالى ربنا الحق المبين، وإذ لسنا ننسى ما قاله ربنا تعالى

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وهم أولاء أهل نصيبين والرها والرقة وأرمينية والجزائر والموصل، وحين أمر الفاروق أن يصالحهم عثمان بن أبي العاص أن يستحصل على أهل كل بيت دينارا.

وحين بعث إلى هؤلاء أبا موسى الاشعري، وإلى أولاء عثمان ابن أبي العاص رضي الله عنهم أجمعين.

فهذا عبد الله بن عبد الله بن غسان، وحين سلك على رجليه حتى انتهى إلى الموصل، فعبر إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة. وبعث إلى عمر برؤوس النصارى من عرب أهل الجزيرة[٢١١].

لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة!

هذا قول مسيج باعتراض!

وحين كان رد الإلف الفاروقي على أبي عبيدة، وحين جاء الفاروق إلى سرع، ووجدها بها الطاعون والوباء!

وانقسم الناس يومها قسمين:

أحدهما يرى عودته، وألا يتعرض هو ومن بقي معه من الصحب الكرام للوباء!

وحين رأى آخرون ألا يعبأ، والأمر بقدر الله تعالى!

([٢١١])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٨٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأنه أخذ بمشورة من قال بالعودة، وإنما كان قد مكث يوما.

وهذا الذي كان منه رده على أبي عبيدة، وحين كان استشكال قد طرأ على أبي عبيدة هذا، وإذ هل الفاروق فعلا يفر من قدر الله تعالى الطاعون؟!

وهذه مسألة حسمها الفاروق حسمه، ولما كان رده أنهم يفرون بقدر الله من قدر الله تعالى!

وإلا أنه كان هو ذا الاستشكال أيضا، وإذ كان من عقد الفاروق، ألا يغيب عن أخيه أبي عبيدة عقده هذا!

ولكنه ليس بفائت ذكر أن الفاروق اتبع السنة يومه هذا، ومنه فإن هذا هو الرد العملي، وحين قد غاب عن أبي عبيدة أو عن غيره.

فعن عبد الله بن عباس، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشأم، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد؛ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشأم. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم، فاختلفوا؛ فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟! فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف -وكان متغيبا في بعض حاجته- فقال: إن عندي في هذا علما؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه. قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[٢١٢].

ولكنه قد يرتبط هذا الحدث، والذي أسماه التاريخ طاعون عمواس، نسبة إلى قرية عَمْواس في فلسطين، وإذ يرتبط بعلامة من علامات الساعة الصغرى، وعلى تأويل بعضهم في هذا الشأن. والله تعالى أعلى وأعلم.

فعن عوف بن مالك الأشجعي: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا[٢١٣].

والناس في هذا الشأن على أراء ثلاثة: ما بين مؤيد أنه هو ذا، وما بين غاد إلى أن طاعون عمواس كان في السنة الثامنة عشرة، وليس هذا من هذا. وما بين قائل إنه قد حدث مرتين وهذه أولاها.

ولكن الذي سجله التاريخ للفاروق يوم قدومه إلى الشام، اهتمامه بتوزيع مواريث الناس، ومن بعد موت كثير منهم في المعارك التي حدثت، ومما كان حاصلة وقوع ارتباك في مسألة المواريث، وكما ليس يخفى.

([٢١٢])صحيح البخاري: ٥٧٢٩
([٢١٣])المرجع السابق: ٣١٧٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

من الحيلة الشرعية

إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر

هذا رد خالد بن الوليد، وهو فيما يشبه الحيلة الشرعية، ولما كان من أمره أنه دلك ذات نفسه بخمر معصفر، وحين كان منه قتلها، أي معالجتها، ويكأنها صارت شيئا آخر، وهذا موطن الاستشهاد!

وإلا أن الفاروق لم يقره على هذا، ويكأن الفاروق أنكر عليه ذلك، ومن قوله رضي الله عنه: إني أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه، فانتهى لذلك[٢١٤].

وعلى كل حال، فإن هذا الخبر قد ضعفه أهل الحديث، ورغم مجيئه في أكثر من سجل تاريخي!

ولكنهم راحوا إلى تضعيفه، وعدم الاحتجاج به أيضا.

وحين كان ما هو منه أقوى درجة، ومن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وحين كانت نفس المناسبة تقريبا، ولما كان منها إنكارها فعل النساء يومهم هذا!

ومنه حديث: دخل على عائشة نسوة من أهل الشام فقالت عائشة ممن أنتن فقلن من أهل حمص فقالت صواحب الحمامات فقلن نعم قالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحمام حرام على نساء أمتي فقالت امرأة منهن فلي بنات أمشطهن بهذا الشراب قالت بأي الشراب فقالت الخمر فقالت عائشة رضي الله عنها أفكنت طيبة النفس أن تمتشطي بدم خنزير قالت لا قالت فإنه مثله[٢١٥].

([٢١٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٩٢

([٢١٥])السلسلة الصحيحة، الألباني: ١٢٩٢/٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفاروق يثني على سيف الله المسلول

والله إنك عَلَيَّ لكريم، و إنك إليَّ لحبيب!

هذا قول عمر الفاروق لخالد بن الوليد سيف الله المسلول!

ولولا أن الرواية التالية قد ذكرها التاريخ لكان منا منها موقف! وإلا أننا ندعو إلى تحقيق صحتها أيضا!

وذلك أنه متفق عليه أن خالدا كان سيفا مسلولا سله الله تعالى على الكافرين وبالوحي!

وذلك أن خالدا قدم ما لم يقدمه كثر غيره في سبيل الله تعالى؛ ونصرة لدينه سبحانه، ولم يكن له من مجد شخص في ذلك!

وذلك أن الرجل قام قومته، وفزع فزعته، على الروم غير مرة!

وهذه آخرها، ويوم أن اغتنم منهم ما شاء الله تعالى أن يغتنم!

وذلك أنه أيضا، وحين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف؛ وإنما لجده وبذله أيضا! أو لاحتمال طلبه منه!

وذلك أنه لم يأخذها له.

وذلك أنه قائد الميدان!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وذلك أنه نفله الأشعث بن قيس من مستحقاته، ولم يتعد على أموال الدولة شيئا!

وذلك أنه وإن كانت هنالك من تعديات وتصرفات خارج الصلاحيات، وإنما هل كان جزاؤها هو هذا التقييد والتعمية والرباط وسحب نياشينه! وإن شئت فقل في هكذا مرمغة وأمام الناس قاطبة!

وهكذا يذكر التاريخ فلتة كان هذا عقابها، ومن ثم عزل الرجل وها هو تاريخه؟!

نحن مع ولسنا ضد محاسبة الناس عسكريين كانوا أو غيرهم، وكل في موقعه يحاسب عن خطئه وزلاته!

ولكنه يحفظ له تاريخه، ومجده، وإكرامه، ولو حوسب!

وهذا الذي فعله الفاروق، ومن عبارته تلك، وأن نعم!

وإلا أننا ولربما كان لنا موقف!

ونقف عند اجتهاد الفاروق، وكما قد بينه، ولعل له عذرا، ولا سيما كان هو ذاك المؤيد بالوحي أيضا!

وهذه هي مضابط التاريخ، تحكي لنا الواقعة:

المضبطة الأولى: فلما فرق خالد في الذين انتجعوه الأموال سمع بذلك عمر بن الخطاب، وكان لا يخفى عليه شيء من عمله، فدعا عمر البريد فكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالدا ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الأشعث؟ أمن ماله أم من مال إصابة أصابها؟ فإن زعم أنه فرقه من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة، وإن زعم أنه من ماله فقد أسرف واعزله على كل حال واضمم إليك عمله، فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وجلس لهم على المنبر، فقام البريد فسأل خالدا، من أين أجاز الأشعث؟ فلم يجبه، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا، فقام بلال فقال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ونزوع عمامته فلم يمنعه سمعا وطاعة، ووضع قلنسوته، ثم أقامه فعقله بعمامته، وقال: من أين أجزت الأشعث من مالك أجزت؟ أم من إصابة أصبتها؟ فقال: بل من مالي؛ فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال: نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا[٢١٦].

ولكن عبارة البداية والنهاية كانت بيانا آخر معضدا، وحين أدلى الرجل بأن ما انتجعه صاحبه الأشعث بن قيس، وبهذه العشرة الآلاف، وإنما هي من الأنفال التي كان عودها إليه حقا شرعيا خالصا، والسهمان أيضا؛ ومن كونه كان فارسا فإن له سهمين، وحين كان الرجالة لهم سهم واحد!

المضبطة الثانية: قالوا: لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة، انتجعه الناس يبتغون وفده ونائله، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس، فأجازه بعشرة آلاف.

فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة: يأمره أن يقيم خالدا ويكشف عمامته، وينزع عنه قلنسوته، ويقيده بعمامته، ويسأله عن هذه العشرة آلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة ثم أعزله عن عمله.

فطلب أبو عبيدة خالدا، وصعد أبو عبيدة المنبر، وأقيم خالد بين يدي المنبر، وقام إليه بلال، ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد الذي قدم بالكتاب.

هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك.

([٢١٦])الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج ٢ / ٥٣٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم سار خالد إلى قنسرين، فخطب أهل البلد وودعهم، وسار بأهله إلى حمص، فخطبهم أيضا وودعهم، وسار إلى المدينة، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع * وما يصنع الأقوام فالله صانع

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف؟

فقال: من الأنفال والسهمان.

قال: فما زاد على الستين ألفا فلك، ثم قوم أمواله وعروضه، وأخذ منه عشرين ألفا، ثم قال: والله إنك علي لكريم، وإنك إليَّ لحبيب، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء.

وقال سيف، عن عبد الله، عن المستورد، عن أبيه، عن عدي بن سهل قال: كتب عمر إلى الأمصار: إني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع[٢١٧].

وبه يحل الإشكال!

وأما كونه كان أو لم يكن مسرفا فهل هذا هو الجزاء الملائم في هذه الحالة؟!

إننا نذكر تاريخنا هكذا، وكما قد جاءنا، وإذ لسنا نحمل، وإذ لسنا نجامل!

ولكنها الحقيقة، والتي لم يخللها ولو خللا واحدا يجعل من صائدي الحيل أن ينفذوا بسمهم إلى هكذا التاريخ المجيد.

([٢١٧])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٩٢ و ٩٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإن كان يمكن أن تخلله هنة، ولأن الناس ليسوا بمعصومين، وإذا قيس حدث كهذا، وأمام أحداث الفاروق أو خالد العظام، لهان الأمر، ولطويت الصفحة، ولقلبناها على صفحة أخرى ناصعة بيضاء تسر الناظرين!

المضبطة الثالثة: قالوا ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت تلك الطائفة انتجعه رجال فانتجع خالدا من أهل الآفاق فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالدا بقنسرين فأجازه بعشرة آلاف وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله كتب إليه من العراق بخروج من خرج ومن الشأم بجائزة من أجيز فيها فدعا البريد وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالدا أو يعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمه؟ من أين اجازة الأشعث أمن ماله أم من إصابة أصابها فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف واعزله على كل حال واضمم إليك عمله فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام البريد فقال يا خالد أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة فلم يجبه حتى أكثر عليه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا فقام بلال إليه فقال إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول قلنسوته فعقله بعمامته وقال ما تقول أمن مالك أم من إصابة قال لا بل من مالي فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا قالوا وأقام خالد متحيرا لا يدري أمعزول أم غير معزول وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن يقدم ظن الذي قد كان فكتب إليه بالإقبال فأتى خالد أبا عبيدة فقال رحمك الله ما أدت إلى ما صنعت كتمتني أمرا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم فقال أبو عبيدة إني والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدا وقد علمت أن ذلك يروعك قال فرجع خالد إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر فقال عمر من أين هذا الثرى قال من الأنفال والسهمان ما زاد على الستين ألفا فلك فقوم عمر عروضه فخرجت إليه عشرون ألفا

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فأدخلها بيت المال ثم قال يا خالد والله إنك علي لكريم وإنك إلي لحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء[٢١٨].

من بركات الأولياء

كل سبب ونسب فإنه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي

هذا حديث نبوي شريف يبين قيمة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونسبه في الدنيا وفي الآخرة.

وهذا الذي كان منه حرص عمر الفاروق أن ينتسب إلى بيت النبوة، ولا من جهة أن ابنته حفصة كانت زوجة لهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحسب، وإنما أيضا ومن زواجه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل بها في ذي القعدة، سنة سبع عشرة للهجرة.

ومنه كان قوله هذا الذي انف: إنما تزوجتها لقول رسول الله ﷺ: « كل سبب ونسب فإنه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي ».

ويكان عمر الفاروق وكما قد حكى التاريخ كان قد أمهرها أربعين ألفا! وهو هذا الذى حكى التاريخ عنه ألا تغالوا في المهور!

ولعل هذا كان من سبب.

ويكأن هذا كان ومن سبب.

([٢١٨])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ /١٦٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولعل وجاهة النبوة، وكرمه معها، هما اللذان قاداه إلى فعله هذا!

ولعل اختلاف الموقف، ومن الغنى والفقر، أول مرة، عن ثانيتها، هو الذي تأيد به قوله هذا أيضا.

ولم ينس التاريخ، طلب الناس عامهم هذا، من الفاروق، بناء أبنية على الطريق، بين مكة والمدينة؛ ولعلها تكون مأوى للمارين، واستراحة للمسافرين.

وهذا الذي كان منه موافقته، وشرط عليهم، أن ابن السبيل أحق بالظل والماء.

وهذا فعل ولي الأمر؛ رحمة بالرعية، وابتغاء الأجر من الله تعالى رب البرية.

اشفني من الأعبد!

هذا قول المغيرة بن شعبة، ذي التاريخ المجيد، والندى الشذي، في هذا الصرح الجميل العالي، الإسلام الحنيف الخالد!

وحين قد اتهموه، في واقعة زنا، كان منها بريئا، براءة الذئب، من دم يوسف بن يعقوب عليهما السلام!

وحين كان الناس، ومن أمرهم اطلاعهم على كوة، وهو في لقاء مع زوجته، وإلا أنهم حسبوها عليه امرأة تدعى أم جميل حراما!

وحين اشتبهت أقوال الشهود، فجلد ثلاثة؛ لكذب دعواهم، وقيامهم بواقعة القذف، وأبرأ المغيرة، وحين اختلط عليه أحدهم، ووقف به سمعه وبصره على حقيقة الريب، ووقع الشك، وهما أمران لا تنهض الدعوى قائمة على أرجل وساق؛ ومن سببهما!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولندع حكاية التاريخ تقصص، ولنتسمع لها، وهي إذ تروي: أن امرأة كان يقال لها أم جميل بنت الأفقم، من نساء بني عامر بن صعصعة، ويقال: من نساء بني هلال.

وكان زوجها من ثقيف قد توفي عنها، وكانت تغشى نساء الأمراء والأشراف، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبة، وهو أمير البصرة، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبي بكرة، وكان بينهما طريق، وفي دار أبي بكرة كوة تشرف على كوة في دار المغيرة، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكرة شنآن.

فبينما أبو بكرة في داره وعنده جماعة يتحدثون في العلية إذ فتحت الريح باب الكوة، فقام أبو بكرة ليغلقها، فإذا كوة المغيرة مفتوحة، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجليها، وهو يجامعها.

فقال أبو بكرة لأصحابه: تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأم جميل، فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة.

فقالوا لأبي بكرة: ومن أين قلت إنها أم جميل؟ - وكان رأساهما من الجانب الآخر -.

فقال: انتظروا، فلما فرغا قامت المرأة، فقال أبو بكرة: هذه أم جميل. فعرفوها فيما يظنون.

فلما خرج المغيرة، وقد اغتسل ليصلي بالناس منعه أبو بكرة أن يتقدم.

وكتبوا إلى عمر في ذلك، فولى أبا موسى الأشعري أميرا على البصرة.

وعزل المغيرة، فسار إلى البصرة فنزل البرد.

فقال المغيرة: والله ما جاء أبو موسى تاجرا ولا زائرا ولا جاء إلا أميرا.

ثم قدم أبو موسى على الناس وناول المغيرة كتابا من عمر، هو أوجز كتاب فيه:

أما بعد، فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميرا، فسلم ما في يديك والعجل.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكتب إلى أهل البصرة: إني قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من قويكم لضعيفكم، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن دينكم، وليجبي لكم فَيْأَكُم، ثم ليقسمه بينكم.

وأهدى المغيرة لأبي موسى جارية من مولدات الطائف تسمى: عقيلة، وقال: إني رضيتها لك، وكانت فارهة.

وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه، وهم أبو بكرة، ونافع بن كلدة، وزياد بن أمية، وشبل بن معبد البجلي.

فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة، فقال المغيرة: سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني؟ مستقبلهم أو مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها، فإن كانوا مستقبلي فكيف لم يستتروا؟ أو مستدبري فكيف استحلوا النظر في منزلي على امرأتي؟ والله ما أتيت إلا امرأتي، وكانت تشبهها.

فبدأ عمر بأبي بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة.

قال: كيف رأيتهما؟

قال: مستدبرهما.

قال: فكيف استبنت رأسها؟

قال: تحاملت.

ثم دعا شبل بن معبد فشهد بمثل ذلك.

فقال: استقبلتهما أم استدبرتهما؟

قال: استقبلتهما.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم.

قال: رأيته جالسا بين رجلي امرأة، فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان، وأستين مكشوفتين، وسمعت حفزانا شديدا.

قال: هل رأيت كالميل في المكحلة؟

قال: لا.

قال: فهل تعرف المرأة؟

قال: لا، ولكن أشبهها.

قال: فتنح.

وروي: أن عمر رضي الله عنه كبر عند ذلك، ثم أمر بثلاث فجلدوا الحد، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [سورة النور: ١٣].

فقال المغيرة: اشفني من الأعبد.

قال: اسكت، اسكت الله فاك، والله لو تمت الشهادة لرجمناك بأحجار [٢١٩].

وعلى كل حال، فإن هذه هي شهادة التاريخ، براءة المغيرة بن شعبة، صاحب القولة الجئيرة، والشهادة الشهيرة: لأضحكنكم من ثقيف! ويوم كسر الربة ربتهم، وأحطم اللات آلهتهم!

([٢١٩])البداية والنهاية، ابن كثير : ج ٧ / ٩٤

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

١- وهو صاحب يوم الحديبية، وصاحب المبايعة تحت الشجرة، والذي قد رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه!

وبالتالي فإن ذلك كله حاسم للنزاع في هذه الواقعة، ذات الأطراف المتشابكة، والمنحنيات المتعارجة.

٢- وإن في شبهة أنها امرأته.

٣- وإن شبهت أم جميل.

٤- وإن في شبهة أنهم كيف عرفوا أنها هي! وعلى هذا البعد المكاني! ولا سيما إذا كان الجو ليلا! وقد كان ليلا؛ دلالة منع أبي بكرة له أن يصلي بالناس فجرهم يومهم هذا!

٥- والليل عيونه غير عيون النهار! وهذا إذا ثبت أن للّيل عيونا! ولا سيما يوم الناس هذا، وإذ لا أضواء كاشفة، ولا مصابيح منيرة أو مضيئة!

٦- ولا سيما أيضا أن الرجل كان مزواجا، ولا حاجة له، وقد أمتعه الله تعالى ومن حلاله!

٧- ولا سيما أنه كانت بينه وبين أبي بكرة نوع خصومة! ومن ها هنا، فإن ذلك يقدح في عدالة كل منهما تجاه الآخر؛ ولأجل هذه الخصومة الملقية بروعها على المشهد كله!

٨- وفضلا عن عدم اكتمال النصاب! وكما أنف.

٩- وفضلا عن كلام قيل في سند ما قد حدث!

ومن كل الذي أنف يقطع قاضي الموضوع ببراءة الرجل وطهارته أيضا. وكما قد كان من أمير المؤمنين الفاروق عمر يومه هذا!

اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني!

هذا دعاء البراء بن مالك، أن ينصر عباد الله تعالى على أعداء الله تعالى، وأن يرزقه تعالى الشهادة.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين توجه إليه القوم يومهم هذا؛ ولأنه هو الذي كان من جملة من قصدهم هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويوم قال: كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك[٢٢٠].

وإذ كان ذلك يوم تستر، ولما كان يزدجرد قد أحمى وعبأ أهل فارس وتستر هذه؛ أن يتجمعوا لقتال المسلمين، ومن بعد ما رأوا زحفهم على بلادهم هكذا!

والذي كان منه علم الفاروق بهذا المكر السيء، وإذ ليس يحيق مكر سيء إلا بأهله!

وحينها أمر إلى سعد بإرسال جيش كثيف إلى حيث هناك بالكوفة.

وأمر نفس أمره إلى غيره، وكتب إلى أبي موسى وهو بالبصرة: أن ابعث إلى الأهواز جندا كثيفا، وأمر عليهم سهيل بن عدي

وحينها حمي الوطيس، واشتد القتال، ولما كان الأمر كذلك، لجأ المسلمون إلى البراء بن مالك هذا، رضي الله تعالى عنه؛ وأن يدعو الله تعالى، نصر عبيده المؤمنين، على عدو الله تعالى وعدوهم، عبدة النار المجوس أهل فارس من تستر يومهم هذا، وسائر أيامهم أيضا.

وكان من نصره تعالى، وبما شفي به قلوب عباده المؤمنين.

ولكن القوم أخذوا، ومن قتالهم، وإلى بعد صلاة فجرهم يومهم هذا!

ومن ثم صلوها، ومن بعد وقتها. ومن عن أنس بن مالك قال: شهدت فتح تستر، وذلك عند صلاة الفجر، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس، فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم[٢٢١].

([٢٢٠])كشف المناهج والتناقيح، صدر الدين المناوي: ٣٤٦/٥

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وقد أنف ذكر طرف من ذلك يوم الخندق في موسوعة (السيرة النبوية أحداث ودلالات)، وحين قال صلى الله عليه وسلم: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، فقال: ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارا، كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس. وهي صلاة العصر[٢٢٢].

وكذا يوم بني قريظة وحين: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف واحدا منهم[٢٢٣].

وإلى الجواز ذهب جمع من أهل العلم ولما أنف.

فتح السوس

لا تجمعوا عليه القتل والعطش!

هذه رحمة الفاروق، وهذا دينه، الذي قد أسبغه على رحمته تلك! وإذ كان معروفا، ومن جاهليته بغلظته !

ولكنه هو هكذا الإسلام، وحين يخالط شغاف القلوب، وإنما يعمل فيها عمله، ومن رحمة، ومن لين!

وإذ تعم هذه الرحمة العالية الرقيقة، كل من خلق، من إنس مسلم أو كافر، أو مما سواه هذا الإنس أيضا!

([٢٢١])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٩٩
([٢٢٢])صحيح البخاري: ٦٣٩٦
([٢٢٣])المرجع السابق: ٤١١٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن هذه مناسبة، يوم أن أسر المسلمون الهرمزان، يوم فتح السوس، وأتوا به إلى المدينة من هناك بلاد الفرس، وحين ألبسوه ثياب ملكه وتاجه وديباجه وذهبه المكلل بالياقوت واللآلئ!

وحين لم يجدوا الفاروق إلا في المسجد نائما على برنسة له! وممسكا درته!

وها هو الهرمزان يسألهم عن عمر! وها هو الفاروق نائم! وإذ لايعرفه أنه هو! ومن تواضعه وخشونته ولينه ورضاه!

ولكن الفاروق وحين رآه وإذ أبى كلامه، وإلا أن يخلع هكذا لباس، ليس منه إلا قسوة القلوب ونفرتها وعدم رضائها!

وكان مما زاد الهرمزان عجبه أن لم يجد لا حارسا ولا حاجبا ولا حاشية عند عمر الفاروق هذا!

وهذا الذي أدهشه! وإذ تعمل هذه الفجاءة فيه عملها، وحين ألبسوه لباسا من صوف صفيق! ليعلم كم هي الدنيا وهوانها، وقلة متاعها، وكم كان الصحب الكرام بها على علم، وحتى ألفوا غض طرفهم عنها.

ولما كان من ظنه أنه الفاروق قاتله! وها هو يطلب كاس ماء وليتأبى شربه؛ وخشية أن يعاجله الفاروق بقتله! وهو إذ يشرب! ولأن القوم منزوعو الرحمة، فظنوا أن الفاروق ومن كمثلهم فجا فظا غليظ القلب!

ولكنه الفاروق يؤمنه، وحتى يشرب، وإن هو أسلم فقد عصم ماله ودمه! ويكأنه أسلم، ولكنه وعلى ما قيل قد حسن إسلامه، وعلى ما قيل ظل يصانع الناس، وإلى يوم قتل أبي لؤلؤة المجوسي الفاروق! وإذ قد راح قوم إلى أن ذلك، وإنما تم وعلى عين وتدبير وغش وخيانة من الهرمزان!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكنه ويوم أن سأل عن عمر، وأخبروه بأنه هذا الذي ينام متوسدا برنسيته ويده! وحينها قال قولا سجله التاريخ وأنه: ينبغي أن يكون نبيا! فقالوا: بل يعمل عمل الأنبياء[٢٢٤].

والبرنس: قلنسوة طويلة، وكان النساك يلبسونها، ورداء ذو كمين يلبس بعد الاستحمام[٢٢٥].

والبرنس: ما يلتحف به كالبطانية، وكان أهل صقلية ينطقونه: برنوس[٢٢٦].

نداء أبوي حان

ولكن مناظرة وقعت بين الفاروق والهرمزان، من مقتضاها علمنا كيف أن الإسلام قوة، ويهب ذويه قوة مضاعفة أيضا!

ولأن الهرمزان أخبر الفاروق أنهم وحين استووا من جاهليتهم، وإنما كانت الفرس تغلبهم؛ ولقوتهم وعتادهم وعددهم!

ولكنه وحين افترقا، فأسلم العرب، وبقي الفرس مشركين! وإنما ومن ها هنا لأعزهم ربهم تعالى بنصرهم على عدوهم، ومن سبب إسلامهم هذا!

ومن ها هنا فإن هذه دعوة للتاريخ أن يتحلى الناس بإسلامهم، ومن إيمانهم، ومن إحسانهم، ولسوف يرون ما ربهم بهم فاعل! وإلا ومن كمثل ما فعل بأمجادهم الأولين من قبل!

صاف بن صياد قائد فتح السوس!

وإنما قصدنا إيراده ببيان؛ هذا صاف بن صياد قائد فتح السوس؛ ولأنه كان ذا بركة!

([٢٢٤])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ١٨٤

([٢٢٥])المعجم الكبير ٢/ ٢٧٦، مادة برنس

([٢٢٦])كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي النحوي اللغوي (ت ٥٠١ هـ): ١٠٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن بركته وحين دق باب السوس برجله، وإذ من هذه الدقة، وإنما تقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق، وحين أذن الله تعالى بنصر هذه الفئة المسلمة وإنما، ودان له أهلها بالأمان، ومن بعد إيذانهم، ومن رفعهم أيديهم للأمان والسلام!

وهم الذي قرأوا في تاريخهم هو هكذا نبوءة الفتح! ولما قد جاءهم، وإن كان على غير شيء من تاريخهم؛ ولأنهم حسبوا عن آبائهم أنها بلدهم هذه السوس، مفتوحة، ولكنها يوم تفتح، وإنما على يد الدجال أو قوم معه!

وها هو صاف بن صياد يفتحها، ولا دجال ولا قوم معه!

وكان على السوس من الفرس القائد شهريار أخو الهرمزان، وحين كانت هذه السوس، ومن أقدم ما عمر على وجه الأرض؛ ومنه تتبدى أهمية فتحها.

وحين وجدوا يومهم هذا قبر دانيال النبي، الذي بشر بمحمد النبي العربي الأمي القرشي، وكما قد بشر بموسى بن عمران بنيا مرسلا، ومن كمثل أخيه محمد أيضا.

وإنما أمر الفاروق عمر بدفنه ومواراة خبر وجوده! ومن لفتة حكيمة؛ ولأن الرجل كانت له عند الناس منقبته، وخشية أن يتخذ قبره، ومن بدع القوم، وممن جاء بعدهم، ومنه كان أمر الفاروق هذا؛ وخوف الشرك وذرائعه.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أحاديث وردت شأن ذلك اليوم

عن حبيب بن شهاب قال: حدثني أبي قال: كنت أول من أوقد في باب تستر، ورمي الأشعري فصرع، فلما فتحوها وأخذوا البسي أمرني على عشرة من قومي ونفلني برجل سوى سهمي وسهم فرسي قبل الغنيمة[٢٢٧].

عن خالد بن سيحان قال: شهدت تستر مع أبي موسى أربع نسوة أو خمس، فكن يستقين الماء ويداوين الجرحى، فأسهم لهن أبو موسى[٢٢٨].

عن مطرف بن مالك أنه قال: شهدت فتح تستر مع الأشعري، قال: فأصبنا دانيال بالسوس، قال: فكان أهل السوس إذا أسنوا أخرجوه فاستسقوا به، وأصبنا معه ستين جرة مختمة، قال: ففتحنا جرة من أدناها وجرة من أوسطها من أقصاها، فوجدنا في كل جرة عشرة آلاف، قال همام: ما أراه إلا قال (عشرة آلاف) وأصبنا معه ربطتين من كتان، وأصبنا معه ربعة فيها كتاب، وكان أول رجل وقع عليه من بلعنبر يقال له حرقوص، قال: أعطاه الأشعري الربطتين وأعطاه مائتي درهم، قال: ثم إنه طلب إليه الربطتين بعد ذلك، فأبى أن يردهما وشقهما عمائم بين أصحابه، قال: وكان معنا أجير نصراني يسمى نعيما، قال: بيعوني هذه الربعة بما فيها، قالوا: إن لم يكن فيها ذهب أو فضة أو كتاب الله، قال فإن الذي فيها كتاب الله فكرهوا أن يبيعوا الكتاب، فبعناه الربعة بدرهمين، ووهبنا له الكتاب، قال قتادة: فمن ثم كره بيع المصاحف لان الأشعري وأصحابه كرهوا بيع ذلك الكتاب، قال همام: فزعم فرقد السبخي قال: حدثني أبو تميمة أن عمر

([٢٢٧])المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي - ج ٨ / ٣١

([٢٢٨]) المرجع السابق: ٣١/٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

كتب إلى الأشعري أن تغسلوا دانيال بالسدر وماء الريحان، وأن يصلى عليه فإنه نبي دعا ربه أن لا يريه المسلمون[٢٢٩].

إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب عمر: إن هذا نبي من الأنبياء والنار لا تأكل الأنبياء، والأرض لا تأكل الأنبياء، فكتب أن أنظر أنت وأصحابك - يعني أصحاب أبي موسى - فادفنوه في مكان لا يعلمه أحد غيركما، قال: فذهبت أنا وأبو موسى فدفناه[٢٣٠].

حيلة عسكرية

ويذكر التاريخ أنهم، وحين حاصروا حصنا فامتنع عليهم، وإلا أن أحدهم ابتكر حيلة عسكرية باهرة، ولما كان منه أن خضب نفسه بالدماء، حتى راحت صورته! وليحسب القوم أنه منهم! ومن ثم فتحوا حصنهم ليؤمنوه! ومنه فقد راح فيهم إثخانا، والعاقبة للمتقين!

وبه تم للمسلمين فتح السوس، ورامهز، ونهاوند.

هذا طعام أمير المؤمنين!

وإذ يبث له الخبز مع سمن ولبن، وهذا طعامه يوم خصبه!

وإذ كان يبث له الخبز بالخل والزيت، وهذا طعامه يوم جدبه!

وهذا حالان يحكيان الرضا والعفاف وبيع هذه الدنيا!

وهذا هو الفاروق يومه هذا، وإذ أصبح أميرا للمؤمنين وإذ لم يتغير حاله!

([٢٢٩])المرجع السابق: ٣١/٨
([٢٣٠])المرجع السابق: ٣٢/٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولأنه هو ذلكم الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم، يوما أن يعطي الناس، ويوم لم يسألوه الناس، ولما لم يكن عنده من شيء!

وإذ كان مع الفاروق يومها بعض من تمر!

ولكن هذا الذي يعنينا هو ذلكم يوم الرمادة، ولما كان طعامه هو هذا الخبز مبثوثا فيه الخل والزيت!

وحين أقسم ألا يأكل سمنا ولا سمينا، وحتى ينكشف ما قد ألم بهم الناس!

وهذا الذي منه كان حديث هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى[٢٣١].

ولكنه هو هذا الابتلاء للناس، وهم وحين يصبرون على أقدار الله تعالى الموجبة صبرا عند الضراء، والملزمة شكرا عند النعماء.

وحين كان من أمرهم هذا هو الصبر، وعدم التشكي، ولا الجزع، ولا الهلع، وإلا أن الله تعالى قد صرف عنهم ما ابتلوا به، فجمعوا بين صبرهم وشكرهم.

والصبر والشكر عبادتان يحيان القلوب، ويوجبان رضا علام الغيوب!

لقد انجلت عنك، ولأنك لابن حرة

وحين انكشف ما به الناس قد ألم، وراح كل من قد جاء من صوبه إلى صوبه! وحين قال الناس للفارق يومهم هذا: لقد انجلت عنك، ولأنك لابن حرة[٢٣٢]. ولأنه وحين صابر نفسه، وعاش عيشة رعيته، ولهث بدعائه ربه؛ ومنه كان قول الناس هذا الذي أنف!

([٢٣١])صحيح البخاري: ٦٠١١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن المواساة خلق جميل، ودأب فضيل.

وإن عيش مشاعر الناس إلف راعٍ، وسماحة والٍ!

ومن ذلك يغدق ربنا ويرضى، ويكشف ربنا الغمة، ويزيح الكربة!

يا غوثاه لأمة محمد!

هذه استغاثة عمر الفاروق لأبي موسى بالبصرة في العراق يومه هذا، ويوم الرمادة هذا أيضا! ولأن مثل المؤمنين هو هذا، ولأن موجب الولاية هو هذا أيضا

ويحين اشتكى الناس إلى أمير المؤمنين الفاروق، أنه حتى السؤَّال قد منعوا سؤالهم؛ ولأنه ولم يعد عند أحد شيء، ومن يجيبهم، ومن سؤلهم، ولو شيئا!

وحين كان نداء الفاروق لأبي موسى هو هذا الذي أنف، ومنه ولم يكد وإلا أن أرسل إلى الناس غوثهم، وحين انجلت الغمة، وكشف الله تعالى عن المؤمنين الملمة!

اللهم إياك نعبد و إياك نستعين، اللهم اغفرلنا وارحمنا وارض عنا

هذا دعاء العباس يوم الرمادة!

ويوم أن قدمه الأمير عمر الفاروق لصلاة الاستسقاء!

ويوم عرفنا قدر وإيمان العباس عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم!

ويوم عرفنا تقديم الأصلح فالأصلح ولمثل ذلكم موقف!

ويوم أنه لم يكادوا يفرغوا، وإلا أن خيرا قد أعمهم، وغيثا قد أغاثهم، وقطرا قد شملهم!

([٢٣٢])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٠٣

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا صنيع الناس عند الأزمات، رفعهم أيديهم لرب الأرضين والسماوات، وحين كان العقد فيه تعالى، ألا يرد يدا قد رفعت إليه؛ من حاجة! ولأنه تعالى الكريم اللطيف الخبير، ولأنه تعالى قال أيضا: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢].

وعن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون[٢٣٣].

وعلى أنه قد ورد أنه اكتفى بالاستغفار، ومناجاة ربه تعالى الغفار، ومن ثم قرأ بعض سورة نوح، وبعض سورة هود.

فعن الشعبي قال: خرج عمر بن الخطاب يستسقي بالناس، فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا : يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت قال: " لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي تستنزل بها المطر؟ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا[٢٣٤].

وعلى أنه أفاد الحديث أنه هو الذي صلى الاستسقاء، ودعا ربه تعالى، واستغفره سبحانه، ولم يبرحوا مكانهم إلا وأظلتهم سحائب الرحمة، ومن حملها قطر السماء مدرارا، وعلى وصفه القرآن المجيد أيضا.

فعن خوات بن جبير قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر، فخرج عمر بالناس فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفي ردائه فجعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين ثم بسط يده

([٢٣٣])صحيح البخاري: ٣٧١٠

([٢٣٤])مصنف عبد الرزاق - كتاب الصلاة - باب الاستسقاء- الجزء رقم٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فقال: "اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك" فما برح مكانه حتى مُطروا، فبينا هم كذلك إذا أعراب قد قدموا فأتوا عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين بينما نحن في وادينا في يوم كذا في ساعة كذا إذ أظلّنا غمام، فسمعنا بها صوتًا أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص" فقال: لقد طلبت المطر بمحاديج السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارا } [نوح: ١٠-١١]، ثم قرأ: { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ } الآية [هود: ٣] [٢٣٥].

وعن الشعبي قال: خرج عمر يستسقي بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما نراك استسقيت فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: {فقُلتُ استغفروا ربَّكُم إنَّهُ كانَ غفَّارًا* يُرسلِ السماءَ عليكم مِدرارًا} [سورة نوح/١٠-١١]، ثم قرأ: {ويا قومِ استغفروا ربكم ثُمَّ توبوا إليهِ} [سورة هود/٥٢] الآية[٢٣٦].

ولعل جامع كل هذا أنه يمكن وقوعه من كل من عمر الفاروق والعباس أيضا.

ولما كان منه سماعهم سحابة تناجيه، وأن قد جاءك غوث السماء! ومن إشارة إلى أنه هو هكذا، وإذا رفع عبد أكف ضراعته إلى مولاه الحق المبين، وإلا أنه تعالى وإذ يجيبه، ولما قد أيقن عبد إجابة مولاه تعالى.

استأذن لرسول الله ﷺ!

هذا رجل رأى النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ومن رؤياه منامه!

وحين اشتد بالناس إيلامهم الرمادة عامهم هذا!

([٢٣٥])كتاب مجابي الدعوة، ابن أبي الدنيا: ٥٣-٥٤

([٢٣٦])جامع الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب [٥٩]. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومنه جاءت هذه السلوى، ومن قول النبي لهكذا الذي رأى: أن رجلا من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء. فألحوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حمر فقال: يا محمداه. فلما أمسى أري في المنام أن رسول الله ﷺ يقول له: أبشر بالحياة، إيت عمر فأقره مني السلام، وقل له إن عهدي بك وفيّ العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر. فجاء حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذن لرسول الله ﷺ. فأتى عمر فأخبره ففزع، ثم صعد عمر المنبر فقال للناس: أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيئا تكرهونه؟ فقالوا: اللهم لا. وعم ذلك؟ فأخبرهم بقول المزني - وهو بلال بن الحارث - ففطنوا ولم يفطن. فقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا. فنادى في الناس فخطب فأوجز، ثم صلى ركعتين فأوجز، ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عن أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اسقنا وأحي العباد والبلاد.

هل هذا الحديث صحيح؟

وحين ورد حديث، قال بعضهم بصحته، ومما أحدث استشكالا!

والواقع أنه ليس ما يدعو إلى الاستشكال!

لأنه متقرر في الأصول والقواعد الشرعية، وإنما كانت هي الحاكمة الضابطة!

ولما يأت حديث يحكي خلافها، وإنما يبحث في صحته رواية ودراية.

ومن كل جانب ممكن!

ومن ثم إذا صح، ومن هاتين الجانبين، وإنما يبحث له عن تأويل سائغ، أو نسخ إذا وجد، وإلا طرح!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وطرحه ها هنا أوجب، ومن كونه إن هنالك كلام حول صحة سنده، وإلى ومن ثم يكون موقوفا عليه وحده!

ومنه يكون الاستدلال به ساقطا؛ ولأنه يتعارض مع أصل الاعتقاد، في أنه لا يدعى إلا الله تعالى، ولا يستسقى بميت، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ميت !

وقد بقي طرح آخر وهو شبهة أن الأنبياء أحياء عند ربهم يرزقون، وإذ ليس في شبهة تأويل لما إليه قد ذهب الرجل، وهو هذا المجهول أيضا!

ولأن حياة البرزخ هي نوع حياة خاصة، ليس ينبني عليها حكم شرعي!

وحتى هذه الرؤى التي أوردنا طرفا منها، وإلا أنه يستأنس بها، ولأنها لم تحك حكاية الاستسقاء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحين راح الفاروق إلى عم النبي، وهو ذلكم الأعلم بمقام ربه تعالى، وإذ ليس يستسقى إلا هو سبحانه وتعالى، ومن حي هو عم النبي، أو غير عم النبي صلى الله عليه وسلم.

ومنه يلتمس عذر لمن صحح، مع بقاء الحكم الشرعي ثابتا، ما دامت السماوات والأرض!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ويستشفعوا بهم، لا بعد مماتهم، ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلو الله لنا أن ينصرنا أو يرزقنا أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا نبي الله يا ولي الله ادع الله لي، سل الله لي، سل الله أن يغفر لي ... ولا يقول: أشكو إليك ذنوبي أو نقص رزقي أو تسلط العدو علي، أو أشكو إليك فلاناً الذي ظلمني، ولا يقول: أنا نزيلك، أنا ضيفك، أنا جارك، أو أنت تجير من يستجيرك. ولا يكتب أحد ورقة ويعلقها عند القبور، ولا يكتب أحد محضراً أنه استجار بفلان،

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويذهب بالمحضر إلى من يعمل بذلك المحضر، ونحو ذلك مما يفعله أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين، كما يفعله النصارى في كنائسهم، وكما يفعله المبتدعون من المسلمين عند قبور الأنبياء والصالحين أو في مغيبهم، فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، وبالنقل المتواتر وبإجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله لم يشرعوا شيئاً من ذلك، ولا فعل هذا أحد من أصحابه صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من الأئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أن يشفع له أو يدعو لأمته، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين، وكان أصحابه يبتلون بأنواع البلاء بعد موته، فتارة بالجدب، وتارة بنقص الرزق، وتارة بالخوف وقوة العدو، وتارة بالذنوب والمعاصي، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبر الرسول ولا قبر الخليل ولا قبر أحد من الأنبياء فيقول: نشكو إليك جدب الزمان أو قوة العدو، أو كثرة الذنوب ولا يقول: سل الله لنا أو لأمتك أن يرزقهم أو ينصرهم أو يغفر لهم، بل هذا وما يشبهه من البدع المحدثة التي لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، فليست واجبة ولا مستحبة باتفاق أئمة المسلمين "[٢٣٧].

هل هذا تأويل سائغ؟

وحين قد وصل إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق أن نفرا من اهل القبلتين كان قد شرب الخمر ولأنهم فهموا من قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩١]. أنه خيرهم بين الانتهاء وعدمه! وها هو فهمهم هذا!

وإلا أن أبا عبيدة، وحين راسل الفاروق؛ ولإطلاعه على هكذا فهم! وكيف يعالجه.

([٢٣٧]) القاعدة الجليلة، ابن تيمية: ٧٣

www.sadaf.net

وحين كان رد الفاروق استحضارهم وسؤالهم، وعما إذا كانوا يستحلون شربها فيكفرون، أو أنهم يحرمونها فيجلدون؟

وحين ساءلهم، وأنهم وإنما يحرمون، فجلدهم!

وهذا الذي حدث أيام النبوة أيضا، وحين كان تأويل عثمان بن مظعون أنه تعالى لم يجعل حرجا ولا جناحا، على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيما طعموا ومن شرب الخمر يومه هذا!

وهذا الذي عالجه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي حكاه الفاروق أيضا.

(وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة التواتر ، وأجمعت الأمة على تحريمه ، وإنما حكي عن قدامة بن مظعون ، وعمرو بن معد يكرب ، وأبي جندل بن سهيل ، أنهم قالوا: هي حلال ؛ لقول الله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا} الآية. فبين لهم علماء الصحابة معنى هذه الآية ، وتحريم الخمر ، وأقاموا عليهم الحد ؛ لشربهم إياها ، فرجعوا إلى ذلك ، فانعقد الإجماع ، فمن استحلها الآن فقد كذب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد علم ضرورة من جهة النقل تحريمه ، فيكفر بذلك ، ويستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل.

روى الجوزجاني ، بإسناده عن ابن عباس ، أن قدامة بن مظعون شرب الخمر ، فقال له عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: إن الله عز وجل يقول: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}. وإني من المهاجرين الأولين من أهل بدر وأحد. فقال عمر للقوم: أجيبوا الرجل. فسكتوا عنه ، فقال لابن عباس: أجبه. فقال: إنما أنزلها الله تعالى عذرا للماضين ، لمن شربها قبل أن تحرم وأنزل: {إنما الخمر والميسر والأنصاب}. حجة على الناس. ثم سأل عمر عن الحد فيها

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فقال علي بن أبي طالب: إذا شرب هذى ، وإذا هذى افترى فاجلدوه ثمانين ، فجلده عمر ثمانين جلدة.

وروى الواقدي أن عمر قال له: أخطأت التأويل يا قدامة ، إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك.

وروى الخلال بإسناده عن محارب بن دثار ، أن أناسا شربوا بالشام الخمر ، فقال لهم يزيد بن أبي سفيان: شربتم الخمر؟

قالوا: نعم ، بقول الله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا} الآية. فكتب فيهم إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه: إن أتاك كتابي هذا نهارا ، فلا تنتظر بهم إلى الليل ، وإن أتاك ليلا ، فلا تنتظر بهم نهارا ، حتى تبعث بهم إلي ، لئلا يفتنوا عباد الله. فبعث بهم إلى عمر ، فشاور فيهم الناس ، فقال لعلي: ما ترى؟ فقال: أرى أنهم قد شرعوا في دين الله ما لم يأذن الله فيه ، فإن زعموا أنها حلال ، فاقتلهم ، فقد أحلوا ما حرم الله ، وإن زعموا أنها حرام ، فاجلدوهم ثمانين ثمانين ، فقد افتروا على الله. وقد أخبرنا الله عز وجل بحد ما يفتري بعضنا على بعض. فحدهم عمر ثمانين ثمانين.

إذا ثبت هذا ، فالمجمع على تحريمه عصير العنب، إذا اشتد وقذف زبده ، وما عداه من الأشربة المسكرة ، فهو محرم [٢٣٨].

وساق ابن حزم رحمه الله تعالى الحديث عن عامر الشعبي، قال: استشارهم عمر في الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: من افترى على القرآن أرى أن يجلد ثمانين. حدثنا عبد الله بن ربيع نا عبد الله بن محمد بن عثمان نا أحمد بن خالد نا علي بن عبد العزيز نا الحجاج بن المنهال نا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن جحادة بن دثار أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

([٢٣٨])المغني، ابن قدامة: ج٩ / (١٣٥، ١٦٣)

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وسلم شربوا الخمر بالشام وأن يزيد بن أبي سفيان كتب فيهم إلى عمر فذكر الحديث - وفيه: أنهم احتجوا على عمر بقول الله تعالى {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا} فشاور فيهم الناس ، فقال لعلي: ماذا ترى؟ فقال: أرى أنهم قد شرعوا في دين الله ما لم يأذن به ، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم ، فإنهم قد أحلوا ما حرم الله تعالى ، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين ثمانين ، فقد افتروا على الله الكذب ، وقد أخبر الله تعالى بحد ما يفتري به بعضنا على بعض؟

قال أبو محمد رحمه الله: هم يعظمون - يعني الحنفيين ، والمالكيين - قول الصاحب وحكمه إذا وافق تقليدهم وأهواءهم ، وهم هاهنا قد خالفوا الصحابة - رضي الله عنهم - فلا يرون على من فضل عمر على أبي بكر حد الفرية ، ولا على من فضل عليا عليهما حد الفرية ، ولا يرون على من افترى على الله تعالى وعلى القرآن ، حد الفرية ، لكن يرون القتل إن بدل الدين ، أو لا شيء إن كان متأولا. هذا ، وهم يحتجون بقول علي ، وعبد الرحمن ، في هذين الخبرين في إثبات ثمانين في حد الخمر ، نعم ، وفي إثبات القياس؟ وقد خالفوهما في إيجاب حد الفرية على من افترى على الله كذبا. فلئن كان قول علي ، وعبد الرحمن ، حجة في إيجاب حد الخمر ، وفي القياس ، فإنه حجة في إيجاب حد الفرية على من افترى على الله تعالى كذبا وعلى القرآن. ولئن كان قولهما ليس بحجة في إيجاب حد الفرية على من افترى على الله تعالى ، وعلى القرآن ، فما قولهما حجة في إيجاب القياس ، ولا في إيجاب ثمانين في الخمر ولا فرق - وبالله تعالى التوفيق.

وهذا يليح لمن أنصف نفسه أنه ليس كل فرية يجب فيها الحد ، فإذ ذلك كذلك فلا حد إلا في الفرية بالزنا ، لصحة النص ، والإجماع على ذلك[٢٣٩].

([٢٣٩])المحلى، ابن حزم: ج ١١ / ٢٨٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن ثم كانت رسالة الفاروق تضميدا وطمأنة، ومن بعد عملهم هذا، ولأنه ليس من حسن إعانة الشيطان على الأخ المسلم، وإنما ليفسح له مجال واسع من القبول والانضمام إلى الجماعة المسلمة، فتحتضنه، وتربت على صدره.

وهذا الذي كان منه طلب أبي عبيدة من الفاروق أن يسعفه بضماد شاف لأبي جندل يومه هذا، وحين خاطبه قائلا: من عمر إلى أبي جندل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فتب وارفع رأسك، وابرز ولا تقنط فإن الله تعالى يقول: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [الزمر: ٥٣].

وكتب عمر إلى الناس: إن عليكم أنفسكم ومن غير فغيروا عليه، ولا تعيروا أحدا فيفشوا فيكم البلاء[٢٤٠].

([٢٤٠])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٠٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل السابع

من أحداث السنتين: الثامنة عشرة والتاسعة عشرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: من أحداث السنة الثامن عشرة .

المبحث الثاني: من أحداث السنة التاسعة عشرة.

المبحث الأول: من أحداث السنة الثامن عشرة .

وفاة معاذ بن جبل

إن معاذا يبعث أمام العلماء بربوة

هذا وصف عمر الفاروق لمعاذ بن جبل! إماما للعلماء!

ولسنا ندري كلهم، أو من في زمانه كله، أو من زمان الفاروق، والأمر حمّال!

ولأن معاذا كان له في الإسلام طوله وعمله وبذله!

ولأنه هو هذا الذي أعلم النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه يحبه! وإنه لحبه له أوصاه، وكما قد أوصى منه أمته أيضا، وحين قال: يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك[٢٤١].

وهذه له منقبة، وتلك له معلمة!

([٢٤١])صحيح أبي داود، الألباني: ١٥٢٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

ولأنه عامل النبي محمد صلى الله عليه وسلم على اليمن، وحين ساءله، وقد نجح في اختباره كله، سؤالا سؤالا!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب[٢٤٢].

وكما أن فيه حسن اختيار الإمام لنوابه.

وفيه فقه الداعية.

وفيه فقه الأولويات، وتقديم الأهم فما دونه.

وفيه الفقه الأعظم، وهو العلم بالله تعالى، الذي هو العلم بالتوحيد، الذي هو حق الله تعالى على العبيد. والذي هو العمل بأوامره تعالى وحده، والانتهاء عن زواجره سبحانه وحده أيضا. وكذا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ((تركت فيكم أيها الناس، ما إن اعتصمتم به، فلن تضلوا أبدا: كتاب الله، وسنة نبيه[٢٤٣].

([٢٤٢])صحيح البخاري: ١٤٩٦

([٢٤٣])أخرجه الحاكم في ((المستدرك))، والمروزي في ((السنة)) (٦٨)، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير)) (٢٥٠/٢)، (٣١٨)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٤٤٩/٥). وصحح إسناده ابن القيم في ((تهذيب السنن)) (٢٧٩/٧)، وصححه ابن العربي في ((أحكام القرآن)) (٢٥٠/٤)، والألباني في ((صحيح الترغيب)) (٤٠).

السلام للفكر والثقافة
www.sadalf.net

وأنه ليس يبدأ بغيره، وإلا حين علم الناس به أولا؛ ولأنه علم العلوم، وأصلها، وما تلاه مبتنى عليه، ومستند إليه.

ولأنه هو الذي كان مشهورا بين أصحابه سمتا كنبي الله إبراهيم! وحين قال ابن مسعود: كنا نشبهه بإبراهيم الخليل.

فعن فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين فقلت غلط أبو عبد الرحمن إنما قال الله إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين فأعادها علي فقال إن معاذ بن جبل كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين فعرفت أنه تعمد الامر تعمدا فسكت فقال أتدري ما الأمة وما القانت فقلت الله أعلم فقال الأمة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله ولرسوله وكذلك كان معاذ كان يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ولرسوله [٢٤٤].

وحين نعته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه أعلم الناس بالحلال والحرام. ومن قوله: أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح [٢٤٥].

وحين قد توفي عامه هذا الثامن عشر من الهجرة، إبان خلافة الفاروق، وعن ثمان وثلاثين سنة، وكما قيل أيضا.

([٢٤٤])الطبقات الكبرى، محمد بن سعد: ج ٢ / ٣٤٩

([٢٤٥])صحيح الجامع، الألباني: ٨٦٨

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

المبحث الثاني: من أحداث السنة التاسعة عشرة

وذكر فيها شيء عظيم أن نار قد اندلعت في إحدى حرات الدولة الإسلامية وحين أراد عمر الفارو أن يخرج إليها مع نفر من أصحابه وإلا أنه تبدى له أن يأمر القوم بالصدقة! ولما كان ذلك منهم وإنما أطفئت نار الحرة ومن قتها!

وهذا أيضا عمل الصدقة، وهذا عمل الأولياء، وهذا توفيق رب الأرض والسماء، لهكذا أمير المؤمنين عمر، ولمن نحا نحوه!

فتح أرمينية

وفيها فتحت أرمينية بقيادة عثمان بن أبي العاص، واستشهد فيها صفوان بن المعطل، ذاك الذي نزلت السماء ببراءته، وبراءة أم المؤمنين عائشة، وحين زكاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن قوله هذا: (... يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي...)[٢٤٦].

وقد عالجنا هذا الشأن تفصيلا في موسوعة (السيرة النبوية أحداث ودلالات)، ولله الحمد.

وهذا صفوان، هو الذي قال عن نفسه أيضا: فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط[٢٤٧].

([٢٤٦])صحيح مسلم: ٢٧٧٠

([٢٤٧])صحيح البخاري: ٤١٤١

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الثامن

من أحداث السنة العشرين

فتح مصر

وكان ذلك السنة العشرين من هجرة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ويوم أن منَّ ربنا تعالى على عباده وفاروقهم يومهم هذا فتح بلاد الشام.

وإنما رأى الفاروق وأنه قد جاء الدور على مصر!

وعلما على نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحين قال يوما: إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة و رحما، فإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة، فاخرج منها[٢٤٨].

ومنه أيضا حديث: إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا؛ فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة، فاخرج منها. قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل ابن حسنة، يتنازعان في موضع لبنة، فخرج منها[٢٤٩].

لا تعجلوا حتى نعذر

هذا قول عمرو بن العاص لأصحابه، ويوم أن تقابل وصحبه إلى أبي مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام، نائبي المقوقس، عظيم قبط مصر يومه هذا.

([٢٤٨])صحيح الجامع، الألباني: ٢٣٠٧

([٢٤٩])صحيح مسلم: ٢٥٤٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولأن هذا هو ديننا يعذر أولا، ومن ثم يكون الفتح، وحين رفض القوم وإبائهم، وحين كان فتح بلادهم؛ لخيرهم، لو كانوا يعلمون!

وإعذار عمرو هذا هو تخيير القوم بين ثلاث:

١- الإسلام.

٢- أو الجزية.

٣- أو القتال.

ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر؟!

هذا رد قبط مصر على زعمائهم، ويوم أن أعذرهم عمرو بن العاص، ويوم أن طلبوا زيادة أيام من إعذارهم، وإنما كانت خطبته فتحا، ورقة، ولينا.

ويكأنها أيضا كانت ممزوجة بالعزم والدفع والجهاد، وإذا استلزم الأمر هذا!

وحين رفض قائدهم الأرطبون نائب المقوقس عظيمهم يومه هذا، وإلا المناجزة، وإلا المواجهة.

ومنه كان قول الناس هذا الذي أنف: ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر[٢٥٠].

ولعله أن يفيق، ومن غفلته، وإذ ماذا تغني عنه قواته شيئا، وأمام قوة الحق الذي يحملونه وحده، ومن ثم أمام قوم كانت الشهادة قبلتهم، أو النصر المبين! وحين كان منهجهم، هو قول ربهم هذا ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

ولكن استحضار التاريخ جد مهم؛ وكيما يفيق الناس على سبيله، وخطه، ومنهجه.

---

(٢٥٠)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١١٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن ثم أيضا كان هذا هو عنوان مجد هذه الأمة المجيدة، ولما كان تاريخها هكذا، وهو الذي سجله لها التاريخ، أمة مسارعة إلى رضا ربها تعالى، ولو كان ذلك ومن شهادتهم جميعا، ولما كانت مطلبا لهم جميعا نفيسا!

ولكنه، ومن جانب آخر، فإن فتح هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد، وإنما جاء إعزازا لمن فتحت بلادهم، وحين قد أراد الله تعالى بهم خيرا، وإن عنوة! ولأنه يريد أن يأخذ بأيديهم إلى الحق ونوره، ومن ثم وإلى حين يحسن إسلامهم، ويكأنهم يقولون: ويا ليت كان يوم إسلامنا أبكر!

ولكن القوم كانوا هم أولاء على عهد نبيهم بهم، ولما كان إصرارهم على فتح بلاد مصر، ولما كان إيصاؤه بهم خيرا!

وهذا علم نبوة ضاف!

ولكن القوم وحين تأبوا عن وإلا المقاتلة، وحينها أوجعهم عمرو وجنده إثخانا، وحتى قتلوا منهم نفرا عظيما، ولما كان ومن مقدمتهم هو هذا الأرطبون قائدهم؛ وليعمل هذا في البقية الصغار والاستسلام!

وهذا الذي كان وقوعه، وحين راح الناس إلى حيث فتح عين شمس مصر، وإلى الآن اسمها، وإنما عرفوا، وأنه لا فرار وإلا الصلح المبين!

بنود عقد الصلح بين عمرو بن العاص وأهل مصر

من قواعد القانون الدولي العام في معاملة البلاد المفتوحة

وهذا عقد الصلح الذي أبرم، ومن مضابط التاريخ نسجله أيضا:

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة.

وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبي بريئة.

وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك.

ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثا ي كل ثلث جباية ثلث ما عليهم.

على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا، وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة[٢٥١].

إن هذه الوثيقة التاريخية المجيدة؛ ومن ملامحها هذه، لتمثل قاعدة أولى من قواعد القانون الدولي العام، ولما كان منها حفظ حقوق الناس، ومن قبل بيان التزاماتهم.

([٢٥١])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ١٩٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فتح الإسكندرية

قد علمتم ما فعلنا بملككم الأكبر هرقل

هذا وعيد وتهديد وزجر وترهيب!

وإنما كان، ومن رسالة عمرو بن العاص إلى المقوس عظيم قبط الاسكندرية يومه هذا.

وحين كانت هنالك من مساجلات، ومن مراسلات، وإنما كان حاصلها أن الرجل المقوقس، كان عالما بالتاريخ، وكما قد حكاه له عمرو أيضا!

ولما كان المقوس عاقلا، وإذ لم يرد مجابهة، ولكنها ومن بعد أخذ ورد وتهديد ووعيد، كما أنف!

ويكأنه ومن بعدها لم يكن بد إلا للصلح سبيله، ودفع الجزية منهجا!

وقفة حول الجزية

ولكنه هاهنا وقفة!

وحين كان القوم هكذا، يدفعونها، وإلى الفرس مرة، وإلى الروم مرة!

ولماذا هذه الحملة على الجزية، وحين كان دفعها للإسلام الحنيف الخالد!

ولا سيما أن هذا الدين، هو الذي قال ربعي بن عامر يومه هذا: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي[٢٥٢].

وإن لم يكن من هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد، وإلا كونه دينا سماويا، فقد كان أولى بالمناقشة، والمصالحة، وعما سواه من عبدة الصلبان والأوثان والنيران!

وهذا من أبجديات عقلية محضة.

ويكأنه، وحين توضع أمام القسط المبين مرة أخرى، ولأن الإسلام الحنيف الخالد، وإنما جاء لإعزاز الناس ولإكرامهم وخلعهم، وإلا أن تكون قبلتهم واحدة، هي هذا الرب، الخالق، البارئ، المصور، وإنما كفى!

استشكال وجوابه

أولا: الاستشكال

راح قوم من الناس إلى اتهام عمرو بن العاص. وهذا حقهم. وحين طلة على زعمهم، وإذ يتهاوى، وإذ يتهرأ أيضا، وعلى بسط بحث لا عميق بل طاف!

قال الناس تحت عنوان: عقيدة العرب عن أهل مصر :

([٢٥٢])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٤٧

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

في كتاب فتح البلدان للبلاذري ص ١٣٣

" جلس عمرو بن العاص علي منبره وقال: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحدٍ من قبط مصر علي عهد ولا عقد. إن شئت قتلت، وإن شئت خمست، وإن شئت بعت، إلا أهل أنطابلس فإن لهم عهداً يوفى لهم به."

هذا كلام الصحابي عمرو بن العاص، وكأنه إله يأمر فيقتل!

طبعا هو السيد فقط؛ لأنه أتي من جزيرة العرب!

والقبط أهل مصر هم العبيد في أرضهم وديارهم!

وقال هشام بن أبي رقية اللخمي:

قدم صاحب أخنا على عمرو بن العاص رضي الله عنه

فقال له : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصير لها.

فقال عمرو، وهو يشير إلى ركن كنيسة:

لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك! إنما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، فإن مصر فتحت عنوة. (خطط المقريزي ٩٧/١)

كتب عمر، رضي الله عنه، إلى أمراء الجزية أن لا يضعوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسي ولا يضعوا الجزية على النساء والصبيان، وكان عمر يختم أهل الجزية في أعناقهم. (ابن كثير - المصدر: إرشاد الفقيه - الصفحة أو الرقم: ٣٣٩/٢).

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

يقول ابن جريج " أن رجلا أسلم من القبط وجاء إلي عمر بن الخطاب فقال: ضعوا الجزية عن أرضي فقد أسلمت، فقال له عمر لا أن أرضك فتحت عنوة. (فتوح مصر ،ابن الحكم ص ١٨٢).

ثانيا: جواب الاستشكال

وأما العبارة سالفة البيان والاتهام، فإنه يمكن تأويلها، وحال صدق حدوثها، أنه كانت هنالك مناوشات بين رفض الصلح من جانب، وبين القتال من جانب آخر، وبه تحمل هذه العبارات على من كان شأنه أنه حارب، أو لم يدخل في عقد صلح، وكل ذلكم أمور واردة.

بل قد ذكرت بعض المصادر، ومنها هذه التي اجتزئ منها كلامهم هذا أن بعضا من بلاد مصر كان قد فتح عنوة، وأن نعم، ومن ثم فإن صلحهم ومن بعده رحمة!

فقد: روى خليفة -عن غير واحد- وغيره أن فيها كتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر، فسار وبعث عمر الزبير بن العوام مددا له، ومعه بسر بن أرطأة، وعمير بن وهب الجمحي، وخارجة بن حذافة العدوي، حتى أتى باب أليون فتحصنوا، فافتتحها عنوة وصالحه أهل الحصن، وكان الزبير أول من ارتقى سور المدينة ثم تبعه الناس، فكلم الزبير عمرا أن يقسمها بين من افتتحها، فكتب عمرو إلى عمر، فكتب عمر: أكلة، وأكلات خير من أكلة، أقروها[٢٥٣].

وإنه يمكن وقوع تجاوزات من قائد الميدان، والأخذ ها هنا يكون فيما لو لم يعدل، أو يؤاخذ القائد الأعلى للقوات المسلحة، يومه هذا، وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والذي ساق التاريخ سوقا، يند عن وصفن إلا العدل! فكلما عمرا في السبايا التي أصيبت بعد المعركة فأبى عمرو أن يردها عليهما، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين

([٢٥٣])تاريخ الإسلام، الذهبي: ج٣ /١٩٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عمر بن الخطاب، أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمنوها فيها أن يرد عليهم، وكل سبي أخذ ممن لم يقاتل، وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سباياه.

وقيل: إنه أمره أن يخيروا من في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله، فمن اختار الإسلام فلا يردوه إليهم، ومن اختارهم ردوه عليهم، وأخذوا منه الجزية.

وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما، فإنه لا يقدر على ردهم، ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر الوفاء به.

ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصلح بينهم[٢٥٤].

شهادة من مضابط التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة.

وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبي بريئة.

وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك.

([٢٥٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ - الصفحة ١١٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا، عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم.

على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا، وكذا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة.

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح، واجتمعت الخيول بمصر وعمروا الفسطاط، وظهر أبو مريم، وأبو مريام، فكلما عمرا في السبايا التي أصيبت بعد المعركة فأبى عمرو أن يردها عليهما، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي أمنوها فيها أن يرد عليهم، وكل سبي أخذ ممن لم يقاتل، وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سباياه.

وقيل: إنه أمره أن يخيروا من في أيديهم من السبي بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله، فمن اختار الإسلام فلا يردوه إليهم، ومن اختارهم ردوه عليهم، وأخذوا منه الجزية.

وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرهما، فإنه لا يقدر على ردهم، ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر الوفاء به.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم فمنهم من اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصلح بينهم[٢٥٥].

ولكنه ومن جانب آخر، فإن فتح هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد، وإنما جاء إعزازا لمن فتحت بلادهم، وحين قد أراد الله تعالى بهم خيرا، وإن عنوة! ولأنه يريد أن يأخذ بأيديهم إلى الحق ونوره، ومن ثم وإلى حين يحسن إسلامهم، ويكأنهم يقولون: ويا ليت كان يوم إسلامنا أبكر!

وعن عمرو بن العاص أنه قال على المنبر: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد، إن شئت قتلت، وإن شئت بعت، وإن شئت خمست إلا أهل أنطابلس، فإن لهم عهدا نفي به.

وعن علي بن رباح، قال: المغرب كله عنوة.

وعن ابن عمر قال: افتتحت مصر بغير عهد وكذا قال جماعة.

وقال يزيد بن أبي حبيب: مصر كلها صلح إلا الإسكندرية.

صدق، فنحن أحق بالإذعان

هذا قول المقوقس لأصحابه، ويوم تهديد عمرو بن العاص، يومه هذا!

وكان منه هو هذا الصلح الذي كان منه ما كان مع أهل مصر عهدا واحدا.

([٢٥٥])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ١٩٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم كان منه بناء الفسطاط ومسجدها على اسم فاتحها عمرو بن العاص، تاريخا مجيدا لفاتح! وحق له أن يذكره التاريخ، ومن كمثل أمجاده، ومن أمجاده مسجد، رفعه؛ ليذكر فيه اسم الله تعالى الرحمن الرحيم.

قصة لا تصح!

وحين كان الناس ومن بعد الفتح المبين لمصر وأهلها، ولما أخبر الناس أن نيلهم هذا، وإنما ليس يجرى، وإلا إذا طرحوا فيه صبية من صباياهم! ليرضى ويجري!

وحين أخبر عمرو الفاتح الفاروق عمر! وإنما كانت هذه رسالته إلى نيل مصر، وما على عمرو بن العاص، إلا أن يضعها فيه وضعا!

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك [٢٥٦].

إن هذه قصة ليس من العقل قبولها؛ ولأنه الله تعالى، وما كانت رحمته، إلا أن تفضي إلى خلع هكذا بث بثه الدجالون!

ونيل مصر أو غير نيل مصر، وإنما يجري بأمره تعالى، وليس ولمثل هذا الدجل فيه من أثر!

يجريك [٢٥٧].

([٢٥٦])تاريخ دمشق، ابن عساكر: (٤٤ /٣٣٦)
([٢٥٧])تاريخ دمشق، ابن عساكر: (٤٤ /٣٣٦)

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل التاسع

من أحداث السنة الواحدة والعشرين

فتح الفتوح – معركة نهاوند

حين كان من هزيمة الفرس يوم المدائن وإن جرحا عميقا قد تلقوه الفرس مدميا، وإذ كان يكفي هكذا درس تاريخي موجع؛ ولعله أن يكون سببا لرجوع القوم عن غيهم، واستقرار الإيمان من قلوبهم!

وإلا أنه وماذا أنت قائل أمام أمراض الزعامة، وحين تأتي على أصحابها، فتحصدهم حصدا، وتجعلهم للهوى مطعما وشرابا؟!

وهذا الذي أطمع ملك الفرس الهارب، وحين أخذ في تجميع صفوفه، يوم نهاوند فتح الفتوح، وحتى قد تجمع له خلق كثير أغروه! ويكأنه كانت حكمة السماء، أن يحصل هذا، وأن يجمع القوم فلولهم، ليوم كان مشهودا!

ولكن سعدا بن أبي وقاص كانت عيناه ساهرتين، وإذ راقب الأمر، وأعلم به أمير المؤمنين الفاروق؛ لينظر فيما يتخذ من أعمال؛ مواجهة هذا الذي يحصل ومن قلاقل.

وزاد من حدة الجبهات، شكوى أهل الكوفة، وثورانهم ضد سعد، ومما كان حاصله حدوث أمرين هامين :

١- ما يحدث على الجبهة الخارجية؛ ومن قلاقل تجميع الفرس فلولهم.

٢- ما تئن منه الجبهة الداخلية؛ ومن أثر شكوى أهل الكوفة أميرهم.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحكمة يتحلى بها أهل القرار كانت كفيلة بإخماد كل هذا، ومن بعد توفيق ربنا تعالى، لقوم كان إعلاء راية الله تعالى قبلتهم.

وأما ما كان من شأن الجبهة الداخلية، فقد عالجناه يوما، ومن هذه السلسلة المباركة، ويوم عزل خالد بن الوليد، وبما أغنى عن إعادته ها هنا.

ظفر قريب

هذا فأل حسن توشحه الفاروق عمر!

وحين تراسل الناس أن الفرس قد استجمعوا وألا يدخلنها العرب المسلمون على بلادهم؛ ولأنهم إن نجحوا مرتهم هذه، ولسوف يكيدون كيدا، ويسبون سبيا، ويغنمون غنما! وما هم برادين أنفسهم عنا!

وكان من حسن صنيع سعد، وقد كان معزولا، ألا يتأخر عن صفه! وإلا يقوم بواجبه! نصرة لدين ربه تعالى، وغيرة على محارمه!

وحين كان من أهل الكوفة والبصرة قومتهم أيضا، وحين راسلوا الفاروق ألا يقعدوا، بل يقوموا، ومن بعثهم هذا الذي كان اسمه قريبا بن ظفر!

وهذا الذي كان منه عزم الفاروق تيمنا، ومن أخذه مشورة أهل الديار، ومن ثم يثخنون فيهم أمرهم، ويشدون عليهم ثيابهم، ولئن كان منه أن يستنوا لهم أسنانهم!

وكان كل قد أدلى بدلوه كلاما مؤازرا!

ويكأن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه، وحين استجمع قلبه، وأن الله تعالى لم يكن ليذر المؤمنين، وكما هو عهده تعالى بهم، وفي كل مرة!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأني به يستحضر قوله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]. وقوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويكان عثمان بن عفان كان قد راح إلى استمداد جند من العراق، وخالف علي! أو من اليمن وخالف علي!

ولما كان كل منهما ومن عمل المشورة؛ خوفا على المؤمنين، ومن جمهرة المشركين!

ويكأن الفاروق قد مال لرأي علي؛ وكيما لا تنكشف جهة من الجبهات، ولصالح جهة أخرى! فيؤتى الصف، ومن حيث لا يحتسب!

وهذه مهارة عسكرية فذة!

وحين تحافظ الفئة المسلمة على جبهاتها كلها، وفي وقت واحد؛ ولأن المتربصين موجودون؛ إن يقينا أو احتمالا!

والأصول العسكرية هي معاملة الاحتمال معاملة اليقين!

وهذا الذي حكاه التاريخ يوم فتح مكة البلد الحرام، وحين قد أتاها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن جميع جهاتها.

وهذا الذي ينكره التاريخ، وحين طلع علينا قائد عسكري، ويوم نكسة الناس، أنهم ولما لم يحسبوا حسابهم، من إحدى الجبهات، وكان منها إتيان عدوهم منها!

ولكن الفاروق وفي كل مرة يستشير العباس عم النبي! ولخبرته ولحكمته!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا عمل القادة الربانيين! وهو تمليه طبيعة العمليات العسكرية مشاورة ودون مواربة!

وهذا التاريخ يعيد نفسه، وحين خالف أهل ثقيف وأهل هوازن خبرة وحكمة دريد بن الصمة، يوم غزوة حنين، ولما كان كنسهم على أيدي المؤمنين، ومن طيش قائدهم، مالك بن عوف النصري يومهم هذا!

واستشار الفاروق الناس تعيين قائد لجيش الفتح يوم نهاوند فتح الفتوح، ولما كان من رأيه أن يكون عراقيا! وقد وافقه الناس رأيه هذا.

ولأن القائد يحسن أن يكون من أهل المحلة، ولأنه اعرف بتضاريس المعركة ودون غيره!

وهذا عمل إداري ممتاز وهو شأن عسكري بامتياز!

وحين يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

وهذه ثلاثة جيوش كان قد أمر بها الفاروق!

جيش الكوفة وقيادة حذيفة بن اليمان، وجيش البصرة وقيادة أبي موسى الأشعري، وجيش البصرة أيضا ويقوده النعمان بن مقرن!

وهذا عمل عسكري باهر آخر أيضا ومن قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

خطبة يوم نهاوند فتح الفتوح

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى النعمان بن مقرن، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضةً، فإن رجلا من المسلمين أحب إليَّ من مائة ألف دينار، والسلام عليك.

فسر في وجهك ذلك حتى تأتي ماه فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا وأكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن اللافت، وكما العهد أبدا، أن جيش المسلمين يوم نهاوند فتح الفتوح، وإنما كان قوامه ثلاثين ألفا، ومواجهة مائة وخمسين ألفا، هو قوام جيش الفرس يومهم هذا!

ويكأن الناس ومن عقدهم قول ربهم الحق المبين سبحانه ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ويكأن الناس يستحضرون قول نبيهم صلى الله عليه وسلم: خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة[٢٥٨].

ويكأن الناس يستحضرون عون ربهم، ومن وصية إمامهم، ومن قوله لهم: واستنصروا - أي ربكم - وأكثروا من لا حول ولا قوة إلا بالله.

([٢٥٨])تخريج المسند، أحمد شاكر ٢٣٧/٤، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عمل جهاز المخابرات

وهذا الذي كان يوم نهاوند فتح الفتوح وحين أرسلت الطلائع ثلاثتهم! ومن عمل جهاز الاستطلاع أيضا.

ولما كان من عمل العيون ومن كمثل الذي قام به طليحة، وحين رجع أخواه وعمرو بن معدي كرب الزبيدي، وعمرو بن أبي سلمة. ولأسباب رآها كل منهما.

ولم لم يحفل برجوعهما، فسار بعد ذلك نحوا من بضعة عشر فرسخا، حتى انتهى إلى نهاوند، ودخل في العجم، وعلم من أخبارهم ما أحب، ثم رجع إلى النعمان، فأخبره بذلك، وأنه ليس بينه وبين نهاوند شيء يكرهه[٢٥٩].

والتقى الجمعان

ولما كان من شأنهم سرعة حكتهم ومن نصبهم خيامهم ووضعهم متاعهم وانقضاضهم على عهد الله وعدوهم ومن يوم الأربعاء وإلى يوم الجمعة، حتى تحصن الفرس منهم، ومن حصنهم، وها هم أولاء يحاصرونهم أيضا!

وكان من الخيبة عمل قائد الفرس الفيرزان! وحين طلب من الأشاوس من يكلمه، ولما كان المنتدب هو هذا المغيرة بن شعبة، صاحب يوم الربة اللات! وحين قال قوله الذي أنف: لأضحكنكم اليوم من ثقيف!

([٢٥٩])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٢٤

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وها هو يتوعده الفيرزان ومن كونهم أمة كانوا عربانا، وأنهم كانوا أطول الناس جوعا، وأقلهم دارا وقدرا.

ويرد عليه المغيرة مقرا قوله هذا!

ولكنه باغته بما قد منه غرات قدماه وخارت قواه! وحين قال المغيرة: لقد كنا أسوأ حالا مما ذكرت، حتى بعث الله رسوله فوعدنا النصر في الدنيا، والخير في الآخرة، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله رسوله إلينا، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على بلادكم وما في أيديكم أو نقتل بأرضكم[٢٦٠].

وهذا الذي أحدث في الفيرزان الصدمة، وأوجد فيه الصعقة!

عمل التكبير

ولسنا ننسى بل نؤكد عمل التكبير في القوم يومهم هذا، ومن غير يومهم هذا، وحين كان هذا التكبير باعثا طاقات، ومستدعيا نواهض للقتال، ولغيره أيضا، وانظر كيف كانت شعيرة التكبير لأذان صلاتنا!

وانظر كيف كان التكبير شعيرة ملازمة لجميع أركان صلاتنا!

وانظر كيف كان ومن هداية ربنا تعالى، أن حبانا بصومنا رمضان، وحين قال الله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(٢٦٠)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٢٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي فعله الأمير النعمان بن مقرن، يوم نهاوند فتح الفتوح، ومن تكبيرات ثلاث، أنهضت الفرسان، وأذعرت الفرس أهل البهتان!

ولكن هذا التكبير، ومن نظامه، فكبر تكبيرا! ومن سبيله، فحدث تحديثا!

ولما كان من نظامه هو فعل النعمان بن مقرن هذا؛ ولأنه كبر الأولى فيتأهب الناس للحملة، وكبر الثانية فلا يبقى لأحد أهبة، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة[٢٦١]!

اقتداء واهتداء

إنه لن تخيب أمة اتبعت هدي نبيها، بل تغنم، وتكون لها إحدى الحسنيين، ومن نصرها على عدوها، أو نيل الشهادة تاجها ووسامها عند ربها.

وهذا الذي نستدعيه، ومن فعل النعمان بن مقرن يوم نهاوند فتح الفتوح هذا!

وحين أشار عليه الناس نزول ساحة المعركة، ومن نهار يوم الجمعة، وقبل زوال الشمس؛ ولأنه استحضر هدي هذا النبي ﷺ، وحين كان يبرد، فلا ينزل إلا ومن بعد الزوال، وأن تهب الأرواح، وينزل النصر، كما كان رسول الله ﷺ يفعل!

وهذا الإبراد، ويبدو أنه سنة هذا النبي ﷺ في الصلاة، وكما أنه في القتال أيضا!

ومنه حديث: إذا كان الحر، فأبردوا عن الصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم وذكر أن النار اشتكت إلى ربها، فأذن لها في كل عام بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف[٢٦٢].

([٢٦١])البداية والنهاية، ابن كثير : ج ٧ / ١٢٥
([٢٦٢])صحيح مسلم: ٦١٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومنه صلاة الناس، ولو في القتال! شأن الصلاة وأهميتها، ومنه هي هذه الطاقة الخلاقة، التي تشد الناس إلى الخير شدا، وتدفعهم إلى البر دفعا، ومنه هو هذا القتال!

ولهذا السبب سومح للمقاتل أن يفطر، وأمر بالصلاة أن يصلي ولو في ساحة الوطيس!

وهو الذي جاء منه صلاة الناس في قتالهم ومن قوله تعالى ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة النساء: ١٠٢]

وهو الذي فعله النعمان بن مقرن، يوم نهاوند فتح الفتوح أيضا. وحين قد صلى بالناس صلاة الخوف، ومن بعدها عزم العزائم، واستلهب الهمائم!

غير أن الفرس كانوا قد تعبأوا ولربما بما لم يكن لهم به من قبل عهد سبق إعدادا كهذا الذي كان يوم نهاوند فتح الفتوح، ولأنهم:

١- أعدوا عدة عددية بلغت مائة وخمسين ألفا!
٢- ولأنهم تغلغل بعضهم في بعض! حتى صاروا ومن كثافة؛ فيشد أحدهم من أزر أحدهم أيضا!
٣- ولأنهم جعلوا حسك الحديد، ومن وراء ظهورهم وحتى لا يدبروا! فيعوقهم وليظلوا حبيسي أرض الميدان وإما نصرهم وإما خذلانهم!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعلى عكس عقد المسلمين، ولأنهم وإذا فعلو ذلك، وإنما ومن عقدهم، وإما نصرهم، وإما شهادتهم!

والحسك من الحديد: ما يعمل على مثاله وهو آلات العسكر، قال ابن سيده: الحسك من أدوات الحرب ربما أخذ من حديد فألقي حول العسكر، وربما أخذ من خشب فنصب حوله[٢٦٣].

٤- كانوا قد قرنوا منهم ثلاثين ألفا بالسلاسل! وحفروا حولهم خندقا؛ إمعانا في بذل، وتقصيا من ثبات!

وكان ومن شدة اليوم، يومهم هذا، أن اشتد القتال، وحمي الوطيس، حتى غطت الأرض بدماء الفرس! والذي كان منه قول التاريخ، إنه لم يشهد، ومن كمثل ذلكم قتال من قبل!

استشهاد القائد

والذي كان منه تعثر فرس النعمان بن مقرن حتى أصابه سهم عدو الله تعالى وعدوه، فاستشهد من إثرها!

وحين كان من عمل حذيفة بن اليمان أن أقام محله أخاه! ولشبهه به؛ وكيما لا يشعروا بمواراته عن أعينهم، فيعمل فيه أثر غياب القائد!

(٢٦٣)لسان العرب، ابن منظور: ج ١٠ / ٤١١

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عمل عسكري باهر

ولكنهم الجند المغاوير أخفوا شهادته، وحتى تظل معنوياتهم عالية! ومن ثم أخذ حذيفة بن اليمان الراية، وكما كان مخططا له من قبل؛ لتسير الأمور على انتظام سلكها، وعمل قادتها وفرسانها وشجعانها أيضا، ومن شدة بلائهم، وعملهم في عدو الله تعالى وعدوهم.

وحين كانت هزيمتهم، وأن ألقوهم المسلمون في خندقهم الذي كانوا حفروه؛ ولئلا يكون لهم من مهرب، فكانت منه قبورهم!

ولعل هزيمة منكره بهم قد وقعت، وحين كان منهم بلوغ قتلاهم نحو المائة ألف أو يزيدون!

وهذا من حسابات العمل العسكري كان سحقا سحقا، وإذ بلغ تدمير الجيش حتى ثلثيه!

ولكنه وحين كان استشهاد النعمان أميرنا يومها، وإلا أنه قد من ربنا تعالى، وأن قتل القعقاع الفيرزان قائد الفرس يوم نهاوند فتح الفتوح أيضا، ومن رفع لمعنويات جنودنا، والذي كان منه، هو الذي حاق بالفرس، ومن إيقاع هزيمة لم يحصل في التاريخ السابق ليوم نهاوند فتح الفتوح، ومن كمثله الذي حدث!

إن لله جنودا من عسل

ولعل قدرا منه تعالى كان مقدورا، وليمكن جنده، ومن هذا الفيرزان يومه هذا، ويكأنه قائد بائد، وإلا أنه قائد مشرك، وبقائد موحد، وأن نعم، ولكنه تعالى لم يذر أولياءه، وإلا أن يكبته عدوه وعدوهم، ويرفع قدر أولاء، ويشف صدور قوم مؤمنين، يومهم هذا. وغير يومهم هذا.

وحين فر الفيرزان، وإلا أنه جوبه بحمولات عسل كثر! وكان منه تعثره، وإمساك القعقاع له، وحين تبعه أخوه نعيم بن مقرن!

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكان منه أن وقعت هذه الأعسال وأحمالها غنيمة للمسلمين، وحين كان من فضله تعالى أن كانت:

١- سببا في إعاقة هروب الفيرزان!

٢- وسببا في كونها محلا للغنيمة، و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وهذا كان منه قول المسلمين يومهم هذا: إن لله جنودا من عسل!

ومنه كان دخول جنده تعالى نهاوند عنوة، ومنه اغتنموا وسبوا

الهرم الإداري: ولكن اللافت أن القوم كانوا يعلمون الهرم الإداري جيدا، وحين جمعوا غنائمهم، وإنما أعطوها صاحب الأقباض، الذي عينه أمير المؤمنين عمر الفاروق، وهو: السائب بن الأقرع.

عمل القائد

ولكن استعجال عمر الفاروق خبر الجيش يوم نهاوند فتح الفتوح، وإذ كان أمرا طبعيا تمليه مسؤوليات القائد.

وهذا الذي جعل يستبطئ خبر الناس.

ولكنه أيضا كان معهم ومن دعائه ربه تعالى ليله ونهاره، أن يبسط لعباده نصره، وأن يشفي به صدور قوم مؤمنين.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أثر الجني عثيم!

وحين ذكروا أن أحدهم ساق خبر نصر المؤمنين إلى عمر الفاروق وحين سأله فأخبره أن رجلا لاقاه أخبره!

ويكأن فراسة الفاروق ليست كانت تخالفه، وحين أخبر أنه جني من عندهم، يقال له عثيم، كان قد أخبر الناس بنصر جيش الفاروق على الفرس، يومهم هذا!

وهذا الأثر، وإن كان يعوزه تحقيق حول صحته، وإلا أنه ليس من محال حدوثه؛ ولأن الله تعالى مع المؤمنين، ولعل هذه من معيته تعالى لعبيده!

ولسنا ننسى، وكما لم ينس التاريخ، يوم قول الفاروق: يا سارية الجبل!

وهذا من هذا!

وحين ذكر التاريخ أنه الفاروق: كان يدعو الله ليلا ونهارا، لهم دعاء الحوامل المقربات، وابتهال ذوي الضرورات، وقد استبطأ الخبر عنهم فبينا رجل من المسلمين ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله: من أين أقبل؟ فقال: من نهاوند. فقال: ما فعل الناس؟ قال: فتح الله عليهم وقتل الأمير، وغنم المسلمون غنيمةً عظيمةً أصاب الفارس ستة آلاف، والراجل ألفان. ثم فاته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبره الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين، فطلبه فسأله عمن أخبره، فقال: راكب. فقال: إنه لم يجئني، وإنما هو رجل من الجن بريدهم، واسمه: عثيم[٢٦٤].

وبه تم فتح نهاوند.

([٢٦٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٢٦

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكنه وعلى الجبهة الأخرى كان قد تم فتح برقة طرابلس ومن عمل عمرو بن العاص.

وحين كلف عقبة بن نافع الفهري التوجه إلى زويلة ففتحها بصلح، وصار ما بين برقة إلى زويلة سِلما للمسلمين.

هل يجوز التبرك بآثار النبي محمد صلى الله عليه وسلم

وهذا الذي حدث يوم موقعة اليرموك، وحين فقد سيف الله تعالى خالد بن الوليد قلنسوته، وأمر بتتبعها، والبحث عنها، ولأنه كانت بها شعرة من شعر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يزل منتصرا، ولما كانت معه.

وهذا الأثر وإن كان فيه كلام لأهل العلم، حول صحته، وإلا أنه ثبت التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبآثاره ومن وجوه كثر. وقد مر بنا في موسوعة السيرة النبوية أحداث ودلالات ما استفاض حول هذا المعنى.

وإلا أن هذا خاص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولثبوته ومن غير وجه، كما أنف، وليس يمكن أن ينسحب على ما سواه.

وحين قال: لما كان يوم اليرموك فقد خالد بن الوليد قلنسوة له فقال اطلبوها فطلبوها فلم يجدوها فقال اطلبوها فطلبوها فوجدوها فإذا قلنسوة وسخة فقال اعتمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فحلق رأسه فابتدر الناس إلى شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فما شهدت قتالا وهي معي إلا رزقت النصر[٢٦٥].

(٢٦٥)تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ١٦ / ٢٤٦

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

انظر كيف كان صحب هذا النبي؟!

وهذا مشهد تاريخي يحكي صورة المحبة، ويضفي بهاء الأنس، بصحب كان هذا وصفهم، وإذ كان منه هو هذا الإطراء، الذي تسيل منه الولاية، ومن كل صوب، ومن كل حدب؛ أمة كانت قلوبها صافية، وإذ حكت ألسنتها، ما يند وصفا، ولما مازج قلوبها، ومن هذا الذي كان منه قول ألسنتهم، بعضهم عن بعض! ولأنه: ولما وليَ عمر بن الخطاب الخلافة، عزل خالد بن الوليد، واستعمل أبا عبيدة؛ فقال خالد: وليَ عليكم أمين هذه الأمة، وقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن خالدًا لَسيف من سيوف الله))[٢٦٦].

([٢٦٦]) أسد الغابة لابن الأثير، ج: ٣، ص: ٢٣، صفة الصفوة لابن الجوزي، ج: ١، ص: ٣٦٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل العاشر

من أحداث السنة الثانية والعشرين

وكان منها فتح همدان.

وكان منها فتح الري. وقومس. جرجان وطبرستان.

الصلح أحب إليك أم الحرب؟

هذا قول أسفنديذ زعيم الفرس يوم أذربيجان وحين أسره بكير بن عبدالله يوم أذربيجان هذا!

ولكنه ولأن دين الإسلام هذا وغنما لم يجد ثقبا ولو واحدا لإطفاء فتنة المقاتلة، وإلا أغلقه، ولهذا كانت إجابته الحاسمة لأسفنديذ هذا: بل الصلح!

وقد كان الرجل منصفا! ولئلا يؤلب على القتال، ولما تأخذه لمات الشيطان! وإنما طلب من بكير أن يستبقيه عنده؛ وليتحقق له من ثم أمران:

الأمر الأول: تمكنه من فتح بلاد أذربيجان بلدا بلدا وحيث القائد في الأسر، فتطيح معنوياتهم؛ ومنه يسهل إستسلامهم!

الأمر الثاني: ضمان قطع خطوط الإمداد المعنوي عن أهل أذربيجان؛ ومن حيث أسر زعيمهم!

ومنه جاء أمر عمر الفاروق بتقدم القوات إلى مقاتلة شهربراز ملك أرمينية الباب، بقيادة عتبة بن فرقد؛ لاستكمال فتح ما تبقى من بلاد أذربيجان.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومنه كان الصلح الذي تم بين قائد جيش المسلمين بكير بين عبد الله وهذا سفندياذ قائد جيش الفرس يومهم.

فتح بلاد الترك

علم نبوة ضاف

والذي كان منه علم نبوة ضاف وحين قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر[٢٦٧].

والذي كان منه أمر عمر الفاروق إلى عبد الرحمن بن ربيعة التوجه إلى الباب، وحين لاقاه شهربراز، وإنما قد أخبره أنهم يخافونهم! ويرضون منهم الموادعة، وهم من وراء الباب! فكيف لك بهم؟!

عمل الإرجاف: وهذا عمل الإرجاف، وحين كان يمكن أن يوقف زحفا، أو يوهن قوى! وذلك ما لم يقيض ربنا تعالى من كان أهلا لمجابهة هكذا الحروب النفسية، وبثقة آكد، ومن نصره تعالى المؤزر!

وهو الذي كان من عبد الرحمن بن ربيعة، أن وجهه وجهة الإعجاز، وحين امتطى مطية التصديق، وأنهم فاتحوه، بعز عزيز أو بذل ذليل! ولأنه قد أخبرهم نبيهم بهذا، وإنهم منه لعلى يقين!

([٢٦٧])صحيح البخاري: ٢٩٢٨

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عمل إدارة الشؤون المعنوية: وهذا ثقة في وعده تعالى، ويقين به سبحانه، وكما كان منه عقدهم في أعلام نبوة نبينا ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا عمل صالح في:

١- إرباك إدارة الشؤون المعنوية للقوات المسلحة، لمعنويات الخصوم.

٢- رفع حالة التأهب القصوى لدى جند الله تعالى الميامين.

وهذا الذي كان منه قول عبد الرحمن بن ربيعة لشهر براز هذا: إن الله بعث إلينا رسولا، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر، ونحن لا نزال منصورين[٢٦٨].

آية وإعجاز!

وهذا الذي كان منه هروب الترك، ولأول وهلة، وحين كانت شجاعة عبد الرحمن بن ربيعة هذه، وحين كان رده على شهر براز هذا، وحين وفقه مولاه وأخذ بيده، وهداه، وأخاف منه من عاداه، وخاصمه، ونقض عهد ربه تعالى ومولاه!

وهذا من عمل الإعجاز! وحين يعلم الله تعالى في قلوب أوليائه، وهو ذلكم الخير الشميل، والتوكل الفضيل، على ربهم الجليل، وإنما لينصرنهم نصرا، وليهزمن عدوهم هزيمة!

وحين علم الترك مجابهتهم أول المرة، هم قد هربوا أول المرة أيضا!

وحين قذف ربنا تعالى في قلوبهم الرعب؛ ومن قوله تعالى ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

([٢٦٨])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٣٩

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن ثم كان منهم قولهم هذا أيضا: وقالوا: ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت[٢٦٩].

إنهم لا يموتون!

وهذا إمعان آخر في الترك، وحين راح بهم ظنهم أن المسلمين لا يموتون! بل يعمرون! ولأنهم يموتون، ومنه كان خوفهم وذعرهم، ومن أولاء الذين راح إلى أذهانهم أنهم ليسوا يموتون!

وإلا أن سنة الله تعالى الماضية، هي هذا الموت؛ ولأن الناس ينتظرون من ربهم ثوابه، ويخشون منه تعالى عقابه، ومنه تعالى يدعونه فضله ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾[سورة الشعراء: ٨٨]!

وحين علم الترك، أن المسلمين يموتون! وكما أنهم مثلهم يموتون! ومن بعد طعنهم لأحدهم! فأخذوا فيه نشوة واحدة! وسرعان ما انقلبوا على ظهورهم، وولوا مدبرين على أعقابهم، ويكأنهم لم يسعفهم هربهم، وحين أمسك بهم جنده تعالى المغاوير، ومن بعد عمل القدر فيهم عمله، وحين ألبسهم ومن لباس خزيهم، وكسر شوكتهم، وحين: نادى مناد من الجو صبرا آل عبد الرحمن موعدكم الجنة[٢٧٠].

وحين قتل عبد الرحمن بن ربيعة، وأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة، وقاتل قتالا شديدا، وحين سمع الذي كان قد سمعه أخوه من السماء أيضا أن: صبرا آل سلمان موعدكم الجنة!

---

[٢٦٩]تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ٢٣٨
[٢٧٠]تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ٢٣٨

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذه محاكاة النبي، واقتداء به صلى الله عليه وسلم، وحين قال: صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة[٢٧١].

ولكن شيئا قد حدث، وحين اشتد حصار الترك لسلمان وأبي هريرة، ورغم قتالهم العنيف، وإلا أن هذا هو قول تعالى ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وفي هذه السنة عزل الفاروق عمارا بن ياسر عن إمامة الكوفة؛ ومن بعد شكوى أهلها ضده.

وهو الأمر الذي يقف عليه الراعي؛ وتحقيقا وتأكيدا لمدى فاعلية الشكوى المقدمة!

وحين ولى مكانه أبا موسى الاشعري. وقد شكوه وغلامه أيضا. ومما لهم أهم الفاروق، وحين دخل عليه المغيرة، فرآه هكذا مهموما، وكان منهما وقوع تشاور بيني، أدى إلى نتيجة رأي آخر، في إمارة الكوفة هذه.

وإلا أنه كان قد ولى عليها المغيرة بن شعبة، ولعله كان يقصد أن الإمارة، وإنما تكون للقوي، ومن ثم فنفعها للمسلمين عائد، وكذا أمير المؤمنين، وأما قوته فلنفسه.

ولكن تولية الضعيف ضعف للجميع. فضعفه راجع وباله على الأمير، وعلى المسلمين، وإسلامه لنفسه.

وحينها استحسن الفاروق رأيه، ومن ثم أعاد توليته إمارة الكوفة؛ ولجزالة رأيه هذا، ومن بعد أن كان قد عزله عنها.

([٢٧١])فقه السيرة، الألباني : ١٠٣، خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكان هذا من مشورة الأحنف بن قيس وكيما يضيقوا على كسرى يزدجرد. وعبادته النار خناقهم وكيما لا يطأطئون برؤوسهم إلى المسلمين يوما وهكذا فتظلوا شوكتهم مكسورة ولا يكادون يرفعون رأسا.

وهذا الذي حدث وحين تتبعهم الأحنف بن قيس وعمل فيهم عمله.

ومنه كان من عمل كسري، استمداد الدول المجاورة له، كالصين وخاقان والصفد، ولأنه يعلم من سابق، ماهية القوة عند المسلمين، وحين يجابهون عدو الله تعالى وعدوهم!

ومنه عمل الأحنف بن قيس عمله، وأعد له عدته، وحين استوفد أمدادا من أهل الكوفة مع أربعة أمراء.

ومنه تمكن من هزيمة كسرى يزدجرد.

ومما كان حاصله رغبة عمر الفاروق أن كان بيننا وبين خراسان بحر من نار. ولحسه أن القوم سيحاولون مرة ومن بعد مرة حتى تكون لهم الدولة في الثالثة.

ومنه أمر الأحنف ألا يعبر النهر، ويحتفظ بما لديه من بلاد خراسان.

وهذه نعمة، مقابلة ما يمكن أن يضيع منها، وفيما لو حاول الأحنف عبور النهر، فتتبدد خراسان!

وهذا عمل عسكري باهر؛ فإن العبرة ليست بما يمكن أن يضاف إلى رقعة الدولة من أراض، وبقدر ما يمكن منه المحافظة على خطوط الدفاع التي نالوها!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن كان الأمير ذا رأي

هذا الذي قاله **أحد رجالات كسرى** لأحد الرجال المسلمين، وحين نجحت محاولات كسرى في استرداد بعض البلاد المفتوحة من الأحنف بن قيس!

وكانت هذه الخطة تقتضي أنه: إن كان الأمير ذا رأي فإنه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره، ويبقى هذا النهر خندقا حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة[٢٧٢].

و أين كانوا يختفون؟!

وحين قاتل الترك المسلمين وبقيادة الأحنف بن قيس ليلا، وإلا أنهم كانوا يختفون نهارا! ولا يدري جيش المسلمين أين كانوا يختفون ليلا؟!

وهذا عمل عسكري باهر ولا شك، وعليه وجب على القوات المسلحة الإسلامية، أن تحسب حسابها! ولمثل هكذا وضع!

وأن تفيد منه أيضا في مسألة إحسان التخفي، وقت راحتهم، أو إعادة تعبئتهم! أو عمل مناوباتهم!

ولكن الأحنف بن قيس لم يقف، بل عبأ قواته، وحين كان التعويل ليس، ومن عدد القوات وبل بما تحمله هذه القوات؛ ولأنه الله تعالى ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

---

(٢٧٢)

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

والذي كان منه خروج الترك، ومن حيث لا يدري الأحنف وجيشه! وليهربوا تاركين وراءهم الجبهة! وحين استن الأحنف، ومن هدي هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحين قال: دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم[٢٧٣].

وهو الذي قال الله تعالى عنه أيضا ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

غير أن كسرى كان قد بعث لصاحب الصين مستنجدا! ومنه نصحه صاحب الصين هذا، ألا يتورط ومن مجابهة خاسرة، مع هكذا الصنف من البشر المسلمين! ومما كان قد بعث، ومن عمل مخابراته عن أولاء جند الله تعالى الغر الميامين! وحين سجل التاريخ عنه : أنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق علي، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو جئت لنصرك أزالوني ماداموا على ما وصف لي رسولك، فسالمهم وأرض منهم بالمسالمة[٢٧٤].

وبه فتح الله تعالى بلاد كسرى، وبلاد تركهم أيضا، وحين راح الخبر إلى الفاروق، وإنما حمد الله تعالى وأثنى عليه خيرا، وأقام في الناس حجة الله تعالى، ومن حفظ لدينه سبحانه، وهذا الذي منه تكون العصمة، وإلا خاب وخسر من تفلت وانقلب على عقبيه ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

يا سارية الجبلَ الجبلَ!

هذا نداء الفاروق قائدة سارية! ومن على منبره! وحين كان سارية هذا عاملا في فتح بلاد فارس ودار أبجرد. وحين تجمعت فلول الأكراد والفرس ومن حوالهم!

---

(٢٧٣)صحيح أبي داود، الألباني: ٤٣٠٢

(٢٧٤)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٤٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن سارية وجد نفسه محاطا بهم، وكيف له أن ينفذ ومن خلالهم، ومن ثم وكيف له أن يحاربهم، وهو الذي أشبه حصار الترك لهم يومهم هذا؟!

وحين رأى الفاروق ومن نومه أن جبلا ولو استتر وراءه المسلمون، وليكونوا ومن جهة واحدة، ومن ثم يمكنهم الإعمال في العدو ودكه والإثخان فيه!

وهذا الذي جعل الفاروق ينهض في الناس خطيبا وإذ ينادي نداءه هذا!

وإلا أن هذا هو يقين عبد بربه! وإذ وكيف يسمع سارية وهو في بلاد الترك أمير المؤمنين عمر الفاروق وهو في المدينة؟!

ولكنه هو هذا عمل التوكل واليقين بمقدورات رب العالمين، وحين أسمع سارية قول أميره. ومما حكى التاريخ أنه: رأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار، وأنهم في صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فنادى من الغد الصلاة جامعة، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها، خرج إلى الناس وصعد المنبر، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى، ثم قال: يا سارية الجبلَ الجبلَ، ثم أقبل عليهم، وقال: إن لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم قال: ففعلوا ما قال عمر، فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد [٢٧٥].

قصة لا تليق

وعلى أنه معروف أمر عمر الفاروق وموقفه من الحجاب، وحين نزل الحجاب أول ما نزل، وإلا ومن تأييد السماء له. وحين قال: ف" قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: {واتخذوا من مقام إبراهيم

([٢٧٥])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٤٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مصلى} [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه، فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن)، فنزلت هذه الآية[٢٧٦].

وحين يؤتى بغيره، وإنما يكون، ومن مصيره الرفض؛ ولا سيما إذا كان ركيكا، وينسف الغيرة نسفا!

وهذا الذي منه ما ذكره بعض أهل السير، وحين: قال سلمة فسرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين فأبوا أن يسلموا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يقروا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الرثة فرأى سلمة ابن قيس شيئا من حلية فقال إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا فتطيب أنفسكم أن نبعث به إلى أمير المؤمنين فإن له بردا ومؤونة قالوا نعم قد طابت أنفسنا قال فجعل تلك الحلية في سفط ثم بعث برجل من قومه فقال اركب بها فإذا أتيت البصرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين راحلتين فأوقروهما زادا لك ولغلامك ثم سر إلى أمير المؤمنين قال ففعلت فأتيت أمير المؤمنين وهو يغدى الناس متكئا على عصا كما يصنع الراعي وهو يدور على القصاع يقول يا يرفأ زد هؤلاء لحما زد هؤلاء خبزا زد هؤلاء مرقة فلما دفعت إليه قال اجلس فجلست في أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة طعامي الذي معي أطيب منه فلما فرغ الناس قال يا يرفأ ارفع قصاعك ثم أدبر فاتبعته فدخل دارا ثم دخل حجرة فاستأذنت وسلمت فأذن لي فدخلت عليه فإذا هو جالس على مسح متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفا فنبذ إلى بإحداهما فجلست عليها وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستير فقال يا أم كلثوم غداءنا فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق فقال يا أم كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا قالت إني أسمع عندك حس رجل قال نعم ولا أراه من أهل البلد قال فذلك حين عرفت أنه

([٢٧٦])صحيح البخاري: ٤٠٢

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لم يعرفني قالت لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته وكما كسا الزبير امرأته وكما كسا طلحة امرأته قال وما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر فقال كل فلو كانت راضية لأطمعتك أطيب من هذا[٢٧٧].

قصة لا تثبت

قال ابن عبد البر رحمه الله: " روى ابْن عيينة، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْن أبي خالد، قَالَ: خطب عُمَر بْن الْخَطَّابِ أم كلثوم بنت أبي بكر إِلَى عائشة ، فأطمعته، وقالت: أين المذهب بها عنك؟ فلما ذهبت قالت الجارية: تزوجيني عمر، وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه؟ إنما أريد فتى من قريش يصب عليّ الدنيا صبًا !! قَالَ: فأرسلت عائشة إِلَى عَمْرو ابن العاص، فأخبرته الخبر، فقال عمرو: أنا أكفيك. فَقَالَ: يَا أمير المؤمنين، لو جمعت إليك امرأة! فَقَالَ: عسى أن يكون ذلك فِي أيامك هذه. قَالَ: ومن ذَكرَ أميرُ المؤمنين؟ قَالَ: أم كلثوم بنت أبي بكر. قَالَ : مالك ولجارية تنعى إليك أباها بكرة وعشيًا؟! قَالَ عمر: أعائشة أمرتك بذلك؟ قَالَ: نعم!! فتركها[٢٧٨]".

وهذا إسناد ضعيف منقطع لا يثبت، المدائني هو علي بن محمد، أبو الحسن المدائني، وهو صدوق ثقة، وثقه ابن معين، وذكره ابن عدي في الكامل وقال: ليس بالقوي في الحديث، وهو صاحب الأخبار، قل ما له من الروايات المسندة. مات سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين[٢٧٩].

([٢٧٧])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٣ / ٢٦١
([٢٧٨])الاستيعاب، ابن عبد البر: (٤/ ١٨٠٧).
([٢٧٩])ميزان الاعتدال، الذهبي: (٣/ ١٥٣)

السلاالفكروالثقافة
www.sadalu.net

السنة الثالثة والعشرون

استشهاد أمير المؤمنين عمر الفاروق

ثم دخلت السنة الثالثة والعشرون، وفيها استشهد أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه، وعلى يد أبي لؤلؤة المجوسي، عملا غادرا.

وفيما حكى التاريخ كان ذلك في السنة الثالثة والعشرين الهجرية ومما أنف.

وكان مما زاد الخطب فجاعة، هو كذلك عمل أبي لؤلؤة الغادر، و حيث كان طعنه عمر، وقت صلاة قال الله تعالى فيها ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وها هو التاريخ قد فصل لنا سيرة لهذا الأمير، وكيف كانت حياته؟ ومن يوم إسلامه، وإلى أن لقي ربه، هذا اللقاء الاستبشاري الأعظم؛ ولأنه رجل كانت حياته لله تعالى فتحا، وإنما لتتوج هكذا، ومن وسام الشهادة أيضا، وليجمع الله تعالى له الحسنيين معا:

١- ففتوحاته كانت حسنيات!

٢- وشهادته كانت حسنى أيضا!

و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وهكذا نقدم للتاريخ رجلا، كان من شأنه، هو هذا عمر بن الخطاب، فاروق هذه الأمة، أبا حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، أمير المؤمنين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، صاحب التقويم

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الهجري. فاتح العراق، ومصر ، وليبيا، و الشام، و فلسطين، وبيت المقدس، وبلاد فارس، و خراسان، والأناضول، وجنوب أرمينيا، و أفغانستان.

ويعود له فضله، ومن بعد دك حصون أقوى إمبراطوريتين كانتا في التاريخ يومهما هذا، وهما الإمبراطورية الفارسية، والإمبراطورية البيزنطية.

وهكذا كان وساما للعدل.

وهكذا خلد التاريخ العهدة العمرية، في تأمين أهل الكتاب، على أماكن عبادتهم، و ممتلكاتهم. أمة كانوا ﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨١].

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مصادر البحث

١- الإصابة، ابن حجر.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر.

٣- المستدرك، الحاكم النيسابوري.

٤- صحيح البخاري.

٥- السيرة النبوية، ابن كثير.

٦- البداية والنهاية، ابن كثير.

٧- جامع البيان، ابن جرير الطبري.

٨- السيرة الحلبية، الحلبي.

٩- تجارب الأمم، أبو علي مسكويه.

١٠- سنن سعيد بن منصور.

١١- تفسير ابن كثير.

١٢- صحيح ابن ماجه، الألباني.

١٣- تخريج الإحياء، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي.

١٤- السنن الكبرى للبيهقي.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

١٥- صحيح مسلم.

١٦- البدور السافرة السيوطي.

١٧- صحيح البخاري.

١٨- السلسلة الصحيحة، الألباني.

١٩- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.

٢٠- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية.

٢١- تخريج سير أعلام النبلاء، شعيب الأرناؤوط.

٢٢- صحيح أبي داود، الألباني.

٢٣- تخريج مشكل الآثار، شعيب الأرناؤوط.

٢٤- كتاب الخراج لأبي يوسف.

٢٥- سنن أبي داود.

٢٦- صحيح الترمذي، الألباني.

٢٧- شرح معاني الآثار، الطحاوي.

٢٨- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلابي.

٢٩- ضعيف أبي داود، الألباني.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٣٠- مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية.

٣١- تاريخ الطبري، الطبري.

٣٢- كتاب سيرة ابن هشام.

٣٣- صحيح النسائي، الألباني.

٣٤- إرواء الغليل، الألباني.

٣٥- النحو الوافي، عباس حسن.

٣٦- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان.

٣٧- الإشراف على مذاهب العلماء، ابن المنذر.

٣٨- المغني، ابن قدامة.

٣٩- الكامل في التاريخ، ابن الأثير.

٤٠- جامع العلوم والحكم، ابن رجب.

٤١- العلم، ابن حجر.

٤٢- السلسلة الضعيفة، الألباني.

٤٣- صحيح الجامع، الألباني.

٤٤- الزوائد، الهيثمي.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٤٥- معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني.

٤٦- الدر المختار وحاشية ابن عابدين.

٤٧- المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

٤٨- المحلى بالآثار، ابن حزم.

٤٩- مجموع الفتاوى، ابن تيمية.

٥٠- سفر زكريا.

٥١- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر.

٥٢- فتح الباري، ابن رجب.

٥٣- تاريخ الإسلام، الذهبي.

٥٤- كشف المناهج والتناقيح، صدر الدين المناوي.

٥٥- المعجم الكبير،

٥٦- كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي النحوي اللغوي.

٥٧- المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي.

٥٨- مصنف عبد الرزاق.

٥٩- كتاب مجابي الدعوة، ابن أبي الدنيا.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٦٠- جامع الترمذي.

٦١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد.

٦٢- تخريج المسند، أحمد شاكر.

٦٣- لسان العرب، ابن منظور.

٦٤- أسد الغابة لابن الأثير.

٦٥- فقه السيرة، الألباني.

٦٦- ميزان الاعتدال، الذهبي.

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفهرس

صفوة الخطاب من سيرة عمر بن الخطاب..... ١

بسم الله الرحمن الرحيم..... ٣

تقديم وتمهيد..... ٣

الفصل الأول..... ٥

من مولده إلى بيعة أبي بكر..... ٥

اسمه ونسبه..... ٥

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بالتحتانية بن عبد الله بن قرط بن رزاح بمهملة ومعجمة وآخره مهملة بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص أمير المؤمنين وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية[0]..... ٥

مولده..... ٥

من صفاته..... ٥

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له..... ٥

ثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليه..... ٦

عمر وأبو جحش الليثي!..... ٦

الفاروق والاستسقاء..... ٨

إسلام عمر بن الخطاب..... ٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

خبر عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص..... ١٦
﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾..... ١٧
أصابت امرأة وأخطأ عمر!..... ١٧
حديث ضعيف ورد في خبر عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري..... ١٩
رؤيا عمر للأذان..... ٢٢
الفاروق ومسألة أسرى بدر..... ٢٣
موقفه من قاتل حمزة..... ٢٤
الفاروق وفرخ الطائر!..... ٢٥
الفاروق وأسباب النصر..... ٢٥
قال عمر: سيدنا الله!..... ٢٥
لم أر عبقريا يفري فريه..... ٢٦
رحماء بينهم!..... ٣٠
إن الكريم يجزي الكريم:..... ٣١
استشراف عمري كريم..... ٣٢
نزول الحجاب ليلة عرس زينب بنت جحش!..... ٣٢
الفاروق يوم ذي قرد..... ٣٣
أتصلي على ابن أُبَي؟..... ٣٨
يوم الحديبية..... ٣٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح:٢٧]..... ٤٠

يوم خيبر..... ٤٢

ما أحببت الإمارة إلا يومئذ..... ٤٢

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢]..... ٤٢

إبدال الهدي الواجب:..... ٤٣

سرية سيف..... ٤٣

فتح مكة..... ٤٤

مسألة الإرث..... ٤٤

والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا..... ٤٥

صلاة المسافر..... ٤٦

مسألة بيعة النساء..... ٤٦

يا رسول الله إنه كان عليَّ اعتكاف يوم في الجاهلية فأمره أن يفي به..... ٤٧

وإذ كان منها:..... ٤٧

الفاروق يوم العسرة..... ٤٩

مشروعية مكافأة البشير ومسألة التوكل..... ٥٢

قال عمر: انتهينا..... ٥٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إنما الرَّبَّةُ حجر!..... ٥٤

إفطار الصائم بعد تحقق الغروب..... ٥٤

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]..... ٥٦

مثابرة كهولة وعنفوان رجولة..... ٥٩

إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم..... ٦٠

عظم شأن الوضوء..... ٦٣

مسألة استلام الحجر الأسود..... ٦٨

قال جابر: حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا، ومشى أربعا[0]..... ٧٠

وأما أولا:..... ٧٤

وأما ثانيا:..... ٧٤

وأما ثالثا:..... ٧٤

وأما رابعا:..... ٧٤

قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم..... ٨٠

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣)]..... ٨٠

فلا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أنْ يَقُولَ: إنَّما كَانَتْ بَيْعَةُ أبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وتَمَّتْ، ألَا وإنَّهَا قدْ كَانَتْ كَذلكَ، ولَكِنَّ اللَّهَ وقَى شَرَّهَا، وليسَ مِنكُم مَن تُقْطَعُ الأعْنَاقُ إلَيْهِ مِثْلُ أبِي بَكْرٍ..... ٨٦

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مسألة الاستخلاف..... ٩٤
أعماله إبان خلافة أبي بكر الصديق..... ٩٥
تواضع عمر..... ٩٥
طلب عزل أسامة..... ٩٦
موقعة أجنادين الأولى..... ٩٦
صفة أبي بكر وصفة الفاروق عند أهل الكتاب!..... ٩٨
الفصل الثاني..... ٩٩
خلافته..... ٩٩
أعمال الثالثة عشرة..... ١٠١
فتح دمشق..... ١٠١
فن عسكري باهر..... ١٠١
المحاربة بالحبال:..... ١٠٤
عمل التكبير في الجهاد:..... ١٠٤
فتح الموصل..... ١٠٥
عزل خالد..... ١٠٦
تكملة إجراءات المحاكمة..... ١١٠
من استخلفت على الكوفة؟..... ١١٠
بعث العراق..... ١١١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أبو عبيد بن مسعود الثقفي ١١١
عمل التعبئة العسكرية المجيدة ١١٢
تسيير جيش فتح نجران ١١٣
انطلاق المثنى إلى الحيرة ١١٥
إني أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم ١١٥
وقعة السقاطية بكسكر ١١٧
هل أكرمتم الجند بمثلها؟! ١١٨
وأحرز لسانك، ولا تفشين سرك ١١٩
هذا تأويل رؤياي! ١٢٠
الفصل الثالث ١٢٢
أحداث السنة الرابعة عشرة ١٢٢
الفاروق يغزو العراق! ١٢٢
موقعة القادسية ١٢٢
الصلاة الصلاة ١٢٣
إمارة سعد ١٢٣
وخطبة عمر ١٢٣
هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ١٢٣
وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ١٢٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

المؤسسة العسكرية تعترف بخطئها! ١٢٥
يوم واقعة البويب مثال ١٢٥
وهل تسامع أكثم والمثنى؟! ١٢٩
مَنْ هذا الذي تأتينا وقائِعهُ قبل معرفة نسبه؟! ١٣٠
فن استعمال العيون! ١٣١
تغريق بتحريق! ١٣٢
فقه المسألة ١٣٣
ومن وجه: أنه يجوز ذلك؛ ١٣٣
الأول: أنه لا يجوز تغريقهم: ١٣٤
الفصل الرابع ١٣٤
أحداث السنة الخامسة عشرة ١٣٤
حصار حمص ١٣٤
جزاء من قطع الماء! ١٣٥
لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس ١٣٥
قرار الفاروق كان أدق وأصوب قيلا! ١٣٧
التجنيد الإلزامي: ١٣٧
وصية الفاروق لسعد ١٣٨
إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا ١٣٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عزل سيف الله المسلول خالد ١٣٩
لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين ١٤٠
علم نبوة ضاف ١٤١
وقعة قيسارية ١٤٢
موقعة أجنادين الثانية ١٤٣
قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عما تنفرج ١٤٣
خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب ١٤٤
فتح الفاروق بيت المقدس ١٤٦
فَهَمَّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة! ١٤٧
علم نبوة ضاف ١٤٨
معالم من خطبة يوم الفتح ١٤٩
إن هؤلاء قوم يستأمنون ١٥٠
نبوءة الإنجيل بفتح الفاروق بيت المقدس! ١٥٠
من تشبه بقوم فهو منهم ١٥٢
نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلا ١٥٤
﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ١٥٤
الفصل الخامس ١٥٦
أحداث السنة السادسة عشرة ١٥٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ ١٥٦
لا يفقه من ختمه في أقل من ثلاث! ١٥٧
لا أرتشي على الإسلام! ١٥٨
وا ويله! ألا إن الملائكة تَكَلَّمُ على ألسنتهم! ١٥٩
الله أكبر، أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله ١٦٠
فتح المدائن ١٦١
الجانب الأول: ١٦٣
الجانب الثاني: ١٦٣
أتخافون من هذه النطفة؟ ١٦٣
والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا! ١٦٤
عمل عسكري باهر ١٦٤
نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ١٦٥
« اللهم أجب دعوته، وسدد رميته » ١٦٥
من بركات الأولياء ١٦٦
ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا أفواجا ١٦٧
صلاة الفتح المبين ١٦٧
إن هذا لم يوضع هكذا سدىً ١٦٨

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت..... ١٦٨
علم نبوة ضاف..... ١٦٩
وقعة جلولاء..... ١٦٩
وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبدا!..... ١٧٠
أين أيها المسلمون، هذا أميركم على باب خندقهم..... ١٧١
لماذا سميت جلولاء؟..... ١٧١
إن جندنا أطلقوا بالفعال لساننا..... ١٧٢
ما يبكيك يا أمير المؤمنين..... ١٧٢
ولا زال كسرى هاربا!..... ١٧٣
التأريخ للأمة..... ١٧٥
الفصل السادس..... ١٧٧
أحداث السنة السابعة عشرة..... ١٧٧
البيئة وأثرها في سلوك الإنسان..... ١٧٧
العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها!..... ١٧٨
افزعوا إلى الله..... ١٧٨
التخطيط العمراني لدي سعد..... ١٧٩
حصار الروم حمص..... ١٨٠
أما نحن فنسميه جزية، وأما أنتم فسموه ما شئتم..... ١٨١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة! ١٨٢
أحدهما يرى عودته، ١٨٢
وحين رأى آخرون ألا يعبأ ١٨٢
من الحيلة الشرعية ١٨٥
إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر ١٨٥
الفاروق يثني على سيف الله المسلول ١٨٦
والله إنك عَلَيَّ لكريم، وإنك إليَّ لحبيب! ١٨٦
المضبطة الأولى: ١٨٧
المضبطة الثانية: ١٨٨
المضبطة الثالثة: ١٩٠
من بركات الأولياء ١٩١
كل سبب ونسب فإنه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي ١٩١
اشفني من الأعبد! ١٩٢
اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني! ١٩٦
فتح السوس ١٩٨
لا تجمعوا عليه القتل والعطش! ١٩٨
نداء أبوي حان ٢٠٠
صاف بن صياد قائد فتح السوس! ٢٠٠

السلاة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أحاديث وردت شأن ذلك اليوم..... ٢٠٢
حيلة عسكرية..... ٢٠٣
هذا طعام أمير المؤمنين!..... ٢٠٣
لقد انجلت عنك، ولأنك لابن حرة..... ٢٠٤
يا غوثاه لأمة محمد!..... ٢٠٥
اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا..... ٢٠٥
استأذن لرسول الله ﷺ!..... ٢٠٧
هل هذا الحديث صحيح؟..... ٢٠٨
هل هذا تأويل سائغ؟..... ٢١٠
الفصل السابع..... ٢١٥
من أحداث السنتين: الثامنة عشرة والتاسعة عشرة..... ٢١٥
المبحث الأول: من أحداث السنة الثامن عشرة ٢١٥
وفاة معاذ بن جبل..... ٢١٥
إن معاذا يبعث أمام العلماء بربوة..... ٢١٥
المبحث الثاني: من أحداث السنة التاسعة عشرة..... ٢١٨
فتح أرمينية..... ٢١٨
الفصل الثامن..... ٢١٩
من أحداث السنة العشرين..... ٢١٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فتح مصر ٢١٩
لا تعجلوا حتى نعذر ٢١٩
ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقيصر ؟! ٢٢٠
بنود عقد الصلح بين عمرو بن العاص وأهل مصر ٢٢١
من قواعد القانون الدولي العام في معاملة البلاد المفتوحة ٢٢١
فتح الإسكندرية ٢٢٣
قد علمتم ما فعلنا بملككم الأكبر هرقل ٢٢٣
وقفة حول الجزية ٢٢٣
استشكال وجوابه ٢٢٤
أولا: الاستشكال ٢٢٤
ثانيا: جواب الاستشكال ٢٢٦
شهادة من مضابط التاريخ ٢٢٧
صدق، فنحن أحق بالإذعان ٢٢٩
قصة لا تصح! ٢٣٠
الفصل التاسع ٢٣١
من أحداث السنة الواحدة والعشرين ٢٣١
فتح الفتوح – معركة نهاوند ٢٣١
ظفر قريب ٢٣٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

خطبة يوم نهاوند فتح الفتوح ٢٣٥
عمل جهاز المخابرات ٢٣٦
والتقى الجمعان ٢٣٦
عمل التكبير ٢٣٧
اقتداء واهتداء ٢٣٨
استشهاد القائد ٢٤٠
عمل عسكري باهر ٢٤١
إن لله جنودا من عسل ٢٤١
الهرم الإداري: ٢٤٢
عمل القائد ٢٤٢
أثر الجني عثيم! ٢٤٣
هل يجوز التبرك بآثار النبي محمد صلى الله عليه وسلم ٢٤٤
انظر كيف كان صحب هذا النبي؟! ٢٤٥
الفصل العاشر ٢٤٦
من أحداث السنة الثانية والعشرين ٢٤٦
الصلح أحب إليك أم الحرب؟ ٢٤٦
الأمر الأول: ٢٤٦
الأمر الثاني: ٢٤٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فتح بلاد الترك ٢٤٧
علم نبوة ضاف ٢٤٧
عمل الإرجاف: ٢٤٧
عمل إدارة الشؤون المعنوية: ٢٤٨
آية وإعجاز! ٢٤٨
إنهم لا يموتون! ٢٤٩
فتح خراسان ٢٥١
إن كان الأمير ذا رأي ٢٥٢
وأين كانوا يختفون؟! ٢٥٢
يا سارية الجبلَ الجبلَ! ٢٥٣
قصة لا تليق ٢٥٤
قصة لا تثبت ٢٥٦
السنة الثالثة والعشرون ٢٥٧
استشهاد أمير المؤمنين عمر الفاروق ٢٥٧
مصادر البحث ٢٥٩
الفهرس ٢٦٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net